مكتبة الجيلاني

١

سرّ الأسرار

تأليف

الشيخ عبد القادر الجيلاني

قدس الله سره العالي

تحقيق

خالد محمد عدنان الزرعي

محمد غسان نصوح عزقول

دار الأنصاري

الموزع الحصري في محافظة حلب

دار السنابل

بسم الله الرحمن الرحيم

سرّ الأسرار ومظهر الأنوار

فيما يحتاج إليه الأبرار

سـرُّ الأَسـرار ومظهر الأَنوار فيما يحتـاج إليـه الأَبرار/أَبو محمَّد عبد القـادر بن أَبي صـالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلانيّ الشّافعيّ الحنبلي ؛ تحقيق خالد محمَّد عدنان الزَّرعيّ ، محمَّد غسّان نصوح عزقول . — ط. — دمشق : دار ابن القيِّم ؛ دار السَّنابل ، ١٩٩٣ . — ١٦٠ص ، ٢٤سم ،— (مكتبة الجيلانيّ ؛ ١) .

١ – ٩٤ – ٢١٨ ع ب د س ٢ – العنوان ٣ – عبد القادر الجيلانيّ ٤ – الزَّرعيّ ٥ – عزقول ٦ – السِّلسلة

مكتبة الأسد

الإيداع القانونيّ

ع – ١٩٩٣/٣/١٦٧

سرّ الأسرار ومظهر الأنوار

فيما يحتاج إليه الأبرار

شيخ الإسلام وسلطان الأولياء

أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني الشافعي الحنبلي

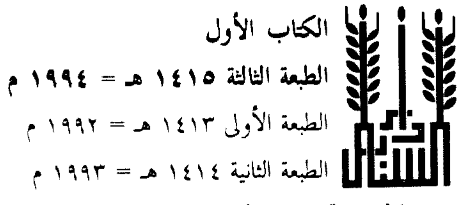
رحمه الله تعالى

(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)

تحقيق

خالد محمد عدنان الزرعي   محمد غسان نصوح عزقول





الكتاب الأول

الطبعة الثالثة ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م

الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م

الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م

دار السنابل للطباعة والتوزيع والنشر: سورية - **دمشق** - ص.ب (٣٠٦٠٨) - س.ت (٦٤٢٩٢) - هاتف (٢٢٢٧٥٥٩).

تنـويه: صدرت الطبعة الأولى والثانية من هذا الكتاب بطريقة النشر المشترك مع دار ابن القيم بدمشــق.

تصميم الغلاف : الفنّان محمَّد رضى بلال .

الصَّف التصويري : زياد السُّروجي ـ دمشق ـ هاتف (٢٤٢٣٣٨) .

الإهداء

* إلى روح الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم متلقي النّور من الفيض الإلهي .
* إلى روح الشّيخ عبد القادر الجيلانيّ ، سلطان الأولياء .
* إلى روح الّذي أضاء لنا شمعة بدّد فيها ظُلمة جهل فأسهم بروحه بعملنا محمّد عدنان بكري الزّرعي .
* إلى الّذي ما يزال يقتلع الأشواك من دربنا الشَّيخ نصوح محمّد أمين عزقول .
* إلى كلّ من أحبّ وليّاً .
* إلى كلّ طالب معرفة .

نقدِّم إليهم جميعاً هذا الجهد المتواضع في خدمة عمل جليل .

المحقّقان

مقدّمة التّحقيق

الحمد لله ربِّ العـالمين ، خالق الكون وما فيه ومقدّره ، سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين ، أنار الوجود بفيض علمه على عباده المصطفين ، وألبسهم لباس الحكمة فأجرى على أيديهم الخير الكثير ، وانتشر منهم لسائر الخلق أجمعين فنفعنا الله بهم .

وأشهد أن لا إله إلّا الله ، إله واحد كريم جواد ، غمر بجوده جميع الكائنات ، فقـدّرهـا وأوجدهـا ، وخـلق السّـرائر وعمّرها بسـرّه ، فكـانت أوسع من السّموات والأرض .

وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله النّبيّ الأمّيّ بحر العلوم كلّها ، علّمه الله أسرارها فأنطقه بوحيه .

اللّهـمّ صـلِّ على سيدنا محمّد المبعوث رحمة للعالمين ، متلقي الذّكر الحكيم ، ومعلّم الخلق أجمعين ، الهادي المبين إلى الشّرع القويم ، والموصل بحبل الله المتين للعباد العـارفين ، لمعرفة الحقّ ، وتبيان الطّريق القويم بالعبادات والذّكر لطالبي الوصول إلى حظوة ربّ العالمين .

أمّا بعد : فهذه رسـالة عظيمة المنافع للشّيخ عبد القادر الجيلانيّ ـ رحمه الله تعـالى ـ في التّعريف في أصول التّصوّف وطريق الذّكر للوصول إلى المعرفة ، معرفة الحقّ ، والفناء والمحو .

والتّصـوّف في النّهـاية مادّة توصـل إلى الله تعـالى في كلّ أجزائها : في خُلقها

الصّوفيّ ، أو معرفتها ، أو سلوكها بكلّ ما فيه من مكاشفة ومشاهدة ، وتذوّق للتّجلّيات والجذبات .

لم يكن التّصوّف خروجاً عن الشّريعة ولا انتهاكاً لمحرماتها بل هو رافد لها ، ملتزم بما أمرته ، مُحلٌّ لحلالها ومحرِّم لحرامها ، لكنه يضيف إليها ما نسمّيه اليوم بالحيويّة ، فهو كالرّوح من الجسد ، فإذا ما أشرق نور التّصوّف في قلب عبد يرق الإخلاص في العمل ، وتعلّق القلب بالخالق ، واشرأبّت الرّوح للوصول إلى عالمها الصّافي الأوّل فتلوّنت بألوان الوجد إلى ذلك العالم لقربه من خالقه ، وتسلّحت بروح الرّجاء والخوف في عزلتها عن الخلق وارتباطها بالحقّ ، زهدت وورعت واتّقت فذاقت الأُنس وعرفت الحقّ فأغرقت في الفناء .

لقد أدرك العلماء عبر العصور بريق التّصوّف الحقيقي وميّزوه من الكاذب فسالت عصارة فكرهم في مدحه واللّهج بذكره ، بعضهم في عبارات تسمّيه باسمه وبعضهم بما يشف فيها مدح التّصوّف ولنزَ بعضاً من أقوالهم فيه .

فالإمام **أحمد بن حنبل** يقول لولده عبد الله بعد أن صحب أبا حمزة البغداديّ[1] : يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم ، فإنّهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزّهد وعلوّ الهمّة[2] . ويقول عن الصّوفيّة : لا أعلم أقواماً أفضل منهم . قيل له : إنّهم يسمعون ويتواجدون ، فقال : دعوهم يفرحوا مع الله ساعة[3] .

وأمّا الإمام **مالك بن أنس** فيقول : من تفقّه ولم يتصوّف فقد تفسّق ، ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق ، ومن جمع بينهما فقد تحقّق[4] .

وأمّا الإمام **عزّ الدّين بن عبد السّلام** فيقول : قعد القوم من الصّوفيّة على قواعد

---

(١) صحب السرّيّ بن المُغَلّس السقطي ، وبشراً الحافي .

(٢) تنوير القلوب ، ٤٣٧ .

(٣) ردود على شبهات السلفيّة ، ١١ .

(٤) شرح عين العلم ، ٣٣ .

الشّريعة الّتي لا تنهدم دنيا وأُخرى ، وقعد غيرهم على الرّسوم ، وممّا يدلّك على ذلك ما يقع على يد القوم من الكرامات وخوارق العادات فإنّه فرع عن قربات الحقّ لهم ورضـاه عنهم ، ولو كان العلم من غير عمل يرضي الحقّ تعالى كلّ الرّضـا لأجرى الكرامات على أيدي أصحابه ولو لم يعملوا بعلمهم هيهات هيهات[1] .

بينما نجد الإمام **تاج الدّين السّبكي** يقول : الصّوفيّة حيّاهم الله وبيّاهم وجمعنا في الجنّـة وإيّاهم ، وقد تشعّبت الأقوال فيهـم تشعّبـاً ناشئـاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتـلبسـين بها ، بحيث قال الشّيخ أبو محمّد الجوينيّ : لا يصحّ الوقف عليهم ، لأنّه لا حدّ لهم يُعرف ، والصّحيح صحّته ، وأنّهم المعرضون عن الدّنيا المشتغلون في أغلب الأوقات بالعباد . ـــ ثمّ تحدّث عن تعاريف للتّصوّف إلى أن قال ـــ: والحاصل أنّهم أهل الله وخاصّته الّذين تُرتجى الرّحمة بذكرهم ، ويُستنزل الغيث بدعائهم ، فرضي الله عنهم وعنّا بهم[2] .

أمّا شيخ الإسلام **ابن تيمية** فموقفه من الصّوفيين كموقفه من الفقهاء تماماً ، فمن تمسّك بالكتاب والسّنّة والسّلف الصّالح فقد نجا وفاز عنده ، ومن حاد عنهم فقد خسر وهلك . يقول مبرراً لمن يقع في مقام السّكر بأنّه يسقط عنه التّمييز مع وجود حلاوة الإيمان ، كما يحصل بسكر الخمر وسكر عشيق الصّور ، وكذلك يحصل الفناء بحال خوف أو رجاء[3] .

* * *

(١) ردود على شبهات السّلفيّة ، ١٣ .

(٢) معيد النعم ومبيد النقم ، ١١٩ ـــ ١٢٠ .

(٣) مجموع الفتاوى، ج ٤٨٦/١٠ - ٥١٦ .

نسخ الكتاب

أ ــ المخطوطة :

النسخة الأولى : هي نسخة مكتبة الأستانة بحماة بعنوان : (سرّ الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتـاج إليه الأبرار) ، تقع في اثنتين وسبعين ورقة ، سطورها ثلاثة عشر سطراً ، يتراوح عدد كلمات السّطر بين ست كلمات إلى ثمان ، يرجع تاريخ نسخها إلى سنـة إحدى وتسعـين وتسع مئة للهجرة ، وهي نسخة خزائنيّة مذهبة ومراجعة ومعلّق عليها ، ذات خط نسخي جميل وبعض كلماتها بالأحمر المجدول بماء الذّهب ، ذات رقم (٥٧٠٧) عام . دخلت في ملك أفقر الورى وخادم الفقراء السّيد الحاج صالح الكيلانيّ نقيب أشراف حماه .

النّسخة الثّانية : أيضاً هي نسخة دار السّلام ببغداد بعنوان : (رسالة في علم الظّاهر والباطن) ، عدد أوراقها تسع وعشرون ورقة ، ومتوسط عدد الأسطر تسعة عشر سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السّطر إحدى عشرة كلمة ، كان الفراغ من نسخها في خمسة عشر من شهر صفر سنة ست وتسعين وألف للهجرة ، وهي نسخة مراجعة ومصحّحة ، خطّها نسخي ، بعض كلماتها بالأحمر، رقم (٩١٧٧) عام .

النسخـة الثّـالثـة : نسخـة دار الكتب الظّاهريّة بعنوان : (السـلوك في باطن الأسـرار) ، جاء على غلافهـا أنّ اسـم مؤلّفهـا : أبو المحاسن جمال الدّين محمّد بن

يوسف بن عبد الله الكوراني الكرديّ (ت ٧٦٨هـ)[١] ، تتكوّن من سبع وعشرين ورقة ، عدد أسطرها ثلاثة وعشرون سطراً تقريباً ، وعدد كلمات السّطر ثمان ، تاريخ نسخها ستة من ربيع الأوّل من سنة تسع وعشرين ومئة وألف للهجرة ، من ملكيّة محمّد أديب التّقيّ (١٢٩٢ - ١٣٥٨هـ)[٢] ، رقمها (١١٢٤٢) عام .

النّسخة الرّابعة : نسخة مخرومة الأوّل بدار الكتب الظّاهريّة بعنوان : (الأسرار فيما يحتاج إليه الأبرار) ، تقع في تسع وعشرين ورقة ، متوسط عدد أسطرها سبعة عشر سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السّطر اثنتا عشرة كلمة ، نسخها خان بن ملاويا بن ملا نصرخان في خدمة مولاه إسكندر بقرية طاخ ، وتمّ الفراغ من نسخها عام ثلاثة وسبعين ومئة وألف ، خطّها نسخي واضح ، رقم (٣٩٥٦) عام .

النّسخة الخامسة : هي نسخة دار الكتب الظّاهريّة بعنوان : (رسالة في التّصوّف) ، مؤلّفة من تسع وثلاثين ورقة ، عدد أسطرها خمسة عشر سطراً ، وعدد كلمات السّطر عشر كلمات ، خطّها نسخي ممزوج مع الفارسي ، برقم (٦٩١٩) عام .

النّسخة السّادسة : نسخة دار الكتب الظّاهريّة بعنوان : (كتاب في التّصوّف) ، تقع في اثنتين وستين ورقة ، عدد أسطرها ثلاثة عشر سطراً ، وعدد كلمات السّطر ثمان ، وهي نسخة مراجعة ، كُتب في أعلاها : تقدمة من محمّد

---

(١) قال الزركلي في « الأعلام » ، ج ٢٤٢/٨ : متصوّف ، كانت له زاوية مشهورة في قرافة مصر ، وعدّة زوايا في بلدان أخرى ، وللناس فيه اعتقاد عظيم ، له رسالة في التوبة ولبس الخرقة سمّاها : « ريحان القلوب » ولم نجد له أي اسم على المخطوط .

(٢) قال الزركلي في « الأعلام » ، ج ٢٨٠/٦ : هو من أهل دمشق ، ولي نقابة أشرافها مدّة ، وعني بتاريخها ، فجمع كتاباً سمّاه : « منتخبات التواريخ لدمشق » .

جمال الدّين الجمالي الحمصيّ إلى أخيه الحاج محمّد عبد الدّائم الحلبيّ ، برقم (٧٣٨٩) عام .

النّسخة السابعة : نسخة المكتبة الوطنيّة بحلب بعنوان : (أسرار الأسرار) ، عدد أوراقها سبع وثلاثون ورقة ، عدد أسطرها تسعة عشر سطراً ، وعدد كلمات السّطر من تسع إلى عشر كلمات ، وهي نسخة جيدة ، خطّها نسخي وعناوينها شِكسته[١]، كان الفراغ من نسخها يوم الخميس اثني عشر من رجب سنة أربع وسبعين ومئتين وألف ، رقم (١٨٥٨١) عام .

ب ــ المطبوعة :

لم يطبع الكتاب إلّا مرّة واحدة . وذلك بهامش كتاب الغنية – للجيلانيّ رحمه الله تعالى – بالمطبعة الميريّة بمكة المكرّمة ــ حماها الله تعالى ــ سنة أربع عشرة وثلاث مئة وألف للهجرة، وهي زاخرة بالأخطاء والتّحريفات، وتوجد زيادات بها لم تَرِد في الأصول ، وخصوصاً إضافة أبيات شعريّة بلغة غير عربيّة .

* * *

(١) وهو خط فارسيٌّ دارج مكسر، وهو من أقدم الخطوط نشأة وتداولاً ببلاد فارس، وفي القرن السابع الهجري.

نسبة الكتاب

لعلّه من المفيد أن نذكر أنّ هذه الرّسالة قد نسبها صاحب « معجم المؤلفين » إلى محمّد بن يوسف الكوراني وأشار إلى أنّ اسمها : بيان أسرار الطّالبين في التّصوّف[١] .

هذا ممّا دفعنا إلى البحث في مصادره الّتي ذكرها ، فوجدنا أنّ الحافظ ابن حجر لم يذكر إلّا رسالة واحدة للكوراني هي : « ريحان القلوب والتّوصل إلى المحبوب »[٢] . كذلك ذكرها ابن تغري بردي[٣] ، والبغداديّ[٤] ، والمصدر الوحيد الّذي نسب هذا الكتاب إلى الكوراني « كشف الظنون »[٥] .

وقد ذكر الأستاذ رياض المالح هذه الرّسالة ونسبها إلى الكوراني[٦] . ممّا دفعنا إلى تناول كلّ المخطوطات الّتي تذكر هذه الرّسالة سواء من نسبها إلى الجيلاني أو الكوراني ، وبعد تدقيقها لم نجد فيها لا من خارجها ولا من داخلها ما يشير إلى أنّ الكوراني هو صاحب أي مخطوط من مخطوطات دار الكتب الظّاهريّة وغيرها من المكتبات .

وجميع المخطوطات تشير إلى أنّ مؤلّف رسالة أسرار الطّالبين هو الشّيخ عبد القادر الجيلانيّ – رحمه الله تعالى – وليس محمّد بن يوسف الكوراني ، وعلى ما يبدو أنّ

---

(١) ج١٣/٣١٤ .
(٢) الدرر الكامنة ، ج ٤/٤٦٤ .
(٣) النجوم الزاهرة ، ج ١١/٩٤ .
(٤) إيضاح المكنون ، ج ١/٦٠٥ .
(٥) كشف الظنون ، ج ١/٢٦٠ — ج ١/٩٤٠ .
(٦) فهرس دار الكتب الظاهرية (قسم التصوّف) ، ج ٢/٦٠ .

الأستاذ رياض المالح قد اعتمد في نسبة الكتاب إلى « معجم المؤلفين » الّذي اعتمد بدوره على « كشف الظنون » .

وبالرّجوع إلى فهرس مخطوطات المكتبة القادريّة ، وهي مكتبة الشّيخ عبد القادر الجيلانيّ – رحمه الله تعالى – الّتي أسسها أبناؤه من بعده – وهي مدرسته الّتي بباب الأَزَجِ – نتبين أنّ « سرّ الأسرار » رسالة للشّيخ عبد القادر الجيلانيّ – رحمه الله تعالى – وأنّ هناك في تلك المكتبة مخطوطاً بخط الشّيخ حاولنا الوصول إليه لكن أحداث الاجتياح العراقي للكويت حالت دون وصولنا إلى هذا المخطوط رغم إيقاف إخراج العمل فترة طويلة من أجل التّحقّق من هذا المخطوط .

ولعلّه مما يريحنا في القول إنّ « سرّ الأسرار » أو « أسرار الطّالبين » من تأليف الشّيخ عبد القادر الجيلانيّ – رحمه الله تعالى – هو فهرس المكتبة القادريّة الّذي نسب هذا العمل إليه[1] . وأيضاً أنّ هذا العمل لم يثبت بشكل صحيح لمؤلّف آخر . والله أعلم .

* * *

(١) الآثار الخطيّة في المكتبة القادريّة ، ١٠ .

عملنا في الكتاب

١ ـ مقابلة النّسخ بالنّسخ ، فما كان من خلاف بين النّسخ ثبّتنا ما في الأصل ، إلّا أن يكون خطأً ظاهراً فثبّتنا ما في النّسخ الأخرى وأشرنا إلى ذلك ورمزنا لها بـ : {   } .

٢ ـ قد يقع النّاسخ في تصحيف أو تحريف أو يسقط بعض الأحرف والكلمات ، فما استدركه لنفسه في هامشه وضعناه في مكانه دون التّنبيّه إليه ، وما لم يستدركه ثبّتناه من النّسخ الأخرى مع الإشارة إلى ذلك بـ : [   ] .

٣ ـ ضبط النّصّ وإخراجه كما أراده المؤلّف ـ رحمه الله تعالى ـ جهد طاقتنا ومبلغ علمنا .

٤ ـ نبّهنا إلى انتهاء كلّ ورقة من أوراق الأصل المعتمد وذلك بوضع رقم اللوحة في الهامش ليسهل الوقوف عليها .

٥ ـ دوّنا بعض حواشي الأصل دون غيرها ، وأشرنا إليه بقولنا: ورد في هامش (ظ) .

٦ ـ التزمنا بقولنا : (تعالى) بعد ذكر الله . وقولنا : (صلّى الله عليه وآله وسلم) بعد ذكر النّبيّ ﷺ . وذلك لكثرة الاختلاف في النّسخ .

٧ ـ قمنا بتخريج الآيات الكريمة بإثبات اسم السّورة وترتيبها في القرآن العظيم ورقم الآية .

٨ ـ خرّجنا أغلب الأحاديث النّبويّة من مظانّها .

٩ ـ أغنينا بعض الأحاديث بالشّروحات ، وما لم نجده بلفظه قوّيناه بما يؤكد معناه الصّحيح .

١٠ ـ ترجمنا لما ورد في الكتاب من الأعلام .

١١ ـ أعددنا معجماً لمصطلحات الكتاب جَهِدْنَا أن تكون كما أراد المؤلّف في كتـابه واستعنـا لذلك بمعـاجم مصطلحات الصّوفيّة مع مراعاة ما يناسب المعاني في الكتاب .

* * *

كلمة شكر

لابدّ لنا من توجيه الشّكر إلى كلّ من دفعنا إلى إخراج هذا العمل ، أو ساهم بشروحاته وإيضاحاته لإغناء الكتاب . نخصّ بالذّكر منهم :

الدّكتور **عبد الكريم اليافي** والشّيخ **يوسف عرار** الّذين أغنيانا ببعض التّعليقات البنّاءة المثمرة .

كما لا بدّ لنا من توجيه آية العرفان والامتنان إلى مؤسسة البصائر ممثّلة بالأخوين الفاضلين **زياد السّروجيّ** – **محمّد شونو** وإلى كلّ عامل فيها ، الّذين دأبو على إخراج هذا الكتاب بأحسن صورة رغم مسابقة الزّمن ليدرك كتابنا المعرض السابع للكتاب العربي الّذي تنظّمه مكتبة الأسد الوطنيّة .

ونشكر الأخ المهندس **صبحي عودة** الّذي هيّأ لنا فرص الاستمرار في عملنا .

كما نشكر الأستاذ **بشير محمّد عيون** الّذي ما فتأ يقدّم لنا المساعدة والحثّ المستمر على العمل .

إليهم جميعاً ألف شكر وامتنان .

هذا جهدنا القليل نقدّمه راجين من الله تعالى أن يغفر لنا ما قصّرنا فيه ، سائلين المولى أن يبصّرنا بمواطن تقصيرنا عن طريق ناصح كريم يطلب الخير للخير .

نسأل الله اللّطيف بلطفه ورحمته ، العليم بعلمه ، الخبير بخلقه أن يجعله عوناً على

طاعته ، موصلاً إلى جنّته وكرمه ، وأن ينفع به مؤلّفه وكاتبه وقارئه ومستمعه بمحمّد وعترته صلّى الله عليه وعلى آله ، ورضي الله عن أصحابه وذرّيّته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

دمشق في ٧ ربيع الأوّل ١٤١٢هـ
١٥ أيلول ١٩٩١م

المحققان

* * *

ترجمة الشيخ
عبد القادر الجيلاني

اسمه ونسبه

الشّيخُ الإمام الزّاهد العارف القُدوة ، شيخ الإسـلام ، سلطان الأولياء ، إمام الأصفيـاء ، مُحيي الدّين والسّنة ومميت البدعة ، أبو محمّد عبد القادر بن أبي صـالح عبد الله(1) بن جنكي دوست(2) بن يحيي بن محمّد بن داود بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن(3) بن عليّ بن أبي طالب(4) .

الجيليّ ، الشّافعيّ ، الحنبليّ ، شيخ بغداد .

وهو سبط أبي عبد الله الصّومعي ، ينسب إلى جِيلان(5) . والصّومعي من كبار مشايخ جِيلان ، مشهور بالكرامات والأحوال(6) .

أمّه أمّ الخير أَمَةُ الجبّار ، فاطمة بنت أبي عبد الله الصّومعي ، وهي أيضاً ذات كرامات وأحوال(7) .

---

(1) قال ابن رجب في « الطبقات » هو : عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله ـ أي : بزيادة لفظ (ابن) ـ. وقال ابن الوردي في « تتمة المختصر في أخبار البشر » ، ج ١٠٧/٢ هو : عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست . وقال الزركلي في « الأعلام » ، ج ٤٧/٤ هو : عبد القادر بن عبد الله .

(2) قال الحلبي في « قلائد الجواهر »، ٣: هذا لفظ أعجمي ومعناه : يحب القتال . والله أعلم .

(3) قال ابن شاكر الكتبي في « فوات الوفيات » ، ج ٣٧٣/٢ : ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب .

(4) « الطبقات »: لابن رجب . جامع كرامات الأولياء : للنبهاني ، ج ٢٠٤/٢ .

(5) قال البغداديّ في « المراصد » ، ج ٣٦٨/١ : جِيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، وهي قرى كلّها في مروج بين جبال وعلى ساحل بحر طبرستان .

(6) تتمة المختصر من أخبار البشر : لابن الوردي ، ج ١٠٨/٢ .

(7) قالت أمه : لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثدييه في نهار رمضان [قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر : للحلبي ، ٣] .

مولده وموطنه وأوصافه

ولد الشّيخ – رحمه الله تعالى – بمنتصف شهر رمضان في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة بجيلان[1] ، وبها أمضى فترة شبابه الأوّل إلى أن بلغ الثّامن عشرة سنة ، فارتحل إلى بغداد ، ودخلها سنة ثمان وثمانين وأربع مئة [2] ، واستمر فيها إلى نهاية حياته .

كان الشّيخ – رحمه الله تعالى – نحيف البدن ، مربوع القامة ، عريض الصّدر ، عريض اللّحية ، طويلها ، أسمر اللّون ، مقرون الحاجبين ، ذا صوت جَهْوَرِيّ ، وسمت[3] بهيّ ، وقدر عليّ ، وعلم وفيّ[4] .

نشأته وطلبه العلم

رأت عيون الشّيخ – رحمه الله تعالى – النّور في بيئة معروفة بالعلم ، ومُؤيَّدة بالكرامات ؛ فأبوه من كبار علماء جِيلان ، وأمّه من عُرِفَت بالكرامات ، وهي ابنة أبي عبد الله الصّومعي العارف العابد الزّاهد ، فاستنشق الهواء من بيوت العلم والفقه والمعرفة والحقيقة .

عَلِمَ – رحمه الله تعالى – أنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة ، فشمّر عن ساعد الجدّ والتّحصيل ، وسارع في طلبه ، قاصداً أعلام الهدى من علماء هذه الأمّة ، فابتدأ حياته بقراءة القرآن العظيم حتّى أتقنه . درسه على يد أبي الوفا عليّ بن عقيل الحنبليّ ، وأبي الخطّاب محفوظ الكَلْواذَانِي الحنبليّ ، وغيرهم كثير .

---

(١) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٠/٤٣٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٠/٤٤٣ نقلاً عن ابن النجار في « تاريخه » .

(٣) قال ابن منظور في « اللسان » ، ج ٢/٤٦ : السَّمْتُ : حُسن الحديث ، وحسن الجوار ، وقلة الأذيّة واتباع الحقّ والهدي .

(٤) مختصر طبقات الحنابلة : لابن شطي ، ٤١ .

وسمع الحديث النّبوّي الشّريف على أيدي كثير من مشاهير عصره من الحفّاظ ، كأبي غالب محمّد بن الحسن البلاقلاني ، وغيره .

وتفقّه على أيدي مشاهير عصره من العلماء الفقهاء ، كأبي سعد المُخرِّمي ، الّذي أخذ عنه الخرقة الشّريفة .

وتعلّم الأدب واللّغة على يد أبي زكريا يحي بن عليّ التّبريزيّ . وصاحب حمّاد الدّباس وأخذ عنه علم الطّريقة .

فألمّ بعلوم الشّريعة والطّريقة واللّغة والأدب ، حتّى بلغ شأواً بعيداً ، فكان إمام الحنابلة ، وشيخهم في عصره ، وأظهر الله تعالى الحكمة من قلبه على لسانه في مجالس الوعظ .

جلس للوعظ في شوال سنة إحدى وعشرين وخمس مئة ، في مدرسة أبي سعد المُخرِّمي ، بباب الأَزَجِ في بغداد ، وظهر له صِيْتٌ كبير في الزّهد ، فضاقت المدرسة بالنّاس ، ممّا اضطره إلى توسعتها ، حتّى نقل مجلسه إلى خارج بغداد عند المصلّى ، فقد أصبح يحضر مجلسه عدد كبير من النّاس قُدِّر بسبعين ألف .

وتتلّمذ على يديه عدد كبير من الفقهاء والعلماء والمحدّثين وأرباب الأحوال والمقامات[١] .

صنّف مصنفات عديدة في الأصول والفروع ، وفي أهل الأحوال والحقائق[٢] ، نذكر منها :

١ ـ إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين[٣] .

---

(١) مختصر طبقات الحنابلة : لابن شطي ، ٤١ .

(٢) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٠/٤٤٤ .

(٣) المستدرك على معجم المؤلفين : عمر كحالة ، ٤٠١ .

٢ – أوراد الجيلاني[١] .

٣ – آداب السّلوك والتّوصل إلى منازل الملوك[٢] .

٤ – تحفة المتّقين وسبيل العارفين[٣] .

٥ – جلاء الخاطر في الباطن والظّاهر[٤] .

٦ – حزب الرّجاء والانتهاء[٥] .

٧ – الحزب الكبير[١] .

٨ – دعاء أوراد الفتحيّة[١] .

٩ – دعاء البسملة[١] .

١٠ – الرّسالة الغوثيّة[٦] .

١١ – رسالة في الأسماء العظيمة للطّريق إلى الله[١] .

١٢ – الغُنية لطالبي طريق الحقّ[٧] .

١٣ – الفتح الرّبّاني والفيض الرّحماني[٨] .

١٤ – فتوح الغيب[٩] .

١٥ – الفيوضات الرّبّانيّة[١٠].

١٦ – معراج لطيف المعاني[١١].

---

(١) المستدرك على معجم المؤلفين : عمر كحالة ، ٤٠١ .

(٢) معجم المؤلفين : عمر كحالة ، ج ٣٠٧/٥ .

(٣) إيضاح المكنون : مير سليم ، ج٢٥٧/١ .

(٤) معجم المؤلفين : عمر كحالة ، ج ٣٠٧/٥ .

(٥) كشف الظنون : حاجي خليفة ، ج ٦٦٢/١ .

(٦) كشف الظنون : حاجي خليفة ، ج ٨٧٩/١ .

(٧) كشف الظنون : حاجي خليفة ، ج ١٢١١/٢ . وهو مطبوع قديماً .

(٨) معجم المؤلفين : عمر كحالة ، ج ٣٠٧/٥ . وهو مطبوع قديماً .

(٩) كشف الظنون : حاجي خليفة ، ج١٢٤٠/٢ . وهو مطبوع قديماً .

(١٠) هدية العارفين : إسماعيل بغدادي ، ج ٥٩٦/١ . وهو مطبوع .

(١١) كشف الظنون : حاجي خليفة ، ج ١٧٣٨/٢ .

١٧ – يواقيت الحكم[١] .

لعل هذه المصنفات هي الأشهر بين مصنفاته العديدة[٢] .

كان – رحمه الله تعالى – يتكلّم في ثلاثة عشر علماً . وكان يُقرأ عليه بمدرسته في طرفي النّهار دروساً في التّفسير ، وعلوم الحديث ، والمذهب ، والخلاف ، والأصول ، والنّحو . وكان يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر .

أفتى – رحمه الله تعالى – على مذهب الإمام الشّافعيّ ، ثمّ أفتى على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وكانت فتواه تُعرض على العلماء بالعراق ، فتعجبهم أشدّ الإعجاب ، فيقولون : سبحان من أنعم عليه .

شيوخه :

أخذ – رحمه الله تعالى – نور العلم عن كثير من العلماء الّذين تعدّدت مذاهبهم ، وتنوّعت اختصاصاتهم العلميّة ، نذكر من أبرزهم :

أ – في علم الحديث النّبوّي الشّريف :

١ – المحدّث أبو محمّد جعفر بن أحمد بن الحسن بن أحمد البغداديّ ، السَّرَّاج ، القارىء ، الأديب [٤١٧ – ٥٠٠هـ][٣] .

٢ – المحدّث أبو غالب محمّد بن الحسن بن أحمد بن الحسن بن خداداذا الباقلاني [٤٢٠ – ٥٠٠هـ][٤] .

٣ – الشّيخ الصّدوق أبو سعد محمّد بن عبد الكريم بن خُشَيش البغداديّ [٤١٣ – ٥٠٢هـ][٥] .

---

(١) كشف الظنون : حاجي خليفة ، ج ٢٠٥٣/٢ .

(٢) سيقوم المحققان بإصدار جميع أعماله محققة – إن شاء الله تعالى – تحت عنوان : (مكتبة الجيلاني) .

(٣) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٢٨/١٩ – ج ٤٤٠/٢٠ .

(٤) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٣٥/١٩ – ج ٤٤٠/٢٠ .

(٥) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٤٠/١٩ – ج ٤٤٠/٢٠ .

٤ – الشّيخ أبو بكر أحمد بن المظفّر بن حسين بن عبد الله بن سُوسن التّمار [٤١١ – ٥٠٣هـ][1] .

٥ – الشّيخ المُسند أبو القاسم عليّ بن أحمد بن محمّد بن بيان بن الرَّزَّاز البغداديّ [٤١٣ – ٥١٠هـ][2] .

٦ – الشّيخ الثّقة أبو طالب عبد القادر بن محمّد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف البغداديّ اليوسفي [٤٣٠ – ٥١٦هـ][3] .

٧ – الشّيخ المحدّث أبو البركات هِبَةُ الله بن المبارك بن موسى البغداديّ السَّقَطِي [٤٤٥ – ٥٠٩هـ][4] .

٨ – الشّيخ أبو العزّ محمّد بن المختار بن محمّد بن عبد الواحد بن عبد الله بن المؤيّد بالله الهاشمي العباسي [٤٢٨ – ٥٠٨هـ][5] .

ب – في علم الفقه :

١ – العلامة شيخ الحنابلة أبو سعد المبارك بن المُخرِّمي البغداديّ [ت ٥١٣هـ][6] .

٢ – العلامة شيخ الحنابلة أبو الوفاء عليّ بن عقيل بن محمّد بن عقيل بن عبد الله البغداديّ الظَّفَري [٤٣١ – ٥١٣هـ][7] .

---

(١) لسان الميزان : لابن حجر العسقلاني ، ج ٣١١/١ .
(٢) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٥٧/١٩ – ج ٤٤٠/٢٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٣٨٦/١٩ – ٣٨٧ .
(٤) لسان الميزان : لابن حجر العسقلاني ، ج ١٨٩/٦ – ١٩٠ .
(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : لابن الجوزيّ ، ج ١٨٢/٩ .
(٦) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٤٢٨/١٩ .
(٧) مختصر طبقات الحنابلة : لابن شطي ، ٤٠ – ٤٢ .

٣ ـ الإمام شيخ الحنابلة أبو الخطّاب محفوظ بن أحمد بن حسن بن حسن العِراقي الكَلْواذَانِي [٤٣٢ ـ ٥١٠هـ][١] .

ج ـ في علم الأدب واللّغة :

١ ـ إمام اللّغة أبو زكريا يحيى بن علي بن محمّد بن حسن بن بسطام الشَّيباني الخطيبُ التّبريزيُ [٤٢١ ـ ٥٠٢هـ][٢] .

تلاميذه :

سمع منه كثير من الخلق ، إذ كان يحضر مجلسه أكثر من سبعين ألف ، منهم من كان يلازمه ملازمة تامّة ، وهم كثر ، نذكر من أشهرهم :

١ ـ الزّاهد العابد شيخ العراق أبو عليّ الحسن بن مسلّم بن أبي الجود الفارسيّ العراقيّ [٤٠٤ ـ ٥٩٤هـ] . وقد أخذ عنه الفقه والقرآن[٣] .

٢ ـ القُدوة العارف أبوعبد الله محمّد بن أبي المعالي بن قايد الأوانيّ [ت ٥٨٤][٤] .

٣ ـ قاضي الدّيار المصرّية الإمام الزّاهد الأوحد أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن دِرباس بن فِيْر بن جَهْم بن عَبْدُوس المارانيّ الكرديّ الشّافعيّ [٥١٦ ـ ٦٠٥هـ][٥] .

٤ ـ الإمام الحافظ الأثريّ أبو محمّد عبد الغني بن عبد الواحد بن عليّ بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر المقدسيّ الحنبليّ [٥٤١ ـ ٦٠٠هـ] وقد حدّث عنه[٦] .

(١) مختصر طبقات الحنابلة : لابن شطي ، ٣٥ ـ ٣٦ . والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد : للعليمي ، ج ٢/٢٣٧ .

(٢) معجم الأدباء : لياقوت الحموي ، ج ٢٠/٢٥ ـ ٢٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢١/٣٠١ .

(٤) الوافي بالوفيات : للصفدي ، ج ٤/٣٥٢ .

(٥) التكملة لوفيات النقلة : للمنذريّ ، ج ٢/١٥٦ .

(٦) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢١/٤٤٣ ـ ٤٧١ .

٥ ـ الشّيخ الإمام القدوة أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن محمّد بن قدامة بن مِقدام بن نصر المقدسيّ الحنبليّ (صاحب المُغني) [٥٤١ ـ ٦٢٠هـ][(١)] . قال : أقمنا عنده في مدرسته شهراً وتسعة ايام ثمّ مات[(٢)] .

٦ ـ الشّيخُ المسند أبو المعالي أحمد بن عبد الغني بن محمّد بن حنيفة الباجِسْراني التانىءُ [٤٨٩ ـ ٥٦٣هـ][(٣)] .

٧ ـ القاضي أبو المحاسن عمر بن علّي بن الخضر القُرشيّ [٥٢٥ ـ ٥٧٥هـ][(٤)] .

٨ ـ الإمام الحافظ الثّقة أبو سعد عبد الكريم بن محمّد بن منصور بن محمّد بن عبد الجبّار التّميميّ السّمعانيّ [٥٠٦ ـ ٥٦٢هـ][(٥)] .

٩ ـ الشّيخ الثّقة أبو طالب عبد اللّطيف بن محمّد بن عليّ بن حمزة بن فارس بن القُبيّطيّ الحَرّانيّ [٥٥٤ ـ ٦٤١هـ][(٦)] .

١٠ ـ الشّيخ العدل أبو العباس أحمد بن المفرّج بن عليّ بن عبد العزيز بن مَسلمة الدّمشقيّ [٥٥٥ ـ ٦٥٠هـ][(٧)] .

أشهر علماء عصره :

يتّسم القرن الخامس في تاريخ الإسلام بسعةٍ في العلم ، وتقدّم في الآداب ، قد نبغ فيه علماء كبار ومؤلفون بارعون . قد كان من رجال آخر هذا القرن العلامة (أبو إسحاق الشّيرازيّ) ، و(حجة الإسلام الغزاليّ) ، و(أبو الوفاء ابن عقيل) ،

---

(١) فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي ، ج ٢/٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(٢) العبر في خبر من غبر : للذهبيّ ، ج/٣٦ .

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : لابن الجوزيّ ، ج١٠/٢٢٣ .

(٤) الكامل في التاريخ : لابن الأثير ، ج١١/٤٦١ .

(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : لابن الجوزيّ ، ج ١٠/٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٦) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٣/٨٧ .

(٧) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٣/٢٨١ ـ ٢٨٢ .

و(عبد القاهر الجرجاني) ، و(أبو زكريا التّبريزيّ) ، و(أبو القاسم الحريري) ، و(جاد الله الزّمخشري) ، و(القاضي عياض المالكي) ، الّذين ظلوا قروناً مسيطرين على العقول والاتجاهات ، وكانوا مدارس أدبيّة علميّة ، لم يكن لأحد في هذا العهد الزّاخر بالحياة العلميّة ونوابغ الفنّ كالقرن الخامس والسّادس ، وفي بلد زاخر بالمدارس وحلقات الدّروس كبغداد ، أن يؤثر في مجتمعه الّذي قطع شوطاً واسعاً في العلم ، وانتشرت الثّقافة في طبقاته انتشاراً كبيراً ، ولم يكن له أن يلفت إليه الأنظار ، وينفذ إلى أعماق النّفوس والقلوب ، وتخضع له الطّبقات المثقفة وحملة لواء العلم في عصره ، إلاّ إذا كان عالي الكعب طويل الباع في العلوم السّائدة ، متضلّعاً من علوم الدّين والدّنيا ، قد أقرّ له معاصروه بالفضل ، وشهد له علماء بلده بغزارة العلم وسعة المعارف[1] .

مناقبه :

للشّيخ عبد القادر – رحمه الله تعالى – صفات حميدة ، ومآثر كثيرة ، فقد اشتهر بالأحوال والكرامات حتّى تواترت عنه .

قال الشّيخ عزّ الدّين بن عبد السّلام : ما نُقلت إلينا كرامات أحد بالتّواتر إلاّ الشّيخ عبد القادر[2] . وكذا قاله شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –[3] .

دان جميع العلماء والأولياء في عصره للشّيخ ؛ ففي الفقه بزّ أقرانه العلماء ، وخضعت له رقاب الأولياء ، كما اشتهر عنه قوله : (قدمي هذه على رقبة كلّ ولي لله) . وقد اعترفت له سائر العلماء وسائر الأولياء بذلك ، وبايعوه بالسّلطنة عليهم ، فأضحى سلطان الأولياء .

ولما اشتهر أمره اجتمع عليه مئة فقيه من أعيان فقهاء بغداء وأذكيائهم ، على أن

(١) رجال الفكر والدعوة : محمّد أبو الحسن الندويّ .

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، ج ٤/٢٠٠ .

(٣) تتمة المختصر في أخبار البشر : لابن الوردي ، ج ٢/١١١ .

يسأله كلّ واحد منهم مسألة واحدة في فنٍّ من العلوم غير مسألة صاحبه ، ليقطعوه بها ، وأتوا مجلس وعظه . فلمّا استقرّ بهم الجلوس ، أطرق الشّيخ – رحمه الله تعالى –، فظهرت من صدره بارقة من نور لا يراها إلاّ من شاء الله تعالى ، ومرّت على صدور المئة ، ولا تمرّ على أحد منهم إلاّ بُهت واضطرب ، ثمّ صاحوا صيحة واحدة ، ومزّقوا ثيابهم ، وكشفوا رؤوسهم ، وصعدوا إليه فوق الكرسيّ ، ووضعوا رؤوسهم على رجليه ، وضجّ أهل المجلس ضجّة واحدة ، خال النّاس منها أنّ بغداد قد زلزلت ، فجعل الشّيخ يضمّ إلى صدره واحداً بعد الآخر ، حتّى أتى إلى آخرهم ، ثم قال لأحدهم : أمّا أنت فمسألتك كذا ، وجوابها كذا ، وهكذا إلى أن أتمّ المئة ، فلما انفض المجلس سألهم مُفْرِج بن نبهان ما شأنكم ؟ قالوا : إنّا لمّا جلسنا فقدنا جميع ما نعرفه من العلم ، حتّى كأنّه لم يمرّ بنا قط ، فلما ضمّنا إلى صدره رجع إلى كلّ منّا ما نُزع من العلم[1] .

لم ينخدع الشّيخ – رحمه الله تعالى – بالمقامات الّتي أصبح يراها . بل عرف أنّ علم الحقيقة إنّما هو موافقة لرسوم الشّريعة مع علم المعرفة ، وأيّ مخالفة لعلم الشّريعة يعني ولوج الشّيطان في السّلوك ، ولو كان وليّاً . يقول الشّيخ – رحمه الله تعالى – : خرجت في بعض سياحاتي إلى البريّة ، ومكثت أياماً لا أجد ماء ، فاشتد بي العطش ، فأظلتني سحابة ونزل عليّ منها شيء يشبه النّدى ، فرويت ، ثمّ رأيت نوراً أضاء به الأفق ، وبدت لي صورة ، ونوديت يا عبد القادر : أنا ربّك ! وقد أحللت لك المحرمات ، أو قال : ما حرمت على غيرك ، فقلت : أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم ، إخسأ يا لعين ، فإذا ذلك النّور ظلام ، وتلك الصّورة دخان ، ثمّ خاطبني وقال : يا عبد القادر ، نجوت منّي بعلمك بحكم ربّك ، وفقوتك في أحوال منازلاتك ، ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطرّيق ، فقلت : لربّي الفضل والمنّة . قال : فقيل له : كيف علمت أنّه شيطان ؟ قال : يقول : حللت لك المحرمات[2] .

---

(١) قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر : للحلبي ، ٣٣ .

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، ج ٤/ ٢٠٠ .

ويقول – رحمه الله تعالى – حاثّاً على التّمسك بالكتاب والسّنّة والتزام نهج أتباع الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم : كلّ حقيقة لا تشهد لها الشّريعة فهي زندقة ، طِرْ إلى الحقّ عزّ وجلّ بجناحي الكتاب والسّنّة ، ادخل عليه ويدك في يد الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ، اجعله وزيرك ومعلّمك ، دع يده تزيّنك وتمشطك وتعرضك عليه [1] .

كان – رحمه الله تعالى – يتكلّم على الخواطر في مجلسه رغم أنّ مجلسه يضمّ سبعين ألف ، وقد كثر تواتر الرّوايات حول ذلك ، يقول الشّيخ أبو بكر العماد – رحمه الله تعالى – كنت قرأت في أصول الدّين ، فأوقع عندي شكّاً ، فقلت : حتّى أمضي إلى مجلس الشّيخ عبد القادر ، فقد ذُكر أنّه يتكلّم على الخواطر ، فمضيت وهو يتكلّم ، فقال : اعتقادنا اعتقاد السّلف الصّالح والصّحابة . فقلت في نفسي : هذا قاله اتّفاقاً ، فتكلّم ثمّ التفت إلى ناحيتي ، فأعاده ، فقلت : الواعظ قد يلتفت ، فالتفت إليّ ثالثة ، وقال : يا أبا بكر ، فأعاد القول ، ثمّ قال : قم قد جاء أبوك . وكان غائباً ، فقمت مبادراً ، وإذا أبي قد جاء [2] .

وفي ذلك يقول السُّهْرَوَرْدِيّ : عزمت على الاشتغال بأصول الدّين ، فقلت في نفسي : أستشير الشّيخ عبد القادر ، فأتيته ، فقال قبل أنْ أنطق : يا عُمَرُ ، ما هُوَ مِنْ عُدَّةِ القبرِ . يا عُمَرُ ، ما هُوَ مِنْ عُدَّةِ القبرِ [3] .

كان – رحمه الله تعالى – في شبابه حينما يشتغل بالعلم ويطرقه الحال ، يخرج إلى الصّحاري ليلاً أو نهاراً ، هائماً على وجهه ، حتّى يسمعه العيّارون [4] ، فيفزعون من

---

(١) الفتح الرباني والفيض الرحماني : للجيلاني ، المجلس الرابع والأربعون . وسيصدر بتحقيقنا – إن شاء الله تعالى – .

(٢) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٤٤٢/٢٠ .

(٣) طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلي ، ج ٢٩٦/١ – ٢٩٧ .

(٤) قال الفيروز أبادي في « القاموس » ، ج٩٨/٢ : العيّار : الكثير المجيء والذهاب .

شدة صيحته ، فيحسبوه ميت . وكان – رحمه الله تعالى – يهمّ بعد ذلك بالخروج من بغداد ، فيسمع هاتف أن ارجع إلى النّاس فإنّ فيك منفعة .

وهذا ما يفسر وجود الخلق الكثير الّذين يحضرون دروسه ، ويتوبون عليه ، والخلق الكثير من النّصارى واليهود الّذين أسلموا على يديه[1] .

قال أبو الثّناء النهرملكي : تحدثنا أنّ الذّباب ما يقع على الشّيخ عبد القادر . فأتيته ، فالتفت إليّ ، وقال : أيشٍ يعمل عندي الذّباب ، لا دِبْسُ الدّنيا ، ولا عسل الآخرة[2] .

عُرف الشّيخ – رحمه الله تعالى – بالإيمان الرّاسخ ، وعقيدة التّوحيد السّليمة ، فلم تغرّه الدّنيا ، ولم ينظر إلى زخرفها ، ورأى أنّ الأسباب إنّما هي بيد المُسبِّب عزّ وجلّ ، وليست الأسباب بيد الخَلْق من الأغنياء والأمراء والمتنفذين ، يضرب على ذلك مثلاً في تحقير هؤلاء الخَلْق : اجعل الخليقة أجمع كرجُلٍ كَتَفَهُ سلطان عظيمٌ مُلكُهُ ، شديد أمره ، مهولة صولته وسطوته ، ثمّ جعل الغلّ في رقبته مع رجليه ، ثمّ صلبه على شجرة الأرز على شاطىء نهر عظيم موجُه ، فسيح عرضه ، عميق غوره ، شديد جريُه ، ثمّ جلس السّلطان على كرسي عظيم قدره ، عالية سماؤه ، بعيد مرامه ووصوله ، وترك إلى جنبه أحمالاً من السّهام والرّماح والنّبل وأنواع السّلاح والقسيِّ ممّا لا يبلغ قدرها غيره ، فجعل يرمي إلى المصلوب بما شاء من ذلك السّلاح ، فهل يحسن لمن رأى ذلك أن يترك النّظر إلى السّلطان ، ويترك الخوف منه والرّجاء له ، ويخاف من المصلوب ويرجو منه ؟ أليس من فعل ذلك يسمّى في قضية العقل عديم العقل ومجنوناً ، بهيمة غير إنسان[3] !.

كان – رحمه الله تعالى – سريع الدّمعة ، شديد الخشية ، كثير [الورع] ، مجاب

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، ج٤/٢٠٢ بتصرف .

(٢) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج ٢٠/٤٤٨ .

(٣) فتوح الغيب : للجيلانيّ ، المقالة السابعة عشرة . وسيصدر بتحقيقنا - إن شاء الله تعالى - .

الدّعوة ، كريم الأخلاق ، طيّب الأعراق ، أبعد النّاس عن الفحش ، أقرب النّاس إلى الحقّ ، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله ، ولا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لغير الله ، ولا يردّ سائلاً ولو بأحد ثوبيه[1] .

لعلّ ما ذكرناه من الكرامات والمناقب تختصّ في العلم والعلماء وشرفه ورفعته ومنزلته فوقهم جميعاً ، لكن لو ذهبنا نتلمّس كراماته الأخرى لوجدناها كثيرة جداً ، ولما استطعنا حصرها ، كما أشار إلى ذلك أغلب العلماء ، فقد أفردوا الكثير من المصنفات النّفيسة في مناقبه وكراماته ، آثرنا إثباتها لمن يحب الاطلاع[2] .

وفاته :

أمضى الشّيخ – رحمه الله تعالى – الفترة الأولى من حياته في طلب العلوم وجمعها وتحصيلها ، ثمّ تصدّر أربعون سنة مجلس الكلام والوعظ ، في مدرسته بباب الأزج ، من سنة (٥٢١هـ) إلى سنة (٥٦١هـ) .

أمّا مدة التّدريس والفتوى بمدرسته ، فكانت ثلاث وثلاثون سنة ، من سنة (٥٢٨هـ) إلى سنة (٥٦١هـ)[3] .

لم يدّخر الشّيخ – رحمه الله تعالى – وقتاً إلاّ وأنفقه في العلم والجدّ ، من تحصيل وتدريس ، وفُتيا ، وتوجيه ، ووعظ ، وإرشاد ، وأحوال ، ومقامات ، وكشف ، ومشاهدة ، فكان العالم والزّاهد والعابد والعارف .

---

(١) تفريج الخاطر : الأربلي ، ١٥ .

(٢) **المخطوطة** : مناقب عبد القادر الجيلاني : ق ٥٢/أ – ٥٩/ب ، ظاهرية عام ٤٦٥٦ . نبذة من مناقب عبد القادر الجيلاني : ق ١٠٥/أ – ١١٠/ب ، ظاهرية عام ١٣٦٧ . مناقب عبد القادر الجيلاني : ظاهرية تاريخ ٧٤ . تنور الأولياء ورموز الأصفياء : ق ٣٤/أ – ٣٥/أ ظاهرية عام ١٩٨٢ . **المطبوعة** : الكواكب الدريّة في مناقب القادريّة : محمّد رشيد الرافعي . قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر : محمد التادفي الحلبي ، الباز الأشهب في حياة السيد الجيلاني . نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة الشريف عبد القادر : آرتين أصادوربيان . تفريج الخاطر في مناقب عبد القادر : الأربلي .

(٣) مختصر طبقات الحنابلة : لابن شطي ، ٤١ .

عاش الشّيخ – رحمه الله تعالى – تسعين سنة ، وانتقل إلى الله تعالى في عاشر ربيع الآخر ، سنة إحدى وستين وخمس مئة ، وشيّعه خلق لا يحصون ، ودفن بمدرسته – بباب الأزج ببغداد – رحمه الله تعالى[1] .

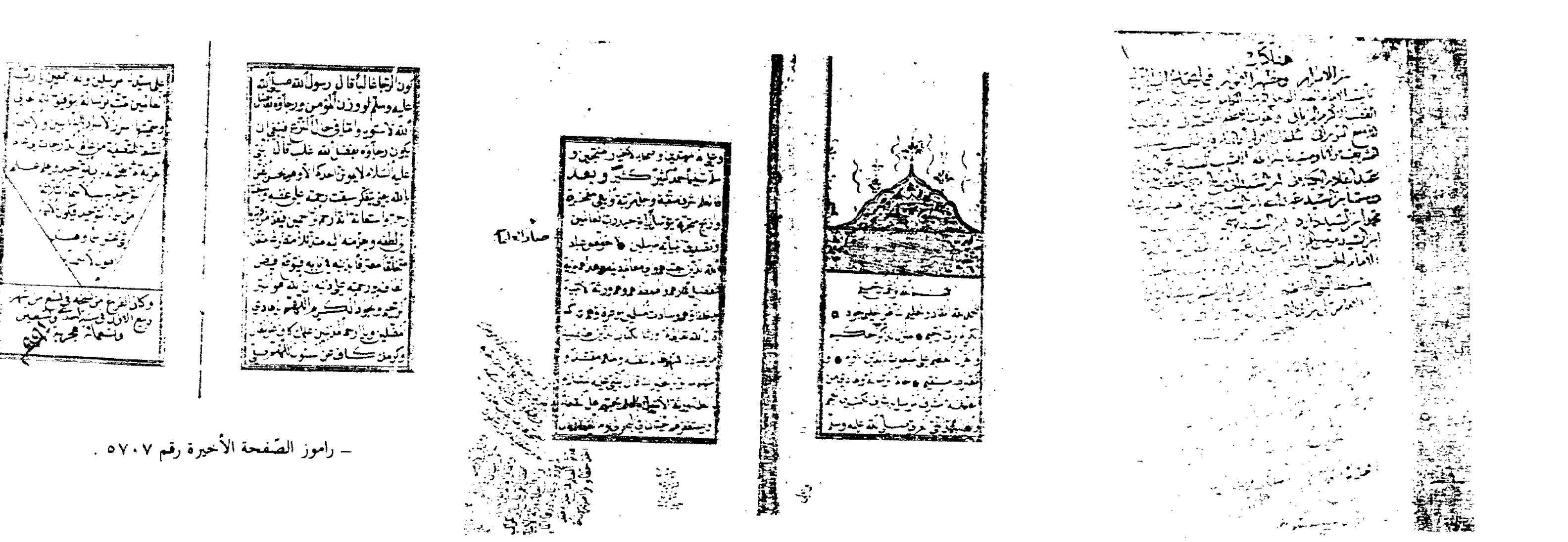
ولله درُّ من قال مشيراً لولادته ووفاته ومدة حياته :

لَقَـدْ كَانَ في عِشْـق عُمْـرٌ بِـهِ نَمَـا ولقيـاه للمـولى تمـام سـيـادة

٤٧٠هـ	٩١	(٥٦١هـ) وفاته
ولادته	حياته	

* * *

(١) سير أعلام النبلاء : للذهبيّ ، ج٢٠/٤٥٠ .



– راموز الصّفحة الأولى (العنوان) رقم ٥٧٠٧ ورمزنا لها بـ : (ظ) .

– راموز الصّفحة الثّانية رقم ٥٧٠٧ .

– راموز الصّفحة الأخيرة رقم ٥٧٠٧ .

– راموز الصّفحة الأولى رقم ٩١٧٧ .

– راموز الصّفحة الأخيرة رقم ٩١٧٧ .

— راموز الصّفحة الأولى (العنوان) رقم ١١٢٤٢ .

راموز الصّفحة الثّانية رقم ١١٢٤٢ .

— راموز الصّفحة الأخيرة رقم ١١٢٤٢ .

— راموز بداية المخطوط رقم ٣٩٥٦ وهي مخرومة الأوّل .

— راموز الصّفحة الأخيرة رقم ٣٩٥٦ .

ـ راموز الصّفحة الأولى (العنوان) رقم ٦٩١٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ـ راموز الصّفحة الثّانية رقم ٦٩١٩ .

ـ راموز الصّفحة الأخيرة رقم ٦٩١٩ .

تقدمة من الفقير محمد جمال الدين [illegible]

[illegible]

ـ راموز بداية المخطوط رقم ٧٣٨٩ .

يا محمد بشر المذنبين فاني غفور وانذر
الصديقين باني غيور فان كرامة الاوليا
واحوالهم غير مامونة من المكر والاستدراج
بخلاف معجزات الانبيا فانها مامونة من
ذلك ابدا وقد قيل خوف الخاتمة هي
سبب النجاة من سوء الخاتمة قال
الحسن البصري ان اولياء الله بالخوف
ارتقوا الى اعلا عليين فينبغي ان يكون
الخوف فاما في المرض ينبغي ان يكون
الرجاء بفضل الله اغلب كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن
بالله يعني يتفكر سبقت رحمته على غضبه
تعالى وسعت رحمته واستغنا او وهو

ارحم الراحمين فيفر من قهره الى لطفه
ويفر منه اليه متذللا ومتضرعا متألما
معتذرا معترفا بذنوبه في بابه فيتوقع
فيض اللطافة ورحمته عليه وعفوه عن
ذنوبه انه هو البر الرحيم اللهم يا هادي
المضلين ويا راحم المذنبين علمك كاف
عن المقال وكرمك كاف عن السؤال و
فضلك كاف عن الكلال وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه اجمعين
خاتمة الخاتمة

ـ راموز الصّفحة الأخيرة رقم ٧٣٨٩ .

رقم الكتاب في الوطنية
١٥٥
اسرار الأسرار لسيد
عبد القادر
الجيلاني

– راموز الصّفحة الأولى (العنوان) رقم ١٨٥٨١ .

– راموز الصّفحة الثانية رقم ١٨٥٨١ .

– راموز الصّفحة الأخيرة رقم ١٨٥٨١ .

مصطلحات الكتاب

– أ –

الأحديّة : اسم الذّات الأعلى مع إسقاط جميع المخلوقات .

أسماء التّوحيد : وهي سبعة أصليّة يتفرّع عنها ستة أسماء فرعيّة ، تسمّى بمجموعها أسماء التّوحيد . الأصلية : (لا إله إلاّ الله ، هو ، حي ، واحد ، عزيز ، ودود) . والفرعيّة : (حق ، قهار ، قيوّم ، وهّاب ، مهيمن ، باسط)[1] .

الأُنسيّة : تلذذ الرّوح بكمال المشاهدة في القلب .

أهل الصّفّة : أصحاب رسول الله ﷺ الّذين تفرغوا للدّعوة من الفقراء .

– ب –

البداية : هي التّحقّق بالأسماء والصّفات في عالم الأرواح .

البصيرة : هي قوّة تُفتح في القلب للأولياء ، منوّرة بنور القدسِ (الحقّ) ، يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها . وتسمّى القوّة القدسيّة .

– ت –

التّجريد : هو خلع العبد سرّه عمّا سوى الله تعالى من الأغراض الدّنيويّة ، ومن الأغراض الآجلة والعاجلة لوجوب حقّ الله تعالى .

التّجلّي : هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب .

تجلّي الذّات : هو المكاشفة . ويكون مبدؤه الذّات ، ولا يحصل إلّا بواسطة الأسماء والصّفات .

تجلّي الصّفات : هو قبول ذات العبد الاتصاف بصفات الرّبّ .

(١) من قول الشيخ عبد القادر الجيلانيّ في كتابه (الأسماء العظيمة للطريق إلى الله) ، وسيصدر بتحقيقنا إن شاء الله تعالى .

التّلبيس : هو ظنّ ارتداء ثوب الاستقامة والتّوحيد والإخلاص . والحقيقة أنّه ارتداءٌ لزيّ الشّيطان ، وقد يُجري على يديه الكرامات ، ونسمّيها المخادعات .

التّوحيد : هو الحكم بوحدانيّة الله تعالى دون شريك ، وله أركان ومراتب .

– ج –

الجسم الجسماني (الجسمانيّة) : هو الجسم في عالم المُلك .

الجلاليّة (الجلال) : صفة القهر ، والعظمة والكبرياء والمجد والسّناء والإقتدار .

– ح –

الحجب الظُّلمانيّة : هي حائل بين المطلوب وبين طالبه ، وهي حائل ظلمة الجسم كالشّهوات واللّذّات .

الحجب النُّورانيّة : هي حائل بين المطلوب وبين طالبه ، وهي حجب نور الرّوح كالمدركات الباطنة من العقل والسّرّ والرّوح الخفيّ .

حجلة الأُنس : هو عالم اللاّهوت .

حقّ اليقين : هو منتهى غاية الواصلين ، والصّدق اليقينيّ ، يشهده السّالكون في المقامات العليا حيث فناء العبد في الحقّ .

الحقيقة المحمّديّة : هي مصدر الحياة الرّوحيّة والحيويّة لقلوب المؤمنين ، وهي الذّات المحمّديّة ، وهي أيضاً آلة الخلق والإبداع لما سواها .

– د –

الدّرجات : هي الثّواب للعبد نتيجة تقيده بعلم الظّاهر (الشّريعة) .

دار الفروانيّة : هي دار ذات مقامات عالية فيها يحفظ الله العارفين ويحجبهم عن الأكوان ستراً . ينزل العارفون بها تحت قباب تبعاً لدرجات وصولهم .

– ر –

الرّؤى : هي سرّ من العلم يودعه الله تعالى قلب عبده المخلص .

الرّوح الأعظم : هو العقل الأوّل ، والحقيقة المحمّديّة ، والنّفس الواحدة ، وهو أوّل موجود خلقه الله ، والخليقة الأكبر ، والجوهر النّوراني ، يسمّى باعتبار الجوهريّة نفساً واحدة ، وباعتبار النّورانيّة عقلاً أوّلاً . وله في العالم مظاهر وأسماء كالعقل الأوّل ، والقلم الأعلى ، والنّور ، والنّفس الكلّيّة ، واللّوح المحفوظ .

الرّوح الرّواني : هو كسوة الأرواح من النّور في عالم الملكوت . ويسمّى الروّح السّيراني .

الرّوح السّلطاني : هو نور من الله تعالى يخلعه على الأرواح بين العالَمين : عالم اللاّهوت وعالم الجبروت .

الرّوح السّيراني : الرّوح الرّواني (تقدّم) .

الرّوح القدسيّ : الكسوة من النّور في عالم اللاّهوت .

الرّياضة : تهذيب النّفس عن خلطات الطّبع ونزعاته .

– س –

سواد الوجه في الدّارين : هو الفناء في الله تعالى بالكلّيّة ؛ حيث لا وجود لصاحبه أصلاً ، ظاهراً وباطناً ، ودنيا وآخرة ، وهو الفقر الحقيقيّ ، والرّجوع إلى العدم الأصليّ .

– ط –

الطّريقة : السّيرُ بالسِّيَر المختصة بالسّالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والتّرقي في المقامات .

طفل المعاني : هو الصّورة الأولى الّتي خلق الله تعالى فيها الرّوح في عالم اللاّهوت ، لذلك سمّي الإنسان الحقيقيّ .

– ع –

العالم الأصليّ : هو العالم الّذي خلق الله تعالى فيه الأرواح من نور محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم . وهو عالم اللاّهوت .

عالم الجبروت : هو العالم الّذي هبطت إليه الأرواح من عالم اللاّهوت ، وهو العالم الأوسط بين عالم اللاّهوت وعالم الملكوت ، وأُطلق عليه عالم الجبروت لأنّ الله تعالى يُجري فيه الأمور مجرى أحكامه .

عالم الحقيقة : هو مقام الأنبياء والأولياء في عالم اللاّهوت . وقيل : إنّه إقامة العبد في محلّ الوصال مع الله تعالى . وقيل : هو الدّخول في عالم الإحسان . وهو عالم القربة .

عالم القربة : هو عالم الحقيقة .

عالم اللاّهوت: هو وطن الأرواح الأوّل الّذي خُلقت منه، وفيه يكون المحو والفناء لقرب الفاني من الله تعالى هناك، ولايمكن للملائكة ولاغيرهم الوصول إلى ذلك العالَم.

عالم الملكوت : هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنّفوس .

عالم المُلك : هو عالم الشّهادة ، أو عالم الأجسام والأغراض ، فيه تدخل الأرواح الأجساد . وهو العالم السّفليّ .

علم الباطن : هوالعلم الّذي يظهر في القلب دون الظّواهر . تقسمه السّادة الصّوفيّة إلى علم : الحال ، والخواطر ، واليقين ، والإخلاص ، ومعرفة أخلاق النّفس ، ومعرفة أقسام الدّنيا ، والضّرورة وحقائق التّوبة ، والتّوكل ، والزّهد ، والإنابة ، والفناء ، والعلم اللّدنيّ .

علم الحقيقة : هو اجتماع علميّ الباطن والظّاهر .

علم الظّاهر : هو العلم الّذي يبدو على الجوارح الظّاهرة ، وهو العلم المفروض على كلّ مسلم ومسلمة أن يتعلّمه . وهو علم الشّريعة .

علم الفرقان: هو سراج القلب يرى به خيره وشرّه، وبقدر مايتفكّر في ملكه وملكوته وصفاته يزداد حبّه لانكشاف جماله وتدبّر معاني أسمائه وصفاته. وهو علم التّفكّر.

علم اليقين : هو العلم الّذي منحه الله تعالى حظوة لأوليائه المقرّبين الصّالحين ، عن طريق الإلهامات والتّجلّيات والفتوحات والكشوفات والمشاهدات . وهو العلم اللّدنيّ .

عين الرّوح : هي البّصيرة (تقدّمت) .

عين اليقين : هي الهبة الرّبّانيّة من علم اليقين .

ـ ف ـ

الفاني : هو الّذي فنيَ عن شهود حظوظ نفسه .

الفقر : مقام شريف ، يتخلّى الفقراء عن كلّ شيء ، ولا يستغنون إلّا بالله تعالى .

الفناء: استبدال الصّفات الحسنة الإلهيّة، دون الذّات، بالصّفات الذّميمة البشريّة.

ـ ق ـ

القربة : تَمَكُّنُ العبد من الأسماء والصّفات في العلم والمعرفة ، بحيث لا يستعصي عليه شيء ممّا يطلب .

القدرة : هي القوّة المُبرزة للموجودات من العدم ، بها ظهرت الرّبوبيّة .

ـ ك ـ

الكسوة العنصريّة : هي الكسوة في عالم المُلك من النّور .

الكنز : الهوية الأحديّة المكنونة في الغيب .

ـ م ـ

المحويّة : هي انسلاخ العبد عن كلّ وجود غير وجود الحقّ .

المشاهدة : هي رؤية الحقّ ببصر القلب .

المعرفة : هي صفة الوليّ الّذي عرف الحقّ سبحانه بأسمائه وصفاته ثمّ صدق الله تعالى في معاملاته ، ثمّ تنقّى عن أخلاقه الرّديئة وآفاته ، ثمّ طال وقوفه ، ودام اعتكافه ومناجاته في السّرّ مع الله تعالى ، حتّى صار مُحدَّثاً من قبل الحقّ بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره ، فيسمّى عندئذ عارفاً .

المقـام : هو مقـام العبد بين يدي الله تعالى فيما يقيم فيه نفسـه من المجاهدات والرّياضات والعبادات ، كالتّوبة والزّهد والصّبر والتّوكل ، ولا يرتقي من مقام لآخر ما لم يستوفِ أحكام المقام الأوّل .

المكاشفة: الاتصال بالقلوب فينكشف لها مااستتر على الفهم، وكأنّها رؤية العين.

ـ ن ـ

النّفس الأمّارة : هي النّفس الخاضعـة لمقتضيـات الطّبيعة البّشريّة الشّهوانيّة ، فتنهمك باللّذّات دون مبالاة بالأوامر والنّواهي .

النّفس المطمئنة : هي النّفس الّتي تسكن إلى الحقّ وتطمئن به .

النّفس المُلْهَمَـة : هي النّفس الّتي تفعـل الخير بإلهام إلهيّ ، أمّا الشّـرّ فتفعـله بالاقتضاء الطّبيعيّ .

النّهاية : هي العودة إلى الصّفاء الّذي كان قبل التّعلّق بالجسد .

النّور القدسيّ : هو ما يفيض من النّور على عالم الملكوت والجبروت .

ـ و ـ

الوجد : هو خشـوع الرّوح عند مطـالعة سرّ الحقّ . وقيل : عجز الرّوح من احتمال غلبة الشّوق عند وجود حلاوة الذّكر .

الوجود : هو فناء البشريّة عند غلبة سلطان الحقيقة .

الوصـال : هو الاتصـال بالحقّ على قدر الانقطاع عن الخلق ، وأدنى الوصال المشاهدة بعين القلب ، فإذا رفع الحجاب وتجلّى له يقال للسّالك حينئذ : واصل .

الوطن الأصليّ : هو عالم اللاّهوت (تقدّم) .

ـ ي ـ

اليقين: هو ارتفاع الشّكّ، وله ثلاثة أقسام: علم اليقين، وعين اليقين، وحقّ اليقين.

* * *

[٢/أ]

/ بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدّمة المؤلف]

الحمد لله القادر العليم ، النّاظر الحليم ، الجواد الكريم ، الرّبِّ الرّحيم ، منزِّل الذّكر الحكيم ، والقرآن العظيم ، على المبعوث بالدّين القويم ، والصّراط المستقيم . [والصّلاة والسّلام على] خاتم الرّسالة ، والهادي من الضّلالة ، المُشرَّف المُرسلِ بأشرف الكتب إلى العَجم والعرب ، محمّد النّبيّ [الأُميّ] العربيّ [الأمين] صلّى الله عليه وسلّم/ وعلى آله [هداة] المهتدين ، وأصحابه الأخيار {المنتجبين} ، وسلّم[٢/ب] تسليماً ، وحمداً كثيراً كثيراً .

وبعد :

فالعلم أشرف منقبة ، وأجلُّ مرتبة ، وأبهى مفخرة ، وأربح متجرة ، {إذ به} يُتوصَّل إلى توحيد ربِّ العالمين ، وتصديق أنبيائه المرسلين [صلوات الله عليهم أجمعين] .

صار العلماء خواصَّ عباد الله الّذين اجتباهم إلى معالم دينه ، وهداهم [إليه] بمزية الفضل ، فآثرهم واصطفاهم ، وهم ورثة الأنبياء وخلفاؤهم ، وسادة المسلمين وعرفاؤهم ،{كما} قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[١][سورة فاطر ٣٥/٣٢] .وكما قال النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياء بِالْعِلْمِ ، يُحِبُّهُمْ أَهْلُ

(١) أخرج أبو داود في « سننه » ، كتاب العلم ، باب : الحثّ على طلب العلم ، ٣٦٤١ ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقاًيطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة ، =

[٣/أ] السَّمَاء ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحِيتَانُ في الْبَحْرِ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ »(١) . قال/ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « يَبْعَثُ اللهُ العِبَادَ يَوْمَ القِيَامَةِ ثُمَّ يُمَيِّزُ العُلَمَاءَ ، فَيَقُولُ اللهُ [تَعَالَى] : يا مَعْشَرَ العُلَمَاءِ إنِّي لَمْ أَضَعْ عِلْمِي فِيْكُمْ إلاّ لِعِلْمِي بِكُمْ ، وَلَمْ أَضَعْهُ فَيْكُم لأُعَذِّبَكُمْ ، انطَلِقُوا إلى الجَنَّةِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم(٢) »(٣) .

والحمد لله ربّ العالمين على كلّ حال ، [الّذي] جعل الجنّة الدّرجة حظّاً للعابدين ، والقربة للعارفين .

أمّا بعد :

فلمّا خلق الله روح محمّد [صلّى الله عليه وآله وسلّم] أوّلاً من نور جماله كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « خَلَقْتُ مُحَمَّدَاً أَوَّلاً مِنْ نُورِ وَجْهِي »(٤) . وكما قال [النّبيّ] صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ رُوْحِي ، وَأَوَّلُ مَا خَلَقَ

= وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها رِضىً لطالب العلم ، وَإنّ العالم لَيَسْتَغْفِرُ له من في السموات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء ، وإنّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإنّ العلماء ورَثَةُ الأنبياء ، وإنّ الأنبياء لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا درهماً ، وَرَّثُوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر » .

(١) أخرجه الديلميّ في « الفردوس » ، ٤٢٠٩ ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه . قال المناويّ في « فيض القدير » ، ج٤/٣٨٤ : « العلماء ورثة الأنبياء » ؛ لأنّ الميراث ينتقل إلى الأقرب ، وأقرب الأمّة في نسب الدين العلماء الّذين أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على الأخرة ، وكانوا للأمّة بدلاً من الأنبياء الّذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل ، وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل . « يحبّهم أهل السماء »؛ سكانها من الملائكة . « وتستغفر لهم الحيتان ..» ؛ لأنّهم لما ورثوا عنهم تعليم النّاس الإحسان ، وكيفيته ، والأمر به إلى كلّ شيء ، ألهم الله الأشياء الاستغفار لهم؛ مكافأة على ذلك . قال الزمخشريّ : الحديث دليل على شرف العلم ، وإنافة محله ، وتقدّم حملته وأهله ، وأنّ نعمته من أجلّ النعم وأجزل القسم ، وأنّ من أُوتيه فقد أُوتي فضلاً عظيماً . وما سمّاهم الرسول ﷺ ورثة الأنبياء إلاّ لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة ، لأنّهم القُوّام بما بعثوا من أجله . والله أعلم .

(٢) أخرجه المنذري في « الترغيب والترهيب » ، ج١/١٠١ ، عن أبي موسى رضي الله عنه . وقال : رواه الطبراني في « الكبير » .

(٣) قال المنذريّ في « الترغيب والترهيب » ، ج١/١٠١ـ١٠٢ : عن أبي أُمامة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالعالم والعابد ، فيقال للعابد : ادخل الجنّة . ويقال للعالم : قف حتّى تشفع للنّاس » . وقال : رواه الأصبهاني وغيره . ومعنى الحديث : أنّ محبّة العلماء ، والسير على منهجهم سبب الفوز في الأخرة ، ويأذن الله للعلماء أن يشفعوا لمن يحبّون . والله أعلم .

(٤) لم نجده بهذا اللفظ . وقد ذكر الكتاني في « تنزيه الشريعة » ، ج١/٣٣٧ ، من حديث أبي هريرة [رضي الله عنه] : « خلقني الله من نوره.. » .

اللهُ نُورِي ، وَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ ، وَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ العَقْلَ »[1] . والمراد منهم شيء واحد وهو الحقيقة المحمّديّة ، لكن سُمّي نوراً لكونه صافياً عن الظّلمانيّة الجلاليّة/كما [٣/ب] قال الله تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ﴾[سورة المائدة ١٥/٥] . وعقلاً لكونه مدركاً للكلّيّات . وقلماً لكونه سبباً لنقل العلم ، كما أنّ القلم سبب نقل العلم في عالم الحروفات ؛ فالرّوح المحمّديّ خلاصة الأكوان ، وأوّل الكائنات وأصلها كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « أَنَا مِنَ اللهِ ، والمُؤْمِنُونَ مِنِّي »[2] . فخلق منه الأرواح كلّها في عالم اللاهوت في أحسن التّقويم الحقيقيّ ، وهو اسم حجلة الأنس في ذلك العالم ، وهو الوطن الأصليّ . فلمّا مضى عليها أربعة آلاف سنة خلق الله العرش من نور عين محمّد [صلّى الله عليه وآله وسلّم] ، وبواقي الكلّيّات منه ، فرُدّت الأرواح إلى درك أسفل الكائنات – أعني الأجساد – كما قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [سورة التّين ٥/٩٥] – يعني أنزلهم أوّلاً من عالم اللاهوت/ إلى عالم [٤/أ] الجبروت ، وألبسهم الله {تعالى} بنور الجبروت كسوة بين الحرمين – وهو الرّوح السّلطانيّ – ثمّ أنزلهم بهذه الكسوة إلى عالم الملكوت ، ثمّ كساهم بنور الملكوت – وهو الرّوح الرّوانيّ – ثمّ أنزلهم إلى [عالم] الملك وكساهم بنور الملك – وهو الرّوح {الجسمانيّ} – ثمّ خلق الله الأجساد كما قال الله تعالى : ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ.. ﴾ . [سورة طه ٥٥/٢٠] . ثمّ أمر الله تعالى الأرواح أن تدخل في الأجساد فدخلت بأمر الله تعالى

(١) أخرج أبو داود في « سننه » ، كتاب السنّة ، باب : في القدر ، ٤٧٠٠ ، عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ أوّل ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : ربّ وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كلّ شي حتّى تقوم الساعة » . وانظر تخريج الحديث الّذي سبق .

(٢) قال بعض الحفّاظ : لا يعرف هذا اللفظ مرفوعاً . لكن ثبت في الكتاب والسنّة أنّ المؤمنين بعضهم من بعض . وفي السنّة قوله ﷺ لحيّ الأشعريين : « هم منّي ، وأنا منهم » . وقوله ﷺ لعليّ [رضي الله عنه] : « أنت منّي ، وأنا منك » . وقوله ﷺ للحسين [رضي الله عنه] : « هذا منّي ، وأنا منه » . وعند الديلميّ بلا إسناد عن عبد الله بن جَرَاد مرفوعاً : « أنا من الله عزّ وجلّ والمؤمنون منّي ، فمن آذى مؤمناً فقد آذاني » . [المقاصد الحسنة : ١٧١ . الأسرار المرفوعة : ١١٩ . تنزيه الشريعة : ج٤٠٢/٢ . أسنى المطالب : ٩٤] .

كما قال الله تعالى : ﴿ ..وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي.. ﴾ [سورة الحجر ١٥/٢٩] فلمّا تعلّقت الأرواح بالأجساد نسيت ما اتّخذت من عهد الله الميثاق في يوم : ﴿ ..أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ.. ﴾(١) [سورة الأعراف ١٧٢/٧] فلم ترجع إلى الوطن [الأصليّ] ، فترحّم {الرّحمن} المستعان عليهم فأنزل إليهم كتاباً سماوياً ، تذكرة لهم بذلك الوطن [الأصليّ] كما قال الله تعالى : ﴿وَذَكِّرۡهُم/ بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٥] [٤/ب]
- أي : أيّام وصاله فيما سبق مع الأرواح - فجميع الأنبياء {عليهم الصّلاة والسّلام} جاؤوا في الدّنيا وذهبوا إلى الآخرة لذلك التّنبيه ، فقلّما يذكر منهم وطنه الأصليّ ويرجع ويشتاق إليه ، ويصل إلى العالم الأصليّ ، حتّى أفضت النّبوّة إلى الرّوح الأعظم المحمّديّ خاتم الأنبياء {عليه أفضل الصّلوات وأكمل التّحيّات وعلى جميع الأنبياء والمرسلين} فأرسله {الله تعالى} إلى هؤلاء النّاس الغافلين ليفتح عين بصيرتهم من نوم الغفلة ، ويدعوهم إلى الله [تعالى] ووصاله ، ولقاء جماله كما قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي.. ﴾[سورة يوسف ١٢/١٠٨] والبصيرة عين الرّوح ، تُفْتَحُ في مقام الفؤاد للأولياء ، وذلك لا يحصل بعلم الظّاهر بل بعلم الباطن اللّدنّي كما قال الله تعالى : ﴿ ..وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/٦٥] فالواجب على الإنسان/ تحصيل تلك العين من أهل البصائر بأخذ التّلقين [٥/أ] من وليّ مرشد يخبر من عالم اللاّهوت .

(١) أخرج الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الأعراف ، ٣٠٧٥ ، عن مسلم بن يسار الجُهنيّ أنّ عمر بن الخطّاب سُئِلَ عن هذه الآية ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنا عن هذا غافلين ﴾ [سورة الأعراف ١٧٢/٧] ، قال عمر بن الخطّاب : سمعت رسول الله ﷺ يُسئل عنها ، فقال رسول الله ﷺ : « إنّ الله خلق آدم ، ثمّ مسح ظهره بيمينه ، فأخرج منه ذرّية ؛ فقال : خلقت هؤلاء للجنّة وبعمل أهل الجنّة يعملون ، ثمّ مسح ظهره فاستخرج منه ذرّية ؛ فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » ، فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : « إنّ الله إذا خلق العبد للجنّة استعمله بعمل أهل الجنّة حتّى يموت على عمل من أعمال أهل الجنّة فيدخله الجنّة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتّى يموت على عمل من أعمال أهل النار ، فيدخله الله النار » .

فيا أيّها الإخوان : انتبهوا وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم بالتّوبة فادخلوا في الطّريق ، وارجعوا إلى ربّكم مع هذه القوافل الرّوحانيّة ، فعن قريب ينقطع الطّريق ولا يوجد الرّفيق إلى ذلك العالم ، فما جئنا {بتنقية} هذه الدّنيا الدّنيّة الخرّابيّة ولنقنع [بالمهمّات النّفسانيّة الخبيثة] {فنبيكم عليه الصّلاة والسّلام لأجلكم منتظر مغموم} كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « غُمِّيَ لأَجْلِ أُمَّتِي الَّذِيْنَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ »[1] .

{فالعلم المنزّل} علينا علمان ؛ ظاهر وباطن – يعني الشّريعة والمعرفة – فأمر بالشّريعة على ظاهرنا ، وبالمعرفة على باطننا ، لينتج من اجتماعهما علم الحقيقة كما قال الله [تعالى] : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [سورة الرّحمن ١٩/٥٥–٢٠] وإلاّ فبمجرّد/ علم الظّاهر لا تحصل الحقيقة ، ولا يصل إلى [٥/ب]
المقصود ، والعبادة الكاملة بهما ، لا بواحدهما ، كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذّاريات ٥١/٥٦] – أي : ليعرفوني[2] – فمن لم يعرفه كيف يعبده؟.

فالمعرفة إنّما تحصل بكشف حجاب النّفس عن مرآة القلب {بتصفيته} ؛ فيرى فيها جمال الكنز المخفيّ في سرّ لبّ القلب كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِيّاً فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَف ، فَخَلَقْتُ الخَلْقَ لِكَي أُعرف »[3] فلمّا بيّن الله تعالى خلق الإنسان لمعرفته {وجبت عليه معرفته} .

فالمعرفة نوعان . معرفة صفات الله ، ومعرفة ذات الله .

فمعرفة الصّفات تكون حظّ الجسم في الدّارين ، ومعرفة الذّات {تكون} حظّ

(١) لم نعثر عليه .

(٢) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : لولا الحقّ ما وجد الخلق ، ولولا الخلق ماظهر الحقّ [قاله الشيخ الأكبر] .

(٣) قال القاري في « الأسرار المرفوعة » ، ٣٥٣ : معناه صحيح ، مستفاد من قوله تعالى : ﴿وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [سورة الذاريات ٥١/٥٦] . أي : ليعرفوني كما فسره ابن عبّاس رضي الله عنهما . وله شاهد قاله الألوسي في « روح المعاني » ، ج٢٧/٢٦ : روى الديلميّ في « مسنده » ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « كنز المؤمن ربّه » . أي : فإنّ منه ـــ سبحانه ـــ كلّ ما يناله من أمر نفيس في الدارين .

[٦/أ] الرّوح/القدسيّ في الآخرة كما قال الله تعالى : ﴿..وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ..﴾ [سورة البقرة ٨٧/٢] {وهم مؤيدون بروح القدس} .

وهاتان المعرفتـان لا تحصـلان إلاّ بالعلمين ؛ علم الظّاهر وعلم الباطن كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « العِلْمُ عِلمَانْ : عِلْمٌ باللّسان ؛ وَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ تَعَالَى على ابنِ آدَمَ . وَعِلْمٌ بالجنَانِ ؛ فَذَلِكَ العِلْمُ النَّافِعُ »(١) .

[والإنسان] يحتاج أوّلاً إلى علم الشّريعة ليُحصّل الرّوحُ كسبَ البدن به وهو الدّرجات . ثمّ يحتاج إلى علم الباطن ليُحصّل الرّوحُ كسبَ معرفته في علم المعرفة ، وذلك لا يحصل إلاّ بترك الرّسومات الّتي هي مخالفة للشّريعة والطّريقة ، وحصوله بقبول المشقّات النّفسـانيّة والرّوحانيّة لرضاء الله تعالى بلا رياء ولا سمعة كما قال الله تعالى :
[٦/ب] ﴿..فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا/صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝﴾ [سورة الكهف ١١٠/١٨] .

وعالم المعرفة : عالم اللاّهوت ، وهو الوطن الأصليّ المذكور الّذي خُلق {فيه} الرّوح القدسيّ في أحسن التّقويم .

والمراد من الرّوح القدسيّ الإنسان الحقيقيّ الّذي أُودع في لبّ القلب ، ويظهر وجوده بالتّوبة والتّلقين . وملازمة كلمة لا إله إلاّ الله بلسانه أوّلاً ، {وبعده بحياة القلب} وبعد حياة القلب يحصل بلسان الجنان ، وتسميه المتصوفة : طفل المعاني ؛ لأنّه من المعنويات القدسيّة وتسميته طفلاً لِنُكاتٍ :

أحدها : أنّ تولّده من القلب كتولّد الطّفل من الأمُ {فيربّيه القلب كتربية الأمّ الولَد} فيكبر قليلاً قليلاً إلى البلوغ .

[٧/أ] **والثّانية** : أنّ تعليم العلم/ للأطفال غالب ؛ فتعليم علم المعرفة لهذا الطّفل أيضاً [غالب] .

(١) أخرجه الدارميّ في « سننه » ، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ، ج ١٠٢/١ . وأخرجه التبريزيّ في « مشكاة المصابيح » ، كتاب العلم ، ٢٧٠ ، عن الحسن البصري .

والثّالثة : أنّ الطّفل مُطهّر من أدناس الذّنوب ، فهذا أيضاً مُطهّر من دنس الشّرك والغفلة والجسمانيّة .

والرّابعة : أنّ الأكثر في الرّوح يُرى في هذه الصّورة الصّافية للولد ؛ ولذلك يُرى في المنامات على صورة المرد كالملائكة .

والخامسة : أنّ الله تعالى وصف {أبناء جنّته} بالطّفليّة بقوله تعالى : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [سورة الواقعة ٥٦/١٧] وبقوله تعالى : ﴿ ..غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [سورة الطّور ٥٢/٢٤] .

والسّادسة : أنّ هذا الاسم [كان] له باعتبار لطافته ونظافته .

والسّابعة : أنّ إطلاقه على سبيل المجاز باعتبار تعلّقه بالبدن ، {وتمثيله} بصورة البشر بناء/على أنّ إطلاقه عليه لأجل ملاحته لا لأجل استصغاره ، [وبالنّظر] إلى بداية حاله ، وهو الإنسان الحقيقيّ ؛ لأنّ له أُنسيّة مع الله {تعالى} . [٧/ب]

فالجسم والجسماني ليس مَحْرَمَاً له لقوله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لا يَسَعُ فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ »(١) .

والمراد من النّبيّ المرسل بشريّة النّبيّ . ومن المَلك المقرّب روحانيّته الّتي خلقت من نور الجبروت ، كما أنّ الملك من نور الجبروت فلا يدخل في نور اللاّهوت . وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : أن لله جنّة لا فيها حور ولا قصور ولا جنان ولا عسل ولا لبن ، بل يُنظر إلى وجه الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة ٧٥/٢٢-٢٣] وكما قال رسول الله/ [صلّى [٨/أ]

(١) قال السخاويّ في « المقاصد » ، ٩٢٦ : هو في رسالة القشيريّ [ص٧٠] ، بلفظ مقارب تماماً . ويشبه أن يكون ما للترمذيّ في « الشمائل » [٣٣٠] ، ولابن راهويه في « مسنده » ، عن عليّ رضي الله عنه من حديث طويل : (كان [رسول الله ﷺ] إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله أجزاء : جزءاً لله [تعالى] ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسه ، ثمّ جزءاً جزأه بينه وبين النّاس ..) . قال القاري في « الأسرار المرفوعة » ، ٣٩٢ : يؤخذ من الحديث أنّه أراد بالملك المقرّب جبريل وبالنبيّ المرسل نفسه الجليل . قال العجلوني في « الكشف » ، ج٢/٢٢٧ : أراد بالنبيّ المرسل : آخاه الخليل . وفي الحديث إيماءٌ إلى مقام الاستغراق باللقاء المعبّر عنه بالسكر والمحو والفناء .

الله عليه وآله وسلّم] : « سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ »(١) ولو دخل المَلك والجسمانيّة في هذه العالم [لاحترقا] كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « لو كَشَفَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِي جَلاَلِي لاَحْتَرَقَ كُلُّ مَا مَدَّ بَصَرِي »(٢) وكما قال جبرائيل عليه السّلام : (لو دنوت أُنملة لاحترقت)(٣) .

وهذا الكتاب على أربعة وعشرين فصلاً بعدد حروف كلمة لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله ، وبعدد ساعات اللّيل والنّهار ؛ لأنّ ساعاتهما أربع وعشرون ساعةً .

* * *

(١) أخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب : فضل صلاة العصر ، ٥٢٩ ، عن جرير [رضي الله عنه] قال : كنا عند النبيّ ﷺ ، فنظر إلى القمر ليلة ــ يعني البدر ــ فقال : « إنّكم سترون ربّكم ، كما ترون هذا القمر ، لا تُضَامُونَ في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » . ثمّ قرأ : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ [سورة ق ٥٠/٣٩] .
قال ابن القيم في « الوابل الصيّب » ، ١٠٣ : فالرّبّ تبارك وتعالى يُرى يوم القيامة بالأبصار عَيَاناً ، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له وإن رأته ، فالإدراك أمر وراء الرؤية ، وهذه الشمس ــ ولله المثل الأعلى ــ نراها وندركها كما هي عليه ، ولا قريباً من ذلك . ولذلك قال ابن عبّاس [رضي الله عنه] لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه [قوله تعالى] : ﴿ .. لا تدركه الأبصار ﴾ [سورة الأنعام ٦/١٠٣] فقال : ألست ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : أفتدركها ؟ قال : لا ، قال : فالله تعالى أعظم وأجلّ .
(٢) أخرج مسلم في « صحيحه » ، كتاب الإيمان ، باب : قوله ﷺ : « إنّ الله لاينام » ، ٢٩٣ ، عن أبي موسى [الأشعريّ رضي الله عنه] قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : « إنّ الله عزَّ وجلَّ لاينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل . حجابه النور ــ وفي رواية « النار » ــ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » . قال النوويّ في « شرح صحيح مسلم » ، ج٣/١٤ : معنى « سبحات وجهه » : نوره وجلاله وبهاؤه ، وأمّا الحجاب فأصله في اللغة المنع والستر ، وحقيقة الحجاب إنّما تكون للأجسام المحدودة ، والله تعالى منزّه عن الجسم والحدّ . والمراد هنا المانع من رؤيته ، وسمّي ذلك المانع نوراً أو ناراً لأنّهما يمنعان من الإدراك في العادة لشعاعهما . والمراد بـ « وجهه » الذات . والمراد بـ « ما انتهى إليه بصره من خلقه » جميع المخلوقات لأنّ بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات ، ولفظة « من » لبيان الجنس لا للتبعيض ، والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمّى نوراً أو ناراً وتجلّى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته . والله أعلم .
(٣) الإسرا إلى مقام الأسرى (كتاب المعراج) : لابن عربي ، ٢٣٩ .

الفصل الأول

في بيان رجوع الإنسان إلى وطنه [الأصلي]

فالإنسان على نوعين : جسماني وروحاني .

فالجسماني إنسان عامّ ، والرّوحاني خاصّ مُحرِم إلى وطنه {وهو} القربة .

فرجوع الإنسان العامّ إلى وطنه/ [هو] الرّجوع إلى الدّرجات ، بسبب عمل [٨/ب] علم الشّريعة والطّريقة والمعرفة إذا عمل عملاً صالحاً بلا رياء ولا سمعة ؛ لأنّ الدّرجات ثلاث طبقات .

أحدها : الجنّة في عالم المُلك ، وهي جنّة المأوى .

والثّاني : الجنّة في عالم الملكوت ، وهي جنّة النّعيم .

والثّالث : الجنّة في عالم الجبروت ، وهي جنّةالفردوس .

وهذه نِعم الجسمانيّة ، فلا يصل الجسم إلى {هذه العوالم} إلاّ بثلاثة علوم ؛ [وهي علم] الشّريعة [وعلم] الطّريقة [وعلم] المعرفة كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الحِكْمَةُ الجَامِعَةُ مَعْرِفَةُ الحَقِّ ، وَالعَمَلُ بِها مَعْرِفَةُ البَاطِنِ »[1] . وكما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « اللهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقّاً وارْزُقْنَا اتِبَاعَهُ ، وأَرِنا البَاطِلَ بَاطِلاً/ وارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ »[2] . وكما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] [٩/أ]

---

(١) ذكره القاشاني في « الاصطلاحات » ، ٦٣ . ولم يشر إلى أنّه من قول النبيّ ﷺ .

(٢) ذكره ابن كثير في « تفسيره » ، ج١/٤٤٤ ، وقال : جاء في الدعاء المأثور . وزاد عليه : «.. ولا تجعلنا ملتبساً علينا فنضلّ ، واجعلنا للمتّقين إماماً » .

وسلّم : « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ [وَخَالَفَهَا] فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ وتابعه[1] »[2] .

ورجوع الإنسان الخاصّ ووصوله إلى وطنه وهو القربة بعلم الحقيقة ، وهو التوحيد في عالم اللاّهوت في {عالم خيالته} في الدّنيا ، بسبب عبادته سواء كان نائماً أو غيره ، بل إذا نام الجسد وجد القلب فرصة فيذهب إلى وطنه [الأصلي] إمّا {بكلّيّته} ، أو {بجزئيّته} – كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة الزّمر ٣٩/٤٢] ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « نَوْمُ العَالِمِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ الجَاهِلِ »[3] – بعد حياة القلب بنور التّوحيد ،/ وملازمة أسماء التّوحيد بلسان [٩/ب] السّرّ بغير حروف ولا صوت كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « الإنْسَانُ سِرِّي وَأَنَا سِرُّهُ »[4] ، وقال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « إنَّ عِلمَ البَاطِنِ هُوَ سِرٌّ مِنْ

(١) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : إنّ طريق معرفة الحقّ معرفة النفس ، فمن عرف نفسه فقد عرف ربّه ، لكن لا بدّ من مُعرِّف واصل ، مرشد كامل ، عالم بأحكام الظاهر ومراتب الغيوب ، جامع بين قوسيّ الإمكان والوجوب ، يرشد الطالبين إلى المطلوب ، ويوصل المشتاقين إلى المحبوب ، فهو الصالح للاتباع والاقتضاء ، لسلوكه مسلك الأنبياء وكمّل الأولياء ، وإلاّ فكلّ ناقص لا يصلح للاقتداء .

(٢) قال السخاويّ في « المقاصد » ، ١١٤٩ : قال أبو المظفّر السمعانيّ : لا يعرف مرفوعاً ، وإنّما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازيّ . وقال الحوت في « أسنى المطالب » ، ١٤٣٦ : قال النوويّ : ليس بثابت . ونسبه بعضهم إلى أبي سعيد الخرّاز . قال السيوطي في « الحاوي » ، ج٢/٢٣٨ : إنّ من عرف نفسه فقد دلّ ذلك منه على أنّه عرف الله من قبل ، فالأوّل حال السالكين ، والثاني حال المجذوبين . قال أبو طالب المكيّ في « قوت القلوب » معناه إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق ، أنّك تكره الاعتراض عليك في أفعالك ، وأن يعاب عليك ما تصنعه ؛ عرفت منها صفات خالقك ، وأنّه يكره ذلك ، فارضَ بقضائه وعامله بما تحبّ أن تعامل . وفي معناه قال النوويّ في « فتاويه » ، ٢٨٦ : من عرف نفسه بالافتقار إلى الله تعالى والعبودية له عرف ربّه بالقوّة والقهر والربوبيّة والكمال المطلق والصفات العليا ، ومن عرف ربّه بذلك كَلَّ لسانه عن بلوغ حقيقة شكره والثناء عليه كما ثبت بالحديث الشريف الّذي أخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، ٢٢٢ ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش ، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد ، وهما منصوبتان . وهو يقول : « اللهمّ أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » . والله أعلم .

(٣) لم نعثر عليه .

(٤) لم نعثر عليه .

سِرِّي ، أَجْعَلَهُ فِي قَلْبِ عَبْدِي ، وَلاَ يَقِفُ {عَلَيْهِ} أَحَدٌ غَيْرِي »(١) .

والمراد من وجود الإنسان هو علم التّفكّر كما قال رسول الله [صلّى الله عليه واله وسلّم] : « تَفَكُّرُ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِيْنَ سَنَةً »(٢) . [1] وهو علم الفرقان هو التّوحيد ، وبه يصـل العـارف إلى معروفه [ومحبوبه] ونتيجـة علم العارف الطّيران بالرّوحانيّة إلى عالم القربة [2] فالعارف طيّار إلى القربة والعابد/سيّار إلى الجنّة . [١٠/أ]

قال بعضهم في حقّه [الوافر] :

قُـلُوبُ العَـارِفِـينَ لَهَـا عُيُـونٌ تَـرَى مَـا لايَـرَاهُ النَّـاظِـرُونَ
وَأَجْنِحَـةٌ تَطِـيرُ بِغَـيْـرِ رِيشٍ إِلَى مَـلَكُـوتِ رَبِّ الْعَـالَمِـينَ

فهذا الطّيران في باطن العارف هو الإنسان الحقيقيّ ، وهو حبيب الله [عزّ وجلّ] ومحرمه وعروسه(٣) كما قال أبو يزيد البسطاميّ [رحمه الله تعالى](٤) :(أولياء

---

(١) لم نجده بهذا اللفظ . ويشهد له ما أخرجه الديلميّ في « الفردوس » ، ٤١٠٤ ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : « علم الباطن سرٌّ من سرِّ الله عزَّ وجلَّ ، وحكم من حكم الله يقذفه في قلوب من يشاء من أوليائه » .

(٢) ذكره الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٤/٤٢٣ بدون لفظة : « سبعين » . قال العراقي في « المغني » ، ج٤/٤٢٣ : أخرجه ابن حبّان في كتاب « العظمة » ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظة : « ستين سنة » . وأخرج الديلميّ في « الفردوس » ، ج/٧٠ ، من حديث أنس رضي الله عنه : « تفكُّر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة » .

[1] في (ظ) : بياض . وفي باقي النسخ : قال الشيخ عبد الله رحمه الله .

[2] في (ظ) : بياض . وفي باقي النسخ : قال جلال الدين الروميّ رحمه الله .

(٣) ذكر ابن جرير في « جامع البيان » ، ج١٥/١٢٠ـــ١٢١ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء ، يُغْبِطُهُمُ الأنبياء والشهداء » . قيل : ومن هم يا رسول الله ، فلعلنا نحبّهم ؟ قال : « هم قوم تحابُّوا في الله عزَّ وجلَّ من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف النّـاس ، ولا يحزنون إذا حزن النّـاس » وقرأ : ﴿ ألا إن أوليـاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [سورة يونس ١٠/٦٢] . وذكره المنذريّ في « الترغيب والترهيب » ، ج٤/٢٠ .

(٤) قال الزركلي في « الأعلام » ، ج ٣/٢٣٥ : هو طيفور بن عيسى البسطاميّ ، أبو يزيد ، ويقال : بايزيد ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة ، نسبته إلى بسطام ـــ بلدة بين خراسان والعراق ـــ أصله منها ، ووفاته فيها . وفي المستشرقين من يرى أنّه كان يقول بوحدة الوجود ، وأنّه ربما كان أوّل قائل بمذهب الفناء Niravana ويعرف أتباعه =

الله [هم] عرائســـه ، لا يرى العرائس إلاّ المحارم ، فهـم مخدورن عنده في حجاب الأنس ، ولا يراهم أحد في الدّنيا ولا في الآخرة)[1] {غير الله تعالى} كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « أَوْلِيَائِي تَحْتَ {قِبَابِي} لاَ يَعْرِفُهُمْ غَيْرِي »[2] ولا يرى النّاس في الظّاهر من العروس إلاّ ظاهر زينتها .

قال يحيى بن معاذ [الرّازيّ رحمه الله تعالى][3] : (الوليّ ريحان الله {تعالى} في [١٠/ب]أرضه ، يشمّه الصّدّيقون ، /فتصل {رائحته} إلى قلوبهم ؛ فيشتاقون به إلى مولاهم ، وتزداد عبـادتهم على تفاوت أخلاقهم)[4] ، بحسب الفناء ؛ لأنّ زيادة القربة بزيادة {فناء الفاني} .

فالوليّ هو الفاني في حاله ، والباقي في مشـاهدة الحقّ ، ولم يكن له عن نفسه اختيار ، ولا له مع أحد غير الله قرار .

والوليّ من أيّده بالكرامات ، وغُيّبت عنه [لأنّه] {لا يرى} الإفشاء ؛ فإنّ إفشاء سرّ الرّبوبيّة كفر كما ذكر صـاحب المرصاد {رحمه الله تعالى} : أصحاب الكرامات كلّهم محجوبون ، والكرامة حيض الرّجال ، فالوليّ له ألف مقام ، أوله باب الكرامة من جاوز منها نال الباقي .

* * *

= بالطيفوريّة أو البسطاميّة . قال ابن المُلقن في « الطبقات » ، ٣٩٨ : كان جدّه مجوسيّاً وأسلم . قال الذهبيّ في « السير » ، ج ٨٦/١٣ : هو سلطان العارفين ، توفي ـــ رحمه الله تعالى ـــ سنة إحدى وستين ومئتين .

(١) الرسالة القشيريّة : للقشيريّ ، ٢٠٢ .

ذكره المنوفيّ في « جمهرة الأولياء » ، ج١٠٤/١ . وذكره القاشانيّ في « الإصطلاحات » ، ٧٣ وقال : ومنه لبس الحقيقة الحقّانيّة بالصدر الإنسانيّة .

(٣) قال الزركلي في « الأعلام » ، ج ١٧٢/٨ : هو أبو زكريا ، واعظ ، زاهد ، لم يكن له نظير في وقته ، من أهل الريّ ، أقام ببلخ ، ومات في نيسابور . قال ابن الجوزيّ في « المنتظم » ، ج ١٦/٥ـــ١٧ : مات ـــ رحمه الله تعالى ـــ سنة ثمان وخمسين ومئتين .

(٤) الرسالة القشيريّة : للقشيريّ ، ٢٠٣ .

الفصل الثاني

في بيان ردّ الإنسان إلى أسفل السّافلين

لمّا خلق الله {تعالى} الرّوح القدسيّ في أحسن تقويم في عالم اللاّهوت/ ثم أراد أن [١١/أ] يردّه إلى الأسفل لزيادة الأنسيّة والقربيّة كما قال الله تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر ٥٤/٥٥] ردّه أوّلاً إلى عالم الجبروت ، ومعه بِذَرُ التّوحيد فزرع من {نورانيّته} في ذلك العالم ، {وأُلبس} – الرّوح القدسيّ – الكسوة من ذلك العالم ، وكذا إلى عالم الملكوت ، ثم إلى عالم المُلك ، فخلق له منه كسوة عنصريّة كي لا يحترق به عالم المُلك – يعني هذا الجسد {الكثيف} – فيسمّى باعتبار الكسوة الجبروتيّة روحاً سلطانيّاً ، وباعتبار الملكوتيّة روحاً سيرانيّاً روانيّاً ، وباعتبار الملكيّة روحاً جسمانيّاً .

والمقصود من مجيئه إلى الأسفل كسب زيادة قربة ودرجة بواسطة القلب والقالب ، فيزرع بذر التّوحيد/ في أرض القلب ، فتنبت في أرض القلب شجرة التّوحيد [١١/ب] أصلها ثابت في هواء السّرّ ، وتثمر منه ثمرةِ التّوحيد لرضاء الله تعالى . [وزرع بذر الشّريعة] في أرض القالب [لتنبت فيها] شجرة الشّريعة ، وتثمر [منه] ثمرة الدّرجة .

فأمر الله [تعالى] الأرواح كلّها بدخول الجسد ، فقسم لكلّ واحد {منها} موضعاً منه :

فموضع الرّوح الجسمانيّ في الجسد {ما} بين اللّحم والدّم . وموضع [الرّوح] الرّوانيّ القلب . وموضع [الرّوح] السلطانيّ الفؤاد . وموضع الرّوح القدسيّ السّرّ .

فلكلّ واحد منها حانوت في بلد الوجود ، وله أمتعة وربح وتجارة لن تبور . **فينبغي** لكلّ إنسان أن يعرف معاملته في وجوده ؛ لأنّ ما يُحصَّل هنا يُعلَّق في عنقه كما قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝ ﴾ [سورة العاديات ١٠٠/٩–١٠] [١٢/أ] وكما قال الله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ... ﴾ [سورة الإسراء ١٧/١٣] .

* * *

الفصل الثّالث

في بيان {حوانيت} الأرواح في الأجساد

فحانوت الرّوح الجسماني البدن مع الجوارح الظّاهرة ، ومتاعه الشّريعة ، ومعاملته العمل بالمفروضات الّتي أمر الله تعالى {بها} من الأحكام الظّاهرة بغير شركة كما قال الله تعالى : ﴿ ..وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/١١٠] {وكما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ الطَّيِّبَ »(١)} . وكما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « إِنّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ »(٢). والمراد منه العمل بلا رياء ولا سمعة .

وربحه في الدّنيا الولاية والمكاشفة والمشاهدة في عالم/ المُلك من تحت الثرى إلى [١٢/ب] السّماء ، ومثله الكرامة الكونيّة من المراتب الرّهبانيّة كالمشي على الماء ، والطّيران في

---

(١) قطعة من حديث . أخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الزكاة ، باب : قبول الصدقة من الكسب الطيّب وتربيتها ، ١٠١٥ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] ، وتتمته : « .. وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين . فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليماً ﴾ [سورة المؤمنون ٢٣/٥١] ـــ ثمّ ذكر الرجل ـــ يُطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمدّ يديه إلى السماء ، يا ربّ ، يا ربّ ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنّى يُستجاب لذلك ؟» . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج ١٠/٥٦٥ ـــ ٥٦٦ .

(٢) قطعة من حديث . أخرجه الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب الصلاة ، باب : ما جاء أنّ الوتر ليس بحتم ، ٤٥٣ . وأخرجه الإمام النسائيّ في « سننه » ، كتاب قيام الليل ، باب : الأمر بالوتر ، ج٣/٢٢٨ـــ٢٢٩ ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وتتمته : «.. فأوتروا يا أهل القرآن » . وأخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب الدعوات ، باب : لله مئة اسم غير واحد ، ٦٠٤٧ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه رواية : « لله تسعة وتسعون اسماً ، مئة إلاّ واحد ، لا يحفظها أحدٌ إلاّ دخل الجنّة ، وهو وتر يحبُّ الوتر » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٦/٤٣ـــ٤٤ .

الهواء ، وطيّ المكان ، والسّمع من البعيد ، والرّؤية في سرّ البدن ، ونحو ذلك .

وأمّا ربحه في الآخرة فهو الجنّة والحور والقصور والغلمان {والشّراب} وسائر النّعم [ومسكنه] في الجنّة الأولى [وهي جنة المأوى] .

وحانوت الرّوح الرّواني القلب ، ومتاعه علم الطّريقة ، ومعاملته اشتغاله بالأسماء الأربعة الأولى من أصول الأسماء الاثني عشر كما قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا.. ﴾ [سورة الأعراف ٧/١٨٠] وهذه إشارة إلى أنّ الأسماء محل الشّغل وهو
[١٣/أ] علم الباطن ، والمعرفة/ نتيجة أسماء التّوحيد كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « إنَّ للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِيْنَ اسْمَاً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ »[1] .

والمراد من الإحصاء أن يكون منعوتاً بها ، ومتخلّقاً بأخلاقها ، وهذه الأسماء الاثني عشر أصول أسماء الله تعالى على عدد حروف لا إله إلاّ الله ، فحروف هذه الكلمة اثنا عشر حرفاً ، فأثبت الله تعالى في أطوار القلوب لكلّ حرف اسماً واحداً ، ولكلّ عالم ثلاثة أسماء فيثبّت الله تعالى {بها} قلوب المحسنين كما قال الله تعالى :
[١٣/ب] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[سورة إبراهيم ١٤/٢٧] .

وأنزل عليهم سكينة الأنس ، وأنبت فيها شجرة التّوحيد ، أصلها ثابت في الأرض السّابعة ، بل في تحت الثّرى ، وفرعها في السّماء السّابعة ، بل إلى ما فوق العرش كما قال الله تعالى: ﴿ ..كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٢٤] .

وربحه حياة القلب . ومشاهدته في عالم الملكوت مثل مشاهدة الجنان وأهلها وأنوارها وملائكتها ، ومثل نطق الباطن بلسانه بملاحظة أسماء الباطن بلا نطق

---

(١) قطعة من حديث طويل . أخرجه الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب الدعوات ، ٣٥٠٧ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] . وذكر في تتمته الأسماء الحسنى . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج ٤/١٧٣ ــ ١٨٣ .

ولا حرف . ومسكنه في الآخرة الجنّة الثّانية [وهي جنة النّعيم] .

وحانوت الرّوح السّـلطاني الفؤاد ، / ومتاعه المعرفة ، ومعاملته بملازمة الأسماء [١٤/أ]
الأربعة من المتوسطات بلسان الجنان كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم :
« العِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ باللِّسَـانِ ؛ [وَذلِكَ حُجَّةُ اللهِ تَعَالَى عَلَى ابْنِ آدَمَ] . وَعِلْمٌ
بالجنَـانِ ؛ فَذَلِكَ العِـلْمُ النَّـافِعُ »[١] ؛ لأنّ أكثر منـافع العلم في هذه الدّائرة . وقال
رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « إِنَّ لِلْقُرْآن ظَهْراً وَبَطْناً ، وِلِبَطْنِهِ بَطْناً ، إِلَى
سَبْعَةِ أَبْطُن »[٢] وقال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ القُرْآنَ
عَلَى عَشَرَة أبطن »[٣] . فكلّ ما هو أبطن فهو أنفع وأربح لأنّه {مِفَنٌّ[٤]} .

وهذه الأسماء بمنزلة اثنتي عشـرة عينـاً انفجرت من ضربٍ بعصى موسـى عليـه
[الصّـلاة] والسّلام كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب
بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ/ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [١٤/ب]
[سورة البقرة ٢/٦٠] .

فعلم الظّاهر كالماء المُطَهَّريّ العارضيّ . وعلم الباطن كالماء العينيّ الأصليّ ، وهو
الأنفع من الأوّل ولا ينقطع[٥] كما قال الله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا

---

(١) تقدّم تخريجه ، ص٤٨ .

(٢) لم نجده بهذا اللفظ . ويشهد له ما أخرجه الطبراني في « الكبير » ، ج ١٣٠/١٠ ، عن عبد الله [بن مسعود رضي الله عنه] ، عن رسول الله ﷺ قال : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله ، وأنزل القرآن على سبعة أحرف ، ولكلّ آية منها ظهرٌ وبطن » . وأخرج ابن حبّان في « صحيحه » ، عن ابن مسعود [رضي الله عنه] مرفوعاً : « إنّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً » .

(٣) لم نعثر عليه .

(٤) أي : كثير العجائب . وانظر « لسان العرب » ، ج ٣٢٦/٣ .

(٥) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : إنّ غير النافع من العلم لا اعتبار له عند أهل الحقّ ، كما قال رسول الله ﷺ [فيما أخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : التعوذ من شرّ ما عمل ، ومن شرّ ما لم يعمل ، ٢٧٢٢ ، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه] : « .. اللهمّ إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع .. » فينبغي لطالب الحقّ أن يكتفي بقدر الكفاية من علم الظاهر ، وهو قدر ما يعرف =

وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [سورة يس ٣٦/٣٣] .

أخرج الله {تعالى} من الأرض الآفاق حبّاً هو قوت الحيوانات النّفسانيّة ، وأخرج من {الأرض الأنفسيّة} حبّاً وهو قوت الأرواح الرّوحانيّة كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « مَنْ أَخْلَصَ لله [تَعَالَى] أَرْبَعِينَ صَبَاحَاً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ [على] لِسَانِهِ »[1] .

وأمّا ربحه فرؤية عكس جمال الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ [سورة النّجم ٥٣/١١] وكما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : [١٥/أ] « الْمُؤْمِنُ/ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ »[2] . والمراد من المؤمن الأوّل قلب العبد المؤمن . ومن الثّاني هو الله ﴿ ..المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.. ﴾ [سورة الحشر ٥٩/٢٣] – قال صاحب المرصاد رحمه الله [تعالى] : ومسكن هذه الطّائفة في الجنّة الثّالثة [وهي جنة الفردوس] .

وحانوت الرّوح القدسيّ في السّرّ كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ :

= به الاعتقاد الصحيح وكيفية العمل ، ثمّ يسارع إلى تحصيل علم الطريقة ، وهو علم تزكية النفس عن الأخلاق الرديّة ، وتصفية القلب عن الأغراض الدنيّة ، وهو فرض عين في فتوى علماء الطريقة . قال الجنيد : العلم علمان ؛ علم العبوديّة ــ أي : علم الشريعة ــ وعلم الربوبيّة ــ أي : علم الطريقة ــ والبواقي هوى النفس .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ، ج٥/١٨٩ ، من جهة مكحول عن أبي أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه مرفوعاً . قال القاري في « الأسرار المرفوعة » ، ٤٥٤ : هو عند أحمد في « الزهد » عن مكحول مرسلاً . بلفظة : « تفجّرت » . وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ، ٨٣٦١ . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج١١/٥٥٧ . قال الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٤/٣٨٢ : والبيان الشافي [للإخلاص] بيان سيد المرسلين والآخرين ﷺ إذ سئل عن الإخلاص فقال : « أن تقول ربّي الله ، ثمّ تستقيم كما أُمرت » . أي لا تعبد هواك ونفسك ، ولا تعبد إلاّ ربّك وتستقيم في عبادته كما أُمرت . وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الإخلاص .

(٢) قطعة من حديث . أخرجه أبو داود في « سننه » ، كتاب الأدب ، باب : ما جاء في النصيحة والحياطة ، ٤٩١٨ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . وتتمته : «.. والمؤمن أخو المؤمن ، يكفّ عليه ضَيْعَتَهُ ، ويحوطه من ورائه » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٦/٥٦٣ . قال السهارنفوري في « بذل المجهود » ، ج١٩/١٥٩ : إنّ المرآة تُري الإنسان ما يخفى عليه من صورته ليصلح ما يحتاج إلى إصلاحه ، فكذا المؤمن كالمرآة فيزيل ما فيه من العيوب بإعلامه وينبّه عليها .

« الإِنْسَانُ سِرِّي وَأَنَا سِرُّهُ »[1] . ومتاعه علم الحقيقة : وهو علم التّوحيد . ومعاملته ملازمة أسماء التّوحيد ، وهي الأربعة الأخيرة بلسان السّرّ في السّرّ بلا نطق كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [سورة طه ٢٠/٧] ولا يطّلع عليه غير الله تعالى .

وأمّا ربحه فظهور طفل المعاني ومشاهدته/ ومعاينته ، ونظره إلى وجه الله تعالى [١٥/ب] جلالاً وجمالاً بعين السّرّ كما قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة ٧٥/٢٢-٢٣] بلا كيف ولا كيفيّة ولا تشبيه كما قال الله تعالى : ﴿ ..لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشّورى ٤٢/١١] .

فلما بلغ الإنسان إلى مقصوده انحسرت العقول ، وتحيّرت القلوب ، وكلّت الألسن ، ولم يستطع أن يخبر [عن] ذلك ؛ لانّ الله تعالى منزّه عن المثال ، فإذا بلغ مثل الأخبار إلى العلماء فينبغي لهم أن يفهموا مقامات القلوب ، ويرغبوا حقائقها ، ويتوجهوا إلى أعلى العلّيّن ويجتهدوا إلى أن يصلوا إلى مقام علم الله اللّدنّي وهو معرفة/ [١٦/أ] الذّات الأحديّ من غير أن يتعّرضوا وينكروا هذا {المقام} الّذي ذكرناه .

* * *

---

(١) لم نعثر عليه .

الفصل الرابع

في بيان [عدد] العلوم

فالعلم الظّاهر له [اثنا] عشر فنّاً ، وكذا علم الباطن ، له اثنا عشر فنّاً ، فقسّم بين العوام والخواصّ وأخصّ {الخواصّ} على قدر الاستعداد .

[فالعلوم منحصرة في] أربعة أنواع :

الأوّل : ظاهر الشّريعة من الأمر والنّهي [وسائر] الأحكام .

والثّاني : باطنها - [الشّريعة] - ويسمّى علم الطّريقة .

والثّالث : باطن الطّريقة ويسمّى [علم] المعرفة .

والرّابع : بطن البواطن[1] ويسمّى علم الحقيقة .

ولا بدّ من {حصولها} كلّها كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : [١٦/ب]الشّريعة شجرة ،/ والطّريقة أغصانها ، والمعرفة أوراقها ، والحقيقة أثمارها ، والقرآن جامعٌ بجميعها بالدلالة والإشارة تفسيراً وتأويلاً .

قال صاحب المجمع {رحمه الله تعالى} : التّفسير للعوام ، والتّأويل للخواصّ ؛ لأنّهم العلماء الرّاسخون ، لأنّ معنى الرّسوخ الثّبات {والاستقرار} والاستحكام في العلم ، كشجرة النّخل أصلها ثابت في الأرض ، وفرعها في السّماء ، وهذا الرّسوخ نتيجة الكلمة الطّيبة المزروعة في لبّ القلب بعد التّصفية ، وقد عطف قوله تعالى :

---

(١) ورد في هامش (ظ) : قيل وقع بين الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ ليلة المعراج تسعون ألف كلمة ، ثلاثون ألف منها متعلّق بأحكام الشريعة ، وثلاثون ألف متعلّق بأحكام الطريقة ، وثلاثون ألف متعلّق بأحكام الحقيقة . قال أبو يزيد البسطاميّ : الشريعة كالبحر والطريقة كابتلاعه والحقيقة كهضمه .

﴿ .. وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ .. ﴾ على قوله تعالى : ﴿ . إِلَّا ٱللَّهُۗ.. ﴾ [سورة آل عمران ٧/٣] على أحد الأقوال .

قال صاحب التّفسير الكبير {رضي الله عنه} : لو فُتح/ هذا الباب لانفتحت[١٧/أ] أبواب البواطن(١) .

ثمّ العبد مأمور بقيام الأمر والنّهي ، ومخالفة النّفس في كلّ دائرة من هذه الدّوائر الأربع .

فالنّفس توسوس في دائرة الشّريعة من المخالفات ، وفي دائرة الطّريقة من الموافقات تلبيساً كدعوى النّبوة والولاية ، وفي دائرة المعرُفة من الشّرك الخفيّ من النّورانيّات كدعوى الرّبوبيّة كما قال الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ.. ﴾ [سورة الجاثية ٢٣/٤٥] .

وأمّا دائرة الحقيقة فلا مدخل فيها للشّيطان والنّفس ولا الملائكة ، لأنّ غير الله تعالى يحترق فيها كما قال جبرائيل عليه السّلام : (لو دنوت أُنملة لاحترقت)(٢) ، فيخلص العبد [عندئذ] من الخصمان [النّفس والشّيطان] ، فيكون مخلصاً(٣) كما قال الله تعالى : ﴿..فَبِعِزَّتِكَ / لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾(٤)[سورة [١٧/ب]

---

(١) انظر التفسير الكبير : للرازيّ ، ج٧/١٦٦ـــ١٧٨ . وفيه شفاء للكلام .

(٢) تقدّم تخريجه ، ص٥٠ .

(٣) قال الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٤/٣٨١ـــ٣٨٢ : قال بعضهم : الإخلاص في العمل أن لا يطّلع عليه شيطان فيفسده ، ولا ملك فيكتبه . وقال رويم : الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين . وقال القشيريّ في « الرسالة » ، ١٦٣ـــ١٦٤ : قال حذيفة المرعشيّ : الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن . وقيل : الإخلاص ما أُريد به الحقّ سبحانه ، وقصد به الصدق . وقيل : الإخلاص الإغماض عن رؤية الأعمال . وسئل بعضهم عن الإخلاص فقال : أن لا تُشهد على عملك غير الله عزّ وجلّ .

(٤) قال الزبيديّ في « إتحاف السادة المتّقين » ، ج١٠/٤٤ : قال حذيفة سألت النبيّ ﷺ عن الإخلاص ماهو ؟ قال : « سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ماهو ؟ قال : سألت ربَّ العزّة تبارك وتعالى عن الإخلاص ماهو؟ فقال : الإخلاص سرٌّ من سرّي ، استودعته قلب من أحببته من عبادي » . وقال القشيريّ في « الرسالة » ، ١٦٢ـــ١٦٣ : قال ذو النون المصريّ : الإخلاص لا يتمّ إلاّ بالصرف فيه والصبر عليه . والصدق لا يتمّ إلاّ بالإخلاص فيه والمداومة عليه .

ص٣٨/٨٢-٨٣] {ومن لم} يصل إلى الحقيقة لم يكن مخلصاً ؛ لأنّ الصّفات البشريّة لا تفنى إلاّ بتجلّي الذّات ، ولا ترتفع الجهوليّه إلاّ بمعرفة الذّات سبحانه وتعالى ، فيعلّمه الله بلا واسطةٍ من لدنه علماً [لدنيّاً] فيعرفه بتعريفه ، ويعبده بتعليمه كالخضر [عليه السّلام][1] . وهناك يشاهد الأرواح القدسيّة ، ويعرف نبيّه محمّداً صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، فتنطبق نهايته إلى {بدايته} ، والأنبياء يبشّرونه بالوصال الأبديّ كما قال الله تعالى : ﴿ ..وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النّساء ٦٩/٤] .

فمن لم يصل بهذا العلم لم يكن عالماً في الحقيقة [ولو] قرأ ألف ألف من الكتب[2] بحيث لا يبلغ إلى الرّوحانيّة .

[١٨/أ] فعمل الجسمانيّة بظاهر العلوم/ جزاؤه الجنّة فقط ، وتجلّي عكس الصّفات [بثمّة] ، فالعالِم لا يدخل بمجرّد علم الظّاهر {إلى} حرم {القدس} والقربة ؛ لأنّه عالَم الطّيران ، والطّير لا يطير إلاّ بجناحيه ، فالعبد الّذي يعلم العلمين : الظّاهر والباطن يصل إلى ذلك العالَم كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « يا عَبْدِي إذَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ حَرَمِي فَلاَ تَلْتَفِتْ إلَى المُلْكِ والمَلَكُوْتِ والجَبَرُوتِ ، لأنَّ المُلْكَ شَيْطَانُ العَالِمْ ، والمَلَكُوتُ شَيْطَانُ العَارِف ، والجَبَرُوتُ شَيْطَانُ الوَاقِفِ ، مَنْ رَضِيَ بِأَحَدٍ مِنْهَا فَهُوَ مَطْرُودٌ عِنْدِي »[3] . والمراد منه مطرود القربة لا مطرود الدّرجات ، [١٨/ب]وهم يطلبون القربة {ولا يصلون} إليها/؛ لأنّهم طمعوا غير مطمع ، لأنّ لهم جناحاً واحداً ، ولأنّ لأهل القربة الكاملة فيها : « مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ،

---

(١) اسمه (على الأرجح) : بليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن عامر بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، صاحب موسى عليه الصلاة والسلام . وسبب تسميته بالخضر أنّه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء ، والفروة : الأرض . وقد اختلف الناس في أمره . ولبيان ذلك انظر كتاب (الزهر النضر في نبأ الخضر : لابن حجر العسقلاني) ، سيصدر بتحقيقنا إن شاء الله تعالى .

(٢) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : من لو عاش ألف ألف سنة في تدريس الإصطلاحات وتصنيفها لا يشمّ منها رائحة ـــ أي : من القلب ـــ وعلم القلب هو المعتبر به .

(٣) لم نعثر عليه .

وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[1] . وهي جنّة القربة لا فيها حور ولا قصور ولا عسل ولا لبن .

وينبغي للإنسان أن يعرف مقداره ، ولا يدّعي لنفسه ما ليس بحقّ له .

قال أمير المؤمنين علي [بن أبي طالب] كرّم الله وجهه[2] : (رحم الله امرىءً عرف قدره ، ولم يتعدّ طوره ، ويحفظ لسانه ، ولم يضع عمره) .

وينبغي للعالِم أن يُحَصِّلَ معنى حقيقة الإنسان المسمّى بطفل المعاني ، ويربّيه بملازمة أسماء التّوحيد ، ويخرج من عالم الجسمانيّة إلى عالم الرّوحانيّة ، وهو عالم السّرّ ليس فيه/ غير الله ديّار ، وهو كمثل صحراء من نور لا نهاية {له} . وطفل المعاني يطير [١٩/أ] فيها ، ويرى العجائب والغرائب فيها ، لكن لا يمكن الإخبار عنها ، وهي مقام الموحّدين الّذين فَنَوْا من تعيينهم في عين الوحدة ، فليس لهم في السّرّ {إلاّ} رؤية نور جمال الله تعالى كما لا يرى {إلا الله} نفسه ، فإذا [امتلأت] الشّمس فيه ، فلا جَرَمَ أنّ الإنسان لا يرى نفسه بمقابلة جمال الله تعالى لغلبة {الحيرة} والمحويّة في نفسه . [1] كما قال عيسى بن مريم عليه [الصّلاة] والسّلام : (لن يلج الإنسان إلى ملكوت السّموات حتّى يولد مرّتين كما يولد الطّير مرّتين) . والمراد [منه] تولّد الطّفل المعنويّ

(١) قطعة من حديث . أخرجه البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب بدء الخلق ، باب : ما جاء في صفة الجنّة ، وأنّها مخلوقة ، ٣٠٧٢ . وأخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الجنّة ، وصفة نعيمها وأصلها ، ٢٨٢٤ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . ولفظه : « قال الله تعالى : (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) . فاقرؤوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾ [سورة السجدة ١٧/٣٢] » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج١٠/٤٩٤ .

(٢) عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو الحسن ، ابن عمّ رسول الله ﷺ ، أمير المؤمنين نشأ عنده وصلّى معه أوّل الناس ، وشهد المشاهد كلّها إلاّ تبوك فإنّ النبيّ ﷺ استخلفه على أهله ، وأحواله في الشّجاعة وآثاره في الحروب مشهورة ، استشهد سنة أربعين . انظر كتاب « تهذيب تاريخ الخلفاء » ، للسيوطي ، تهذيب الشيخ نايف العبّاس ، تحقيق خالد الزّرعي ـــ محمّد غسّان عزقول ، نشر دار الألباب (دمشق) .

[1]في (ظ) :بياض . وفي بعض النسخ قال الشيخ زين الدين عطاء رحمه الله .

[١٩/ب]الرّوحانيّ/ من حقيقة قابلية الإنسان ، وهو سرّه ، يظهر [وجوده] وعلومه من اجتماع نور {علم} الشّريعة والحقيقة ؛ لأنّ الولد لا يحصل إلاّ من اجتماع نطفتين من الرّجل والمرأة كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ .. ﴾ [سورة الإنسان ٧٦/٢] .

وبعد ظهور هذا المعنى يحصل العبور من بحور الخلق إلى قعور الأمر ، بل كلّ العالَم في جنب عالم الرّوح كقطرة [ماء من بحر] . وبعد ذلك تُفاض العلوم الرّوحانيّة واللّدنيّة بلا حرف ولا صوت .

* * *

الفصل الخامس

في بيان التوبة[1] والتلقين

اعلم أنّ المراتب المذكورة لا تحصل إلاّ بالتّوبة النَّصوح[2] وبالتّلقين من أهله كما قال الله تعالى/ : ﴿ ..وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ. ﴾ [سورة الفتح ٤٨/٢٦] – أي : [٢٠/أ] كلمة لا إله إلاّ الله – بشرط أخذه من قلب [تقيّ] نقيّ ممّا سوى الله ، لا كلّ كلمة تسمع من أفواه العامّة[3] ، وإن كان اللّفظ واحداً ولكن المعنى متفاوت ، لأنّ القلب إنّما يحيى إذا أخذ بِذَر التّوحيد من قلب حيّ ، فيكون بَذْراً كاملاً ، والبَذْرُ غير البالغ لا ينبت ، ولذلك بَذَرَ كلمة التّوحيد في القرآن {العظيم} في موضعين .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، ج١١/١٠٣ : التوبة (لغة) : الرجوع عن الذنب . (شرعاً) : ترك الذنب لقبحه ، والندم على فعله ، والعزم على عدم العود ، وردّ المظلمة إن كانت ، أو طلب البراءة من صاحبها . وعند أهل الحقيقة : الندم على ما مضى ، والدوام على ما صفا .

(٢) أخرج ابن ماجه في « سننه » ، كتاب الزهد ، باب : ذكر التوبة ، ٤٢٥٠ ، عن أبي عبيد الله بن عبد الله عن أبيه [ابن مسعود] قال : قال رسول الله ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » . وأخرج الديلميّ في « الفردوس » ، ٢٤٣٢ ، عن أنس [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وإذا أحب الله عبداً لم يَضُرَّهُ ذنب » . قال الزبيديّ في « إتحاف السادة المتّقين » ، ج٨/٥٠٦ مضيفاً على الحديث : ثمّ تلا قول الله تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٢٢] . قال السيوطي في « الفتح الكبير » ، ج٣/١١ : [عن سلمان رضي الله عنه قال] : ما من شيء أحبّ إلى الله من شاب تائب ، وما من شيء أبغض إلى الله من شيخ مقيم على معاصيه ، وما في الحسنات حسنة أحبّ إلى الله تعالى من حسنة تُعمل في ليلة جمعة أو يوم جمعة ، وما من الذنوب ذنب أبغض إلى الله تعالى من ذنب يُعمل في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة . قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٧٧ : التوبة أوّل منزل من منازل السالكين ، وأوّل مقام من مقامات الطالبين .

(٣) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : إنّ التوحيد وذكر الله أقرب الطريق إلى الله تعالى بأن يكون بتلقين مرشد كامل متصلة سلسلته إلى سيد المرسلين .

أحدهما : مقارن بالقول الظّاهريّ كما قال الله تعالى : ﴿ ..إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ.. ﴾ [سورة الصّافات ٣٥/٣٧] [فهذا في حقّ العوام .

والثّاني : مقرون بالعلم الحقيقيّ كما قال الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ . ﴾ [سورة محمّد ١٩/٤٧] فهذا التّلقين بسبب نزول هذه الأية لأجل التّلقين للخواصّ [كما] قال في بستان الشّريعة : (أوّل من تمنى أقرب الطّريق [وأفضلها وأسهلها من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عليّ [بن أبي طالب] رضي الله عنه فانتظر النّبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم] فنزل جبرائيل عليه السّلام على النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] ولقّن هذه الكلمة ثلاث مرات ، [ثمّ
[٢٠/ب] قال النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم] كما قال جبرائيل/ ثمّ لقّن رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] عليّاً رضي الله عنه[١] ، ثمّ جاء إلى أصحابه فلقّنهم جميعاً ، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « رَجَعْنَا مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَى الجِهَادِ الأَكْبَرِ »[٢] والمراد من الجهاد الأكبر جهاد النّفس كما قال رسول الله [صلّى الله عليه

---

(١) ورد في هامش (ظ) : قال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه : يا رسول الله ، دلّني على أقرب الطريق إلى الله تعالى وأسهلها عليَّ عبادة وأفضلها عند الله تعالى . فقال : « يا علي ، عليك بدوام ذكر الله تعالى في الخلوة » ، فقال عليّ : كيف أذكر؟ قال : « أغمض عينيك واسمع منّي ثلاث مرّات ، ثمّ قل أنت ثلاث مرّات وأنا أسمع » فقال : « لا إله إلاّ الله تعالى » ثلاث مرّات مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، وعليٌّ يسمع ، ثمّ قال عليٌّ رضي الله عنه : لا إله إلاّ الله ثلاث مرّات . مغمضاً عينيه رافعاً صوته ، والنبيُّ يسمع .

(٢) قطعة من حديث . وتتمته : قالوا : وما الجهاد الأكبر؟ قال : « جهاد القلب » . ذكره الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٣/٤ . قال العراقيّ في « المغني » : أخرجه البيهقي في الزهد من حديث جابر [رضي الله عنه] ، وقال : هذا إسناد فيه ضعف . وهو عند البيهقي في « الزهد الكبير » ، ٣٧٣ . قال السيوطيّ في « الجامع الصغير » ، ٦١٠٧ : روى الخطيب [البغداديّ] في « تاريخه » ، [ج١٣/٤٩٣] من حديث جابر [رضي الله عنه] قال : قدم النبيّ ﷺ : « قَدِمتُمْ خير مقدم ، قَدِمتُمْ من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » . قالوا : وما الجهاد الأكبر؟ . قال : « مجاهدة العبد هواه » . قال المناويّ في « فيض القدير » ، ج٤/٥١١ : قدمتم من جهاد العدو المباين إلى جهاد العدو المخالط ، [مجاهدة العبد هواه] وهي أعظم الجهاد وأكبره ؛ لأنّ قتال الكفّار فرض كفاية ، وجهاد النفس فرض عين على كلّ مكلّف في كلّ وقت . وإلى هذه المجاهدة الكبرى أشار بالحديث . قال ابن أدهم : أشدّ الجهاد جهاد الهوى ، فمن منع النفس هواها فقد استراح من الدنيا وبلاها .

وآله وسلّم] : « أَعْدَى أَعْدَائِكَ نَفْسُكَ الّتي بَيْنَ جَنْبَيْكَ »(1) . فلا تحصل محبّة الله {تعالى} إلاّ بعد قهر الأعداء في وجودك من النّفس الأمّارة واللّوامة والملهمة ، فتطهّر من الأخلاق الذّميمة البهيميّة ، كمحبّة زيادة الأكل والشّرب والنّوم ، واللّغو والسّبعيّة كالغضب والشّتم والضّرب والقهر ، والشّيطانيّة كالكبر والعُجب والحسد والحقد وغير ذلك [من الآفات البدنيّة والقلبيّة] . وإذا تطهّرت منها فقد/ تطهّرت من أصل [٢١/أ] الذّنوب ، فأنت من المتطهّرين والتّوابين كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢٢٢/٢] . فمن تاب عن مجرّد ظاهر الذّنب لا يدخل في هذه الآية ، وإن كان تائباً ، لكن ليس بتوّاب . فإنّه لفظ المبالغة ، والمراد منه توبة الخواصّ .

مثال من يتوب عن مجرّد الذّنوب الظّاهرة كمن يقطع حشيش الزّرع من فرعه ولا يشتغل بقلعه من أصوله ، فينبت ثانياً لا محالة ، بل أكثر ممّا ينبت أوّلاً .

ومثال التّواب من الذّنوب والأخلاق الذّميمة كمن يقطعه من أصوله ، فلا جَرَمَ [أنّه] لا ينبت بعده إلاّ نادراً .

فالتّلقين آلة قطع ما سوى الله تعالى من قلب [المتلقن ؛ لأنّ من] لم يقطع الشّجر المرّ/ {لا يصل إلى الشّجر} الحلو موضعه ، فاعتبر ، فافهم ، كما قال الله تعالى : [٢١/ب] ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات.. ﴾ [سورة الشّورى ٢٥/٤٢] وكما قال الله تعالى : ﴿ ..من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات.. ﴾ [سورة الفرقان ٧٠/٢٥] .

فالتّوبة على نوعين(2) : توبة العامّ. وتوبة الخاصّ .

---

(1) ذكره الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٣/٤ . قال العراقيّ في « المغني » ، ج٣/٤ : أخرجه البيهقيّ في « الزهد الكبير » ، [٣٤٣] من حديث ابن عباس ، وفيه محمّد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضّاعين . وأخرجه الديلميّ في « الفردوس » . كما ذكره المتقي الهنديّ في « كنز العمال » ، ج٤٣١/٤ .

(2) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٧٩ـــ٨٠ : سئل سهل بن عبد الله عن التوبة ؟ فقال : أن لا تنسى ذنبك . =

فتوبة العامّ : أن يرجع من المعصية إلى الطّاعة ، ومن الذّميمة إلى الحميدة ، ومن الجحيم إلى الجنّة ، ومن راحة البدن إلى مشقّة النّفس بالذّكر والجهد والسّعيّ القويّ .

وتوبة الخاصّ : أن يرجع بعد حصول هذه التّوبة[1] من الحسنات إلى المعارف ، {ومن المعـارف إلى الدّرجـات} ، ومن الدّرجـات إلى القـربة ، ومن القربة واللّذّات النّفسانيّة إلى/ اللّذّات الرّوحانيّة ، وهو ترك ما سوى الله تعالى {والأُنس }به ، والنّظر إليه بعين اليقين . [٢٢/أ]

وهؤلاء المذكورات من كسب الوجود ، وكسب الوجود ذنب كما قيل : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب آخر[2] {كما قالوا} :(حسنات الأبرار سيئات المقرّبين ، وسيّئات المقرّبين حسنات الأبرار)[3] . ولذلك كان النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] يستغفر

= وسئل الجنيد عن التوبة ؟ فقال : أن تنسى ذنبك . قال أبو نصر السراج : أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين تارة لهم وتارة عليهم ، فأمّا الجنيد فإنّه أشار إلى توبة المحققين ، لا يذكرون ذنوبهم بما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره . وسئل ذو النون المصريّ عن التوبة ؟ فقال : توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة . وقال : سمعت عليّ بن محمّد التيميّ يقول : شتّان ما بين تائب يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب يتوب من رؤية الحسنات .

(١) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٧٩ : من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة ، ومن تاب طمعاً في الثواب فهو صاحب أوبة . ويقال أيضاً : التوبة صفة المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيّها المؤمنون ﴾ [سورة النور ٣١/٢٤] ، والإنابة صفة الأولياء والمقرّبين ، قال الله تعالى : ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ [سورة ق ٣٣/٥٠] . والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين ، قال الله تعالى : ﴿ نعم العبد إنه أواب ﴾ [سورة ص٤٤/٣٨] .

(٢) إذا حصّل الإنسان اللذات الروحانيّة والقربة وأُغرق في الفناء والقرب من اللّه تعالى فإنّه يكون قد حقّق غاية وجوده ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [سورة الذاريات ٥٦/٥١] وإذا وصل العبد إلى هذه الدرجة فعليه أن ينسى ذاته ، بل يجب أن تتلاشىٰ هذه الذات وتنعدم أمام نور الحقّ ، فإذا ما برزت في مثل هذا الموقف كان الذنب الأكبر ؛ لأنّ من عرف الحقّ وأقحم ذاته ووجوده فقد أساء أدبه ، وكان ذنبه عظيماً .

(٣) هو من كلام أبي سعيد الخرّاز ، رواه ابن عساكر في « تاريخه » ، ج٢/ق٦٥ . أمّا الزركشيّ فعزاه للجنيد البغداديّ في « لقطة العجلان » ، ١٥٥ . قال العجلونيّ في « الكشف » ، ج٤٢٨/١ : والفرق بين الأبرار والمقرّبين : أنّ المقرّبين هم الّذين أخذوا عن حظوظهم وإرادتهم ، واستُعمِلوا في القيام بحقوق مولاهم ، عبوديةً وطلباً لرضاه . وأنّ الأبرار هم الّذين بقوا مع حظوظهم وإرادتهم ، وأُقيموا في الأعمال الصالحة ومقامات اليقين ، ليُجْزَوْا عن مجاهدتهم برفع الدرجات ، والله أعلم . انظر « المصنوع » ، ٩٤ .

كلّ يوم مئة مرّة كما قال الله تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [سورة محمّد ٤٧/١٩؛] – أي : لذنب وجودك – وهذا هو الإنابة ؛ فإنّ الإنابة الرّجوع عن كلّ ما سوى الله إليه ، والدّخول في سلّم القربة في الآخرة ، والنّظر إلى وجه الله تعالى كما قال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « إنَّ لله عِبَاداً/ أَبْدَانُهُمْ في الدُّنْيَا وَقُلُوبُهُمْ تَحْتَ العَرْشِ »[1] [٢٢/ب] فإنّ رؤية الله لا تحصل في الدّنيا ، بل تحصل رؤية صفات الله تعالى في مرآة القلب كما قال عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه[2]:رأى قلبي ربّي – أي : بنور ربّي . فالقلب مرآةٌ {لعكس} جمال الله تعالى .

وهذه المشاهدة لا تحصل إلاّ بتلقين شيخ واصل مقبول من السّابقين ، ثمّ ردّ إلى تكميل النّاقصين بأمر الله تعالى ، وبواسطة نبيّه [صلّى الله عليه وآله وسلّم] .

فإنّ الأولياء للخواصّ مُرسَلون لا للعوام ، فرقاً بين النّبيّ والوليّ ؛ فإن النّبيّ يُرسَل إلى العوام والخواصّ جميعاً مستقّلاً بنفسه والوليّ المرشد [يُرسَل] للخواصّ فقط غير مستقل {بنفسه} ؛ فإنّه لا سَعة إلاّ بمتابعة النّبيّ ، حتّى لو ادّعى الاستقلال كفر ، وإنّما/ شبّه النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] علماء أمّته بأنبياء بني إسرائيل لأنّهم [٢٣/أ] كانوا متابعين لشريعة المُرْسَلْ وهو موسى عليه [الصّلاة] والسّلام ، لكنّ علماؤهم كانوا يجدّدونها ، ويؤكدون أحكامها من غير اتيانٍ بشريعة أخرى ، فكذا علماء هذه الأمّة من الأولياء ، يرسلون {للخواصّ} لتجديد الأمر والنّهي واستحكام العمل على التّأكيد الأبلغ ، وتصفية أهل الشّريعة . وهي في القلب موضع المعرفة ، وهم يخبرون بعلم النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] كأصحاب الصّفّة كانوا ينطقون {بأسرار}

---

(١) لم نعثر عليه .

(٢) عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى ، القرشي ، العدوي ، أبو حفص ، ولد عام ثلاث عشرة من عام الفيل ، أسلم وله سبع وعشرون سنة . كان من أشراف قريش ، وإليه كانت السفارة في الجاهليّة . أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة ، وأحد أصهاره النبيّ ﷺ ، وأمير المؤمنين ، استشهد سنة ثلاث وعشرين . انظر كتاب « تهذيب تاريخ الخلفاء » ، للسيوطي ، تهذيب الشيخ نايف العبّاس ، تحقيق خالد الزّرعي ـــ محمّد غسّان عزقول ، نشر دار الألباب (دمشق) .

المعراج قبل عروج النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] فالوليّ كامل الولاية المحمّديّة الّتي هي جزء النّبوّة ، وباطنه أمانة عنده ، [وليس المراد منه] من ترسّم بظاهر العلم ؛ لأنّه
[٢٣/ب] وإن كان من/ الورثة النّبويّة لكن [هو] من قبيل ذوي الأرحام ، فالوارث الكامل من يكون بمنزلة الابن [لأنّه] من [أقرب] العصبات ، فالولد سرّ الأب ظاهراً وباطناً ، ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « إِنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَكْنُوْنِ لاَ يَعْلَمُهُ إلاَّ العُلَمَاءُ بِاللهِ تَعَالَى ، فَإِذَا نَطَقُوْا بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إلاَّ أَهْلُ {الغِرَّةِ} »[1]. وهذا هو السّرّ الّذي استُودع في قلب النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] ليلة المعراج في أبطن البطون الثّلاثين ألفاً ، لم يفشها على أحدٍ من العامّة سوى أصحابه المقرّبين وأصحاب الصّفّة {رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ونفعنا الله ببركاتهم وأفاض علينا من برّهم وإحسانهم آمين يا رب العالمين آمين} وببركة ذلك السّرّ قيام الشّريعة {المطهرة} إلى يوم القيامة .

فالعلم الباطن يهدي إلى ذلك السّرّ ، وكلّ العلوم والمعارف كلّها قشر ذلك
[٢٤/أ] السّرّ ، وأمّا العلماء/ الظّاهرة منهم ورثة {السّرّ} ، بعضهم بمنزلة صاحب الفروض ، وبعضهم بمنزلة العصبات ، وبعضهم بمنزلة ذوي الأرحام موكّلون على قشور العلم بالدّعوة إلى سبيل الله تعالى بالموعظة الحسنة ، والمشايخ السنيّة المتسلسلة سلسلتهم إلى عليّ [بن أبي طالب] رضي الله عنه موكّلون بمغزى العلم على باب العلوم بالدّعوة إلى الله تعالى بالحكمة كما قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ

---

(١) أخرجه الديلمي في «الفردوس» ، ٨٠٢ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . وذكره المنذريّ في «الترغيب والترهيب»، ج١/١٠٣ ، وقال : رواه أبو عبد الرحمن السلمي في «الأربعين في التصوّف». وأورده السيوطيّ في «اللآلىء»، ج١/٢٢١ ، وزاد عليه: «..إنّ الله جامع العلماء يوم القيامة في صعيد واحد. فيقول لهم : إنّي لم أودعكم علمي ، وأنا أريد أن أعذّبكم». وقوله : « أهل الغرّة » : أهل الغفلة الّذين ركنوا إلى الدنيا فغرّتهم بزخارفها ، وعصوا الله واتبعوا شهواتهم ، وتركوا أوامر الله ورسوله وهجروا الدين . ويؤثر للإمام الشافعيّ ــ رحمه الله تعالى ــ [من الوافر] :

شَكَوْتُ إلى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللهِ لاَ يُهْدَى لِعَاصِي

وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ.. ﴾[سورة النّحل١٦/١٢٥] وقولهم في الأصل واحد، وفي الفرع مختلف، وهذه المعاني الثّلاثة في الآية كانت مجموعة في ذات النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم]، {فلم يُعْطَ أحد بعده جملة ذلك}، فقُسّم على ثلاثة أقسام.

القسم الأوّل: وهو لبّها: وهو علم الحال، أعطي/ للرّجال، وهمّة الرّجال به كما [٢٤/ب] قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: « هِمَّةُ الرِّجَالِ تَقْلَعُ الجِبَالَ »(١) والمراد من الجبال قساوة القلب يمحو بدعائهم وتضرعهم كما قال الله تعالى: ﴿ ..وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا.. ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٦٩].

والقسم الثّاني: قشر ذلك اللّبّ: أُعطي للعلماء الظّاهرة، وهو الموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف والنّهيّ عن المنكر كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: « العَالِمُ يَعِظُ بِالعِلْمِ والأَدَبِ، والجَاهِلُ يَعِظُ بالضَّرْبِ والغَضَبِ »(٢).

والقسم الثّالث: وهو قشر القشر: أُعطي للأمراء، وهو العدل [الظّاهريّ] والسّياسة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [سورة النّحل ١٦/١٢٥] [فلهم] مظاهر [القهر، وسبب صيانة نظام الدّين كالقشر الأخضر من الجوز، ومقام العلماء الظّاهر] كالقشر الأحمر الشّديد، ومقام/ الفقراء من المتصوّفين [٢٥/أ] العارفين هو المغزى المقصود من خلف الشّجر [وهو اللّبّ]؛ ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: « عَلَيْكُمْ بِمُجَالَسَةِ العُلَماءِ، واسْتِمَاعِ كَلامِ الحُكَمَاءِ، فَإِنَّ اللهَ {تَعَالَى} يُحْيِي القَلْبَ المَيْتَ بِنُورِ الحِكْمَةِ. كَمَا يُحْيِي الأَرْضَ المَيْتَةَ بِمَاءِ المَطَرِ »(٣) وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: « كَلِمَةُ الحِكْمَةِ

---

(١) قال العجلونيّ في « الكشف »، ج٢/٤٤٤: لم أقف عليه أنّه حديث، لكن نقل بعضهم عن الشيخ أحمد الغزاليّ [شقيق أبي حامد صاحب « الإحياء »]: « همة الرجال تقلع الجبال ». فليراجع. ووافقه الأزهريّ في « تحذير المسلمين »، ١٨٣.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) قطعة من حديث. ذكره الهيثميّ في « المجمع »، ج١/١٢٥، عن أبي أُمامة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: « إنّ لقمان قال لابنه: يا بنيّ عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإنّ الله يحيي القلب =

ضَالَّةُ الحَكِيْمِ أَخَذَهَا حَيْثُ وَجَدَهَا »[1] والكلمة الّتي في أفواه العوام نزلت من اللّوح المحفوظ وهو عالم الجبروت من الدّرجات ، والكلمة الّتي في أفواه الرّجال الواصلين نزلت في اللّوح الأكبر بلسان القدس بلا واسطة في القربة ، فكلّ شيء يرجع إلى أصله ، ولذلك طلب أهل التّلقين فرض بحياة/ القلب كما قال رسول الله صلّى الله عليه [٢٥/ب] [وآله] وسلّم : « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ »[2] والمراد منه علم المعرفة والقربة والبواقي من العلوم الظّاهرة لا يحتاج إليها إلاّ ما يؤدّي {بها} الفرائض كما

= الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر » . وقال : رواه الطبرانيّ في « الكبير » . وأخرج أبو نعيم في « الحلية » ، ج٨/٧٢ ، عن جابر رضي الله عنه [موقوفاً ومرفوعاً] قال رسول الله ﷺ : « لا تجلسوا عند كلّ عالم إلاّ إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس : من الشكّ إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن الكِبْرِ إلى التواضع ، ومن العداوة إلى النصيحة » . وذكره الغزالي في « الإحياء » ، ج١/٢٦٣ .

(١) أخرج القضاعي في « مسنده » ، ج ١/٦٥ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « كلمة الحكمة ضالة كلّ حكيم ، وإذا وجدها فهو أحقّ بها » . وأخرج الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب العلم ، باب : ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ٢٦٨٧ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحقّ بها » .

(٢) قطعة من حديث . أخرجه ابن ماجه في « سننه » ، كتاب المقدّمة ، باب : فضل العلماء والحثّ على طلب العلم ، ٢٢٤ ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه . وتتمته : «.. وواضع العلم عند غير أهله كمقلّد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب » . قال المناويّ في « فيض القدير » ، ج٤/٢٦٧ : قال السهرورديّ في « عوارف المعارف » [١٧] : اختُلف في العلم الّذي هو فريضة؛ فقيل : هو علم الإخلاص ومعرفة آفات النفس ، وما يفسد العمل ؛ لأنّ الإخلاص مأمور به ، كما أنّ العمل مأمور به ، وخدع النفس وغرورها وشهواتها يخرّب مباني الإخلاص ، فيصير علمه فرضاً . وقيل : علم نحو البيع والشراء . وقيل : علم التوحيد بالنظر والاستدلال والنقل . وقيل : علم الباطن ، وهو ما يزداد به العبد يقيناً ، وهو الّذي يكتسب بصحبة الأولياء ، فهم وارث المصطفى ﷺ . قال الغزاليّ في « منهاج العابدين » ، ٧ـــ٨ : اعلم أنّ العلوم الّتي طلبها فرض في الجملة ثلاثة : علم التوحيد ، وعلم السرّ ـــ أعني ما يتعلّق بالقلب ومساعيه ـــ وعلم الشريعة ، وأمّا حدّ ما يجب من كلّ واحد منها فالّذي يتعيّن فرضه من علم التوحيد مقدار ما تعرف به أصول الدين . وهو أن [تعلم] أنّ لك إلهاً عالماً قادراً مريداً حيّاً متكلّماً سميعاً بصيراً واحداً لا شريك له ، متّصفاً بصفات الكمال ، منزّهاً عن النقصان والزوال ، ودلالات الحدوث ، منفرداً بالقدم عن كلّ محدث ، وأنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله ، الصادق فيما جاء به عن الله تعالى وتقدّس ... وأمّا الّذي فرضه من علم السرّ فمعرفة مواجبه ومناهيه ، حتّى يحصل لك تعظيم الله تعالى والإخلاص له والنيّة وسلامة العمل ... وأمّا ما يتعيّن من علم الشريعة فكلّ ما يتعيّن عليك فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤديه ـــ كالطهارة والصلاة ـــ وما فوق ذلك من العلوم فرض كفاية .

قال الإمام الغزالي رحمة الله عليه [الوافر] :

حَيَاةُ القَلْبِ عِلْمٌ فَادَّخِرْهُ وَمَوْتُ القَلْبِ جَهْلٌ فَاجْتَنِبْهُ

وَخَيرُ مُرَادِكَ التَّقْوى فَزِدْهُ كَفَاكَ بِمَا وَعَظْتُكَ فاتَّعِظْهُ

كما قال الله تعالى :﴿ ..وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ .. ﴾[سورة البقرة٢/١٩٧] {فرضاء} الله تعالى أن يجاوز عبيده إلى القربة ، ولا يلتفت إلى الدّرجاتِ كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ.. ﴾ [سورة الكهف ١٨/٣٠] [وكما قال الله تعالى] ﴿ .. قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا / إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى [٢٦/أ] ٱلْقُرْبَىٰ.. ﴾ [سورة الشّورى ٤٢/٢٣] والمراد منه عالم القربه في أحد الأقاويل .

* * *

الفصل السادس

في بيان أهل التّصوّف[1]

[ولم يسمّ أهل التّصوّف إلاّ] لتصفية باطنهم بنور المعرفة والتّوحيد ، أو لأنّهم {انتسبوا} لأصحاب الصّفّة ، أو للبسهم الصّوف ؛ للمبتدىء صوف الغنم ، وللمتوسّط صوف المعز ، وللمنتهي صوف المرعز ، وهو الصوف المربّع . وكذا حالهم في الباطن على [حسب] مراتب أحوالهم . [وكذا] لطيبات الأطعمة . قال صاحب تفسير المجمع : [يليق] بأهل الزّهد كلّ خشن من الملبس والمطعم [والمشرب] ،

(١) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٢١٧ـ٢١٨ : سئل أبو محمّد الجريريّ عن التصوّف ؟ فقال : الدخول في خلق سنيّ ، والخروج من كلّ خلق دنيّ . وقال : سمعت أبا حمزة البغداديّ يقول : علامة الصوفيّ الصادق أن يفتقر بعد الغنى ، ويذلّ بعد العزّ ، ويخفى بعد الشهرة . وعلامة الصوفيّ الكاذب أن يستغني بعد الفقر ، ويعزّ بعد الذلّ ، ويشتهر بعد الخفاء . سئل عمرو بن عثمان المكيّ عن التصوّف ؟ فقال : أن يكون العبد في كلّ وقت بما هو أولى به في الوقت . وسئل رويم عن التصوّف ؟ فقال : استرسال النفس مع الله تعالى على مايريد . وسئل الجنيد عن التصوّف ؟ فقال : هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة . وقال : سمعت رويم يقول : التصوّف مبنيٌّ على ثلاث خصال : التمسّك بالفقر ، والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التوخي والاختيار . وقال الجنيد : التصوّف كالأرض يُطرح عليها كلّ قبيح ولا يخرج منها إلاّ كلّ مليح . وقال الشبليّ : الصوفيّ : منقطع عن الخلق ، متصل بالحقّ . وسمعت الجنيد يقول : التصوّف هو أن يميتك الحقّ عنك ويحييك به . وسئل عن التصوّف ؟ فقال : أن تملك شيئاً ولا يملكك شيء . وقال الجنيد : التصوّف ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع . وقال أيضاً : الصوفيّ كالأرض يطؤها البَرّ والفاجر ، وكالسحاب يُظِلُّ كلّ شيء ، وكالقطر يسقي كلّ شيء . وقال سهل بن عبد الله : الصوفيّ من يرى دمه هدراً ، وملكه مباحاً . وقال النُّوريّ : نعت الصوفيّ السكون عند العدم ، والإيثار عند الوجود . وقال الشبليّ : التصوّف الجلوس مع الله بلا هم . وقال الجريريّ : التصوّف مراقبة الأحوال ، ولزوم الأدب . وقال المُزَيِّنُ : التصوّف الانقياد للحقّ . وقال أبو تراب النَّخْشَبيُّ : الصوفيّ لا يكدره شيء ويصفو به كلّ شيء . وقال أبو الحسن السيرواني : الصوفيّ يكون مع الواردات لامع الأوراد . وقال الذهبيّ في « السير » ، ج١٤/٥٣٤ : قال الكَتَّانيُّ : التصوّف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق ، زاد عليك في التصوّف .

[ويليق] بأهل المعرفة كلّ ليّن منها ؛ فإنّ إنزال النّاس من منازلهم من السّنّة ؛ كي لا يتعدّى أحد طوره ، أو لأنّهم في الصّفّ الأوّل في الحضرة/ الأحديّة . [٢٦/ب]

فلفظ التّصوّف أربعة أحرف : التّاء والصّاد والواو والفاء .

فالتّاء : من التّوبة ، وهي على وجهين : توبة الظّاهر ، وتوبة الباطن .

فتوبة الظّاهر : أن يرجع بجميع أعضائه الظّاهرة من الذّنوب والذّمائم إلى الطّاعات ، ومن المخالفات إلى الموافقات قولاً وفعلاً .

{وتوبة الباطن} : أن يرجع بجميع أطوار الباطن عن المخالفات الباطنة إلى الموافقات بتصفية القلب ، وإذا حصل تبديل الذّميمة إلى الحميدة فقد تمّ مقام التّاء ، ويسمّونه تائباً .

والصّاد : من الصّفاء ، وهو على نوعين : صفاء القلب ، وصفاء السّرّ .

فصفاء القلب : أن يصفّي قلبه من الكدرات البشريّة ، مثل العلاقات الّتي تحصل/ في القلب من {كثرة} الأكل[1] والشّرب من الحلال ، وكثرة الكلام ، وكثرة [٢٧/أ] النّوم ، وكثرة الملاحظات {الدّنيويّة} ، [مثل حبّ زيادة الكسب ، وزيادة الجماع ، وزيادة محبّة الأولاد وأهله] ونحو ذلك من المناهي النّفسانيّة .

وتصفية القلب من هذه الكدرات لا تحصل إلاّ بملازمة ذكر الله {تعالى} بالتّلقين جهراً في الابتداء إلى أن يبلغ مقام الحقيقة كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.. ﴾ [سورة الأنفال ٨/٢] – أي :خشيت قلوبهم[2] –

(١) ورد في هامش (ظ) : قال أبو سليمان الداراني : مفتاح الدنيا الشبع . ومفتاح الآخرة الجوع . قال يحيى بن معاذ الرازيّ : الجوع نور ، والشبع نار .

(٢) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ١٠١–١٠٢ : قال أبو القاسم الحكيم : من خاف من شيء هرب منه ، ومن خاف من الله عزّ وجلّ هرب إليه . وقال بشر الحافي : الخوف ملك لا يسكن إلاّ في قلب متّقى . وقال : سمعت النوريّ يقول : الخائف يهرب من ربّه إلى ربّه . وقال السلميّ في « طبقات الصوفيّة » ، ٣٠٣ : قال الواسطيّ : الخوف حجاب بين العبد وبين الله تعالى ، والخوف هو الإياس ، والرجاء هو الطمع؛ فإن خفته بَخَّلْتَهُ ، وإن رجوته اتهمته . وورد في هامش (ظ) : قيل الخوف للمذنبين ، والرهبة للعابدين ، والخشية للعالمين ، والوجد للمحبّين ، =

والخشيـة لا تكون إلاّ بعد انتبـاه القلب من نوم الغفلة وتصقيله ، فينقش فيه صور الغيب من الخير والشّر كما {ورد} : (العالم ينقش والعارف يصقل) .

[٢٧/ب] وصفاء السّرّ : الاجتناب {عن} ملاحظة ما سوى الله / {تعالى ومحبته} بملازمة أسماء التّوحيد بلسان سرّه. وإذا [حصلت] هذه التّصفية فقد تمّ مقام الصّاد .

والواو : من الولاية ، تترتب على التّصفية كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١] [سورة يونس ٦٢/١٠] ونتيجة الولاية أن يتخلّق {بأخلاق الله تعـالى} كما قال رسـول الله صـلّى الله عليه [وآله] وسـلّم: « تَخَلَّقُوا بِأَخْلاَقِ اللهِ »[٢] ـ أي : اتّصفوا بصفـات الله تعالى ، فتُلبَّسُ خِلَعَ صفات الله بعد خَلْعِ {الصّفات} البشريّة كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « إِذَا أَحْبَبْتُ عَبْداً كُنْتُ لَهُ سَمْعَاً وَبَصَراً وَيَداً وَلِسَانَاً ، فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَنْطِقُ وَبِي يَمْشِي »[٣] [فتهذبوا] ممّا سوى الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ

[٢٨/أ] وَزَهَقَ/ ٱلْبَٰطِلُ .. ﴾ [سورة الإسراء ٨١/١٧] فحصل مقام الواو .

= والهيبة للعارفين ، لأنهم لا خوف عليهم كما قال الله تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [سورة يونس ٦٢/١٠] .

(١) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٢٠٣ : قال [أبوسعيد] الخرّاز : إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذّ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثمّ رفعه إلى مجالس الأنس ، ثمّ أجلسه على كرسي التوحيد ، ثمّ رفع عنه الحجب وأدخله دار الفروانيّة وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هوى ، فحينئذ صار العبد زمناً فانياً فوقع في حفظه سبحانه ، وبرىء من دعاوي نفسه .

(٢) لم نجده بهذا اللفظ . قال الهيثميّ في « المجمع » ، ج٢٠/٨ : وعن عمّار بن ياسر [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « حسن الخلق خلق الله الأعظم » . رواه الطبرانيّ في « الكبير والأوسط » .

(٣) الأحاديث القدسيّة : ٨١ـ٨٤ . وأخرج البخـاريّ في « صحيحه » ، كتاب الرقاق ، باب : التواضع ، ١١٣٧ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله تعالى : من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ ممّا افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتّى أحبَّه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الّذي يسمع به ، وبصره الّذي يبصر به ، ويده الّتي يبطش بها ، ورجله الّتي يمشي بها ، وإن سألني لأُعْطِيَنَّهُ ، ولئن استعاذني لأُعِيذَنَّهُ ، وما تردَّدت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

والفناء : وهو الفناء في الله – يعني عن غير الله تعالى – إذا فنيت الصّفات البشريّة {بقيت} الصّفات الأحديّة وهي {لا تفنى ولا تبغي} ولا تزول فبقي العبد الفاني مع الرّبّ الباقي ومرضاته ، وبقي قلب الفاني مع سرّ الباقي ونظره كما قال الله تعالى : ﴿ ..كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ.. ﴾ [سورة القصص ٢٨/٨٨] يحتمل أن يؤوّل بالرّضاء – أي : {إلى ما} يوجّه إليه من الأعمال [الصّالحة] لوجهه ورضائه ، [فيبقى] المرضيّ مع الرّاضي .

ونتيجة العمل الصّالح حياة حقيقة الإنسان المسمّى بطفل المعاني كما قال الله تعالى : ﴿ .. إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ.. ﴾ [سورة فاطر٣٥/١٠] . فكلّ عمل يكون لغير [الله تعالى] فيه شركة فهو هالك لعامله ، فإذا تمّ الفناء/ [فيه] حصل البقاء في عالم القربة كما قال الله تعالى : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ [٢٨/ب] عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر ٥٤/٥٥] وهو مقام الأنبياء والأولياء في عالم اللاّهوت كما قال الله تعالى : ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1] [سورة التّوبة ٩/١١٩] .

فالحادث إذا اقترن بالقديم لم يبق له وجود كما قيل (بيت) [الوافر] :

صِفَاتُ الذَّاتِ والأفْعَالِ طُرّاً قَدِيمَاتٌ مَصُونَاتُ الزَّوَالِ

فإذا تمّ الفناء بقي الصّوفيّ مع الحقّ أبداً[2] كما قال الله تعالى : ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سورة البقرة٢/٨٢] .

* * *

(١) في النسخ : ﴿..والله مع الصادقين﴾. وهو تصحيف .

(٢) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٢١٧ : سئل الجنيد عن التصوّف ؟ فقال : أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .

الفصل السابع
في بيان الأذكار

فقد هدى الله الذّاكرين بقوله تعالى : [﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾][1]
[سورة البقرة ٢/ ١٩٨][2] إلى مراتب ذكركم ، وقال النّبيّ صلّى الله عليه/ [وآله] [٢٩/أ]
وسلّم : « أَفْضَلُ مَا أَقُولُ أَنَا وَمَا قَالَهُ النَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لا إله إلاّ الله »[3] .

فلكلّ مقام مرتبة خاصّة ، إمّا جهراً أو خفية ، [فالأوّل] هداهم إلى ذكر اللّسان ، ثمّ إلى ذكر النّفس ، ثمّ إلى ذكر القلب ، ثمّ إلى ذكر الرّوح ، ثمّ إلى ذكر السّرّ ، ثمّ إلى ذكر الخفيّ ، ثم إلى ذكر أخفى الخفيّ .

فأمّا ذكر اللّسان : فكأنه بذلك يذكّر القلب ما نسيَ من ذكر الله تعالى .

وأمّا ذكر النّفس : فهو ذكر غير مسموع بالحروف والصّوت ، بل مسموع بالحسّ والحركة في الباطن .

---

(١) في النسخ : ﴿ ..فاذكروا الله كما هداكم..﴾. وهو تصحيف .

(٢) قال المنذريّ في « الترغيب والترهيب » ، ج٢/٤٠١ : روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ قال : « إنَّ الله يقول : يا ابن آدم ، إنَّك إذا ذكرتني شكرتني ، وإذا نسيتني كفرتني » . وقال : رواه الطبرانيّ في « الأوسط » . وقال القشيريّ في « الرسالة » ، ١٧٣ : سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول : الذكر منشور الولاية ، فمن وفق الذكر فقد أعطي المنشور ، ومن سلب الذكر فقد عزل .

(٣) قطعة من حديث . أخرجه الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب الدعوات ، باب : ما جاء في الدعاء يوم عرفة ، ٣٥٨٥ ، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم بلفظ مقارب . وأخرجه مالك في « الموطّأ » ، كتاب القرآن ، باب : ما جاء في الدعاء ، ٣٢ ، من حديث طلحة بن عبيد الله بن كَريز رضي الله عنه ، ولفظه : « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا والنبيّون من قبلي : لا إله إلاّ الله ، وحده لاشريك له » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٤/٣٢٤ .

وأمّا ذكر القلب : فهو ملاحظة القلب {ما} في ضميره من الجلال والجمال .

وأمّا نتيجة ذكر الرّوح : فهو مشاهدة أنوار تجلّيات الصّفات .

وأمّا ذكر / السّرّ : فهو مراقبة مكاشفة الأسرار الإلهية . [٢٩/ب]

وأمّا ذكر الخفيّ : فهو {معاقبة} أنوار جمال الذّات الأحديّة في مقعد صدق .

وأمّا ذكر أخفى الخفيّ : فهو النّظر إلى حقيقة الحقّ اليقين ، ولا يطّلع {عليه} غير الله تعالى . كما قال الله تعالى : ﴿ .. فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [سورة طه ٢٠/٧] وذلك أبلغ كلّ عوالم ، وأنهى كلّ مقاصد[1] .

اعلم أن ثمّة روحاً آخر ، وهو ألطف من الأرواح كلّها : وهو طفل المعاني ، وهو لطيفه داعية بهذه الأطوار إلى الله تعالى . وقالوا : هذه الرّوح لا تكون لكلّ واحد بل هي للخواصّ كما قال الله تعالى : ﴿ .. يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ/ مَن يَشَآءُ مِنْ [٣٠/أ] عِبَادِهِ .. ﴾ [سورة غافر ٤٠/١٥] وهذه الرّوح مُلازِمَةُ عالم القدرة ، ومشاهدة [عالم] الحقيقة لا تلتفت إلى غير الله تعالى قطّ كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الدُّنْيَا حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ الآخِرَةِ ، والآخِرَةُ حَرَامٌ عَلَى أَهْلِ الدُّنيا ، وَهُمَا حَرَامَانِ عَلَى أَهْلِ اللهِ »[2] .

---

(١) ذكر ابن منظور في « مختصر تاريخ مدينة دمشق » ، ج٨/٢٤٩ : قال عبد الرحمن بن بكر : سمعت ذا النون المصريّ يقول : من ذكر الله ذاكراً على الحقيقة ، نَسِيَ من جنب ذكره كلّ شيء ، وحفظ الله عليه كلّ شيء ، وكان له عوضاً عن كلّ شيء . وقال السلميّ في « طبقات الصوفيّة » ، ٤٧٧ : قال أبو العبّاس الدينوريّ : اعلم أنّ أدنى الذكر أن ينس ما دونه ؛ وغاية الذكر أن يُغيّب الذاكر ـــ في الذكر ـــ عن الذكر ؛ ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر ، وهذا حال فناء الفناء . وقال القشيريّ في « الرسالة » ، ١٧٣ : ذكر الله بالقلب سيف المريدين . وورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : إنّ حقيقة الذكر أن يفنى الذاكر في المذكور ، ويستغرق فيه . وقيل : ذكر القلب يضاعف سبعين ضعفاً على ذكر اللسان .

(٢) أخرجه الديلميّ في « الفردوس » ، ٣١١٠ . وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ، ٤٢٦٩ ، وحسّنه . قال المناويّ في « فيض القدير » ، ج٣/٥٤٤ : فيه جبلة بن سليمان ـــ [قال الذهبيّ في « ميزان الاعتدال » ، ج١/٣٨٨] : قال ابن معين : ليس بثقة ـــ الدنيا ممنوعة على أهل الآخرة ، والآخرة ممنوعة على أهل الدنيا ، لأنّ المنتفع في معاش الدنيا يمكنه التوسع في عمل الآخرة ، والمتوسع في متاع الدنيا لايمكنه التوسع في عمل الآخرة لما =

وطريق الوصول إلى الله {تعالى} متابعة الجسم على الصّراط المستقيم بأحكام الشّريعة ليلاً ونهاراً ، ودوام ذكر الله {تعالى} فرض قائم على الطّالبين كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ .. ﴾ [سورة آل عمران ١٩١/٣] . والمراد من القيام النّهار ، ومن القعود اللّيل ، {ومن الجنوب} ، والقبض ، والبسط ، والصّحة ، والسّقامة ، والغنى والفقر ، والعزّ والخلد ، وما أشبه ذلك .

* * *

= بينهما من التضاد . قال الشافعيّ : من أدعى أنّه جمع بين حبّ الدنيا وحبّ خالقها في قلبه فقد كذب . والدنيا والآخرة ممنوعة على أهل الله ؛ لانّ جنّات عامّة المؤمنين جنّات المكاسب ، وجنّة كُمل العارفين جنّات المواهب ، فأهل الموهبة اتقوا الله حقّ تقاته ، لا خوفاً من ناره ، ولا طمعاً في جنّته ، فصارت جنّتهم النظر إلى وجهه الأقدس ، ونار الحجاب عن جماله الأنفسيّ ، فحجابهم عن رؤيته هو العذاب الأليم ، وعدم الحجاب هو جنّات النعيم . قال [أبو يزيد] البسطاميّ : إنّ في الجنّة رجالاً لو حُجب الله عنهم طرفة عين لاستغاثوا من الجنّة كما يستغيث أهل النار من النار . فقد استبان بذلك أنّ الدنيا والأخرة حرام عليهم معاً . والله أعلم .

[٣٠/ب]

/ الفصل الثّامن

في بيان شرائط الذّكر

وهو أن يكون الذّاكر على وضوء تامّ ، وأن يذكر بضرب شديد وصوت قويّ حتّى يحصل أنوار الذّكر في بواطن الذّاكرين ، وتصير قلوبهم [أحياء] بهذه الأنوار ، حياة أبديّة أخرويّة كما قال الله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [سورة الدّخان ٤٤/٥٦] وكما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الأَنْبِيَاءُ والأَوْلِيَاءُ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِم كَمَا يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ »[١] – يعني : يناجون ربّهم أبداً – وليس معناه ظاهر الصّلاة من القيام/ والرّكوع والسّجود والقعود بل مجرّد [٣١/أ] المناجاة من قبل العبد ، والهديّة المعرفة من قِبَل الحقّ ، فيكون العارف مُحرماً إلى الله تعالى بزيادة المناجاة في قبره كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « المُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ »[٢] {فكما} لا ينام القلب الحيّ فكذلك لا يموت[٣] وكما قال النّبيّ صلّى الله

(١) لم نجده بهذا اللفظ . ويشهد له ما أخرجه أبو يعلى في « مسنده » ، ج٦/١٤٧ ، عن أنس بن مالك [رضي الله عنه] قال رسول الله ﷺ : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون » . وذكره الهيثميّ في « المجمع » ، ج٨/٢١١ ، وقال : رواه أبو يعلى والبزّار ورجال أبي يعلى ثقات . وفي « كشف الأستار » ، ج٣/١٠٠ . وعند الديلميّ في « الفردوس » ، ٤٠٣ . وانظر القول البديع : للسخاويّ ، ٢٢٥–٢٤٧ ، بتحقيق أخينا الشيخ بشير محمّد عيون .

(٢) قطعة من حديث . أخرجه مالك في « الموطّأ » ، كتاب الصلاة ، باب : العمل في القراءة ، ٢٩ ، عن البياضيّ [رضي الله عنه] أنّ رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلّون وقد علت أصواتهم بالقراءة . فقال : « إنّ المصلّي يناجي ربّه ، فلينظر بما يناجيه به ، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن » . قال السيوطي في « تنوير الحوالك » ، ج١/١٠٢ : « إنّ المصلّي يناجي ربّه »؛ تنبيه على معنى الصلاة ، والمقصود بها ليكثر الاحتراز من الأمور المكروهة للنقص فيها ، والإقبال على أمور الطاعة المتممة لها . « ولا يجهر بعضكم » ، لأنّ فيه أذىً ومنعاً من الإقبال على الصلاة ، وتفريغ السرّ لها .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في « الدراية » ، ج١/١٨٢–١٨٣ : أخرج ابن حبّان في ترجمة عبّاد بن كثير الرمليّ ، =

عليه [وآله] وسلّم : « تَنَامُ عَينِي وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي »[1] وقال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وســلّم] : « مَنْ مَاتَ في طَلَبِ العِـلْمِ بَعَثَ اللهُ في قَبْرِهِ مَلَكَيْنِ يُعَلِّمَانِهِ علْمَ المَعْرِفَةِ ، وَقَامَ مِنْ قَبْرِهِ عَالِماً وَعَارِفاً »[2] والمراد من الملكين روحانيّة النّبيّ والوليّ ؛ لأنّ المَلَكَ لا يدخل في عالم المعرفة ولا يعلّمانه وقال/ النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : [٣١/ب]
« كَمْ مِنْ رَجُلٍ مَاتَ جَاهِلاً وَقَامَ يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِماً وَعَارِفاً . وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ مَاتَ عَالِماً وَقَامَ يَوْمَ القِيَامَةِ جَاهِلاً وَمُفْلِساً »[3] كما قال الله تعالى : ﴿ ..أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ.. ﴾[سورة الأحقاف ٢٠/٤٦] وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ »[4] . [وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « نِيَّةُ المُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ ، وَنِيَّةُ الفَاسِقِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ »[5] ؛ لأنّ النّيّة بناء الأعمال كما {ورد} : (بناء

= عن حوشب ، عن الحسن ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، رفعه « المصلّي يتناثر على رأسه الخير من عنان السماء إلى مَفْرق رأسه والملائكة تَحُفّ به من لَدُن قَدَمه إلى عنان السماء ، وملك ينادي ، لو يعلم العبد [المصلّي] من ينـاجي ماالتفت » . [المجروحين : لابن حبّان ، ج١٧٠/٢] . وأخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب صفة الصلاة ، باب : الالتفات في الصلاة ، ٧١٨ ، عن عائشة [رضي الله عنها] قالت : سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة ؟ فقال : « هو اختلاس ، يختلسه الشيطان من صلاة العبد » .

(١) أخرجه البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب المناقب ، باب : كان النبيّ تنام عينه ولا ينام قلبه ، ٣٣٧٦ ، عن عائشة رضي الله عنها . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٩٣/٦ .

(٢) لم نعثر عليه .

(٣) لم نعثر عليه .

(٤) أخرجه البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ١ ، عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، ج١٨/١ : استُدِلّ بهذا الحديث على أنّه لا يجوز الإقدام على العمل قبل معرفة الحكم ؛ لأنّ فيه أنّ العمل يكون منتفياً إذا خلا عن النيّة ، ولا يصح نيّـة فعـل الشيء إلاّ بعد معرفة حكمه . قال الإمام النوويّ في « شرح صحيح مسـلم » ، ج٥٣/١٣ : أجمع المسلمون على عِظَمِ وقع هذا الحديث ، وكثرة فوائده وصحته . قال الشافعيّ وآخرون : هو ثلث الإسلام . قال عبد الرحمن مهدي وغيره : ينبغي لمن صنّف كتاباً أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيهاً للطالب على تصحيح النيّة . والله أعلم . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٥٥٥/١١ .

(٥) قال الزركشيّ في « اللآلئ » ، ٦٥ : القطعة الأولى أخرجها البيهقيّ في « شعب الإيمان » من جهة يوسف بن =

الصحيح على الصحيح صحيح ، وبناء الفاسد على الفاسد فاسد) . وقال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن / كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ [٣٢/أ] ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [سورة الشّورى ٤٢/٢٠] .

فالواجب {على العبد} طلب حياة القلبيّة الأخرويّة من أهل التّلقين في الدّنيا قبل فوت الوقت كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا بِأَعْمَالِ الآخِرَةِ فَلاَ نَصِيْبَ لَهُ فِي الآخِرَةِ »(١) فالدّنيا مزرعة الآخرة ، فإذا لم يزرعه في هذه لم يحصد في الآخرة . والمراد من المزرعة : أرض الوجود لا الآفاق .

* * *

= عطية ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه . وأخرجه العسكريّ من هذا الطريق مرفوعاً . وأخرج الديلميّ في « الفردوس » ، ٦٨٤٢ ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه :«نيَّة المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيَّته ، وكلٌّ يعمل على نيَّته ، فإذا عمل المؤمن عملاً ثار في قلبه نور » . قال المناويّ في « فيض القدير » ، ج٦/٢٩٢ : قال الحكيم : النيّة نهوض القلب إلى الله وبدؤها خاطر ، ثمّ المشيئة ، ثمّ الإرادة ، ثمّ النهوض ، ثمّ اللحوق إلى الله تعالى ، مرتحلاً بعقله وذهنه وعزمه وهمّته ، فمن هنا تتمّ النيّة ، ومنه يخرج إلى الأركان فيظهر على الجوارح فعله ، وإذا صح العزم خرج الرياء والفخر والخيلاء من جميع أعماله وبلغ مقام الأقوياء .

(١) قال العجلوني في « الكشف » ، ج٢/٣٤٢ : رواه الديلميّ عن أنس [رضي الله عنه] . وأخرج الطبرانيّ في « الكبير » ، ج٢/٢٦٨ ، عن الجارود بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طُمسَ وجهه ، وَمُحِقَ ذكره ، وأُثبت اسمه في النار » . قال الهيثميّ في « المجمع » ، ج١٠/٢٢٠ : فيه من لم أعرفهم .

الفصل التّاسع

في بيان رؤية الله تعالى

فالرّؤية على نوعين : {رؤية جماليه}(١) في الآخرة بلا واسطة مرآة القلب . ورؤية [٣٢/ب] صفاته في الدّنيا بواسطة مرآة القلب بنظر الفؤاد من عكس أنوار الجمال كما قال/ الله تعالى : ﴿ مَاكَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَارَأَىٰٓ ﴾ [سورة النّجم ١١/٥٣] وقال النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ »(٢) والمراد من المؤمن الأوّل قلب عبد المؤمن، ومن الثّاني هو الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿ ..ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ.. ﴾ [سورة الحشر ٢٣/٥٩] فمن رأى صفاته في الدّنيا يرى ذاته في الآخرة بلا كيف . وجميع الدعاوى الّتي صدرت {عن} الأولياء في رؤية الله تعالى كقول عمر [بن الخطاب] رضي الله عنه : رأى قلبي ربي ـــ أي : بنور ربي ـــ وقول عليّ [بن أبي طالب] رضي الله عنه : لا أعبد رباً لم أره . فذلك كلّه مشاهدة الصّفات ، كما أنّ [٣٣/أ] من رأى شعاع الشّمس من المشكاة/ ونحوها صحّ له أن يقول رأيت الشّمس على سبيل التّوسع ، وقد مثّل الله تعالى نوره في كلامه باعتبار صفاته بقوله تعالى : ﴿ .. كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ .. ﴾ [سورة النّور ٣٥/٢٤] فقد قالوا : المشكاة قلب المؤمن والمصباح سرّ

(١) أخرج مسلم في « صحيحه » ، كتاب الإيمان ، باب : إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم سبحانه وتعالى ، ٢٩٧ ، عن صهيب [الروميّ] عن النبيّ ﷺ قال : « إذا دخل أهل الجنّة الجنّة ، قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تُبيِّض وجوهنا ؟ ألم تُدخلنا الجنّة ، وتُنجّنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربّهم عزَّ وجلَّ » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج١٠/٥٦٠ .

(٢) تقدّم تخريجه ، ص٦٠ .

الفؤاد ، وهو [الرّوح] السّـلطـاني ، والزّجاجة الفؤاد ، وُصِفَتْ بالدّريّة في شدّة نورانيّة ، ثمّ بيّن المعدن فقال الله تعالى: ﴿ .. يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ .. ﴾ [سورة النّور ٣٥/٢٤] وهي شجرة التّلقين ، والتّوحيد الخاصّ [يكون] من لسان القدس بلا واسطة كما تعلّق القرآن بالنّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] منه في الأصل ، ثم نزل جبرائيل عليه السّلام لمصلحة العوام ، وإنكار الكافر والمنافق. والدّليل عليه قوله تعالى : ﴿ .. لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [سورة النّمل ٦/٢٧] ولذلك يشرع النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ويسبق/ جبرائيل [عليه السّلام] في الوحي ، حتّى [٣٣/ب]
نزلت فيه آية كما قال الله تعالى :﴿ ..وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ.. ﴾[سورة طه ١١٤/٢٠] ولذا [تأخر] جبرائيل [عليه السّلام] ليلة المعراج ، ولم يستطع أن يتجاوز من سدرة المنتهى .

ثمّ وصف الشّجرة بقوله تعالى : ﴿ ..لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ .. ﴾ [سورة النور ٣٥/٢٤] لا يعرضها الحدوث والعدم والطّلوع والغروب بل أزليّة لم [تزل] كما {أنّ الله واجب الوجود} قديم أزليّ لم يزل ولا يزال أبديّ . فكذا صفاته {تعالى} لأنّها أنواره وتجلّياته . {وهي} نسبة قائمة بذاته فلا يبعد أن يكشف حجاب النّفس من وجه القلب ، فيحيي القلب بإضافة تلك الأنوار ، فيشاهد الرّوح من تلك المشكاة صفات الحقّ مع أنّ المقصود من خلق العالم كشف ذلك/ الكنز المخفيّ كما مرّ {البيت}(١) . [٣٤/أ]

وأمّا رؤية ذات الله تعالى فهي في الآخرة بلا واسطة المرآة ــ إن شاء الله تعالى ــ بنظر السّرّ ، وهو المسمّى بطفل المعاني كما قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [سورة القيامة ٢٢/٧٥] .

ولعل المراد من قول النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « رَأَيْتُ رَبِّي عَلَى صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدٍ »(٢) [هو] طفل المعاني ، ويتجلى الرّبّ على هذه الصّورة في مرآة

(١) صِفَاتُ الذّاتِ وَالأَفْعَالِ طُرّاً قَدِيمَاتٌ مَصُونَاتُ الزَّوَالِ

(٢) ذكره السيوطي في « اللآلئ » ، ج١/٣٠ مرفوعاً ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما . قال ابن صدقة عن أبي =

الرّوح {بلا} واسطة بين المتجلّي والمُتَجلّى له ، وإلاّ فالحقّ منزّه عن الصّورة والمادّة وخواصّ الأجسام ، فالصّورة مرآة المرئيّ غير المرآة والرّائي فافهم ، فإنّه لبّ السّرّ ، وهذا في عالم الصّفات لأنّ في عالم الذّات تحترق الوسائط/ ويمحو ، ولا يسع في ذلك غير [٣٤/ب] الله {تعالى} كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي »[١] . ــ أي : بنور ربي ــ .

وحقيقة الإنسان مُحرِم لذلك النّور كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « الإنْسَانُ سرِّي وَأَنَا سِرُّهُ »[٢] كما قال النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « أَنَا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، والْمُؤْمِنُونَ مِنِّي »[٣]. وقال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « خَلَقْتُ مُحَمَّداً مِنْ نُورِ وَجْهِي »[٤] والمراد من الوجه الذّات المقدسة المتجلّية في صفات الأرحميّة كما قال {الله تعالى} في الحديث القدسيّ : « سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي »[٥] وقال الله تعالى

= زُرعة : حديث ابن عبّاس لاينكره إلاّ معتزلي . وروي في بعضها : « بفؤاده » . والحديث إن حُمل على المنام فلا إشكال في المقام ، وإن حُمل على اليقظة ؟ أجاب ابن الهمام بأنّ هذا حجاب الصورة ، وكأنّه أراد بهذا الكلام أنّ تمام المرام يُتصور بحمله على التجلّي الصوريّ ، فإنّ من المحال الضروريّ حمله على التجلّي الحقيقيّ ، فالله سبحانه وتعالى أنواع التجلّيات ، بحسب الذات والصفات وكذا له في القدرة الكاملة والقوّة الشاملة زيادة على الملائكة وغيرهم ، في تشكّل الصور والهيئات ، وهو منزّه عن الجسم والصورة والجهات ، بحسب الذات . قاله ملا القاري في « الأسرار المرفوعة » ، ٢٠٩ . والله أعلم .

(١) لم نعثر عليه . وورد في الكتاب من قول عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

(٢) لم نعثر عليه .

(٣) تقدّم تخريجه ، ص٤٥ .

(٤) تقدّم تخريجه ، ص٤٤ .

(٥) قطعة من حديث . أخرجه البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ﴾ [سورة البروج ٨٥/٢١ـــ٢٢] ، ٧١١٤ـــ٧١١٥ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه : « لمّا قضى الله الخلق ، كتب كتاباً عنده : غلبت ــ أو قال : سبقت ــ رحمتي غضبي ، فهو عنده فوق العرش » . وله شواهد عند مسلم في « صحيحه » ، كتاب التوبة ، باب : في سعة رحمة الله تعالى وأنّها سبقت غضبه ، ٢٧٥١ . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٤/٥١٨ـــ٥١٩ . قال النوويّ في « شرح صحيح مسلم » ، ج١٧/٦٨ : قال العلماء : غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة . فإرادته الإثابة للمطيع ، ومنفعة العبد تسمّى رضا ورحمة ، وعقاب العاصي وخذلانه تسمّى غضباً . وإرادته سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد بها جميع المرادات . قالوا : والمراد بالسبق والغلبة هنا ؛ كثرة الرحمة وشمولها .

لنبيّه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1] [سورة الأنبياء ١٠٧/٢١] وقال الله تعالى : ﴿ ..قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة المائدة [٣٥/أ] ١٥/٥] وقال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلَاكَ »[2] .

* * *

(١) ورد في هامش (ظ) : قال أبوبكر بن طاهر : زيّن الله محمّداً بزينة الرحمة فكان كونه رحمة ، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق . فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناج في الدارين من كلّ مكروه ، ألا ترى أنّ الله تعالى قال : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [سورة الأنبياء ١٠٧/٢١] فكانت حياته رحمة ، ومماته رحمة . كما أخرج الهيثميّ في « كشف الأستار » ، كتاب الجنائز ، باب : ما يحصل لأمّته منه في حياته وبعد وفاته ، ٨٤٥ ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ قال : « إنَّ لله ملائكة سيَّاحين يبلِّغوني عن أمَّتي السلام » . قال : وقال رسول الله ﷺ : « حياتي خير لكم تُحدّثون ويُحدّث لكم ، ووفاتي خير لكم يعرض عليَّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شرٍّ استغفرت الله لكم » .

(٢) ذكره القاري في « الأسرار المرفوعة » ، ٣٨٥ . والصغانيّ في « الموضوعات » ، ٧٨ . ويشهد له ما أخرجه الديلميّ في « الفردوس » ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما مرفوعاً : « أتاني جبريل فقال : يا محمّد ، لولاك ما خُلقت الجنّة ، ولولاك ما خُلقت النار » .

الفصل العاشر

في بيان الحجب الظّلمانية والنّورانيّة

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الإسراء ١٧/٧٢] والمراد منه عمى القلب كما قال الله تعالى: ﴿ .. فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [سورة الحجّ ٢٢/٤٦] .

وسبب إعماه {ظلمات الحجب} والغفلة {والنسيان} بسبب بُعد العهد من ربّه .

وسبب الغفلة : الجهل من حقيقة الأمر {الإلهي} .

وسبب الجهل : استيلاء الصّفات الظّلمانيّة عليه كالكبر والحقد والحسد والبخل [٣٥/ب]والعُجب والغيبة والنّميمة والكذب/ ونحو ذلك من الذّمائم . وسبب تنزّله إلى أسفل السّافلين هذه الصّفات .

[وإزالة هذه الصّفات الذّمائم] {بتصقيل} مرآة القلب {بمصقل} التّوحيد وبالعلم والعمل والمجاهدة القويّة باطناً وظاهراً ؛ فتحصل حياة القلب بنور الأسماء والصّفات فيذكر وطنه الأصليّ {فيشتاق} إليه فيرجع ويصل بعناية الرّحمن .

وبعد ارتفاع هذه الحجب الظّلمانيّة تبقى النّورانيّة ، ويصير بصيراً ببصيرة الرّوح ، ومنوّراً بنور الأسماء والصّفات حتّى ترتفع الحجب النّورانيّة تدريجاً ؛ فينوّر بنور الذّات .

واعلم أنّ للقلب في الباطن عينين : عين الصّغرى ، وعين الكبرى .

[٣٦/أ] **فعين الصّغرى** : /تشاهد تجلّيات الصّفات بنور الأسماء والصّفات إلى {انتهاء}

عالم الدّرجات .

وعين الكبرى : تشاهد تجلّي أنوار الذّات في عالم اللاّهوت ، وهو القربة بنور التّوحيد الأحديّة . وحصول هذه المراتب للإنسان بالموت ، وقبل الموت بالفناء من البشريّة النّفسانيّة ، ووصول العبد إلى ذلك العالم بقدر الانقطاع من {البشريّة النّفسانيّة .

وليس معنى الوصول إلى الله {تعالى} من قبيل وصول الجسم إلى المجسم ، ولا العلم بالمعلوم ، ولا العقل بالمعقول ، ولا الوهم بالموهوم . فمعنى الوصول : بقدر الانقطاع عن غيره بلا قرب ولا بعد ولا جهة ولا مقابلة ولا اتصال ولا انفصال . فسبحان/ [٣٦/ب] من في ظهوره وخفاءه وتجلّيه واستتاره وفي معرفته {حكمة عظيمة} .

فمن حصّل ذلك المعنى في الدّنيا وحاسب نفسه قبل أن يحاسب فهو من المفلحين ، وإلاّ فمستقبله عقوبات من عذاب القبر والحشر والحساب والميزان والصّراط وغير ذلك من شدائد الآخرة .

* * *

الفصل الحادي عشر

في بيان السّعادة والشّقاوة(١)

اعلم أنّ النّاس لا يخلو من هذين القسمين ، وكذا هما يوجدان في إنسان واحد . فإذا غلبت حسناته وإخلاصه تبدّلت جهة شقاوته إلى السّعادة ــ يعني : تبدّلت نفسانيّته إلى روحانيّته ــ وإذا اتبع هواه انعكس الأمر ، وإذا استوت {الجهتان} [٣٧/أ] فالرّجاء والخير كما قال الله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ /بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا.. ﴾ [سورة الأنعام ١٦٠/٦] فزاد به وضع الميزان لأجلهما ؛ لأنّ تبدّل النّفسانيّة إلى الرّوحانيّة بالكلّيّة ، فلا حاجة إلى الميزان ، فهو يجيء بغير حساب ويدخل الجنّة ، وكذا عكسه يدخل النّار بلا حساب . فمن ترجح حسناته دخل الجنّة بلا عذاب كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [سورة ١٠١/٦ــ٧] .

ومن ترجح سيئاته يعذّب بقدر جنايته ، ثمّ يخرج من النّار إن كان له إيمان ويدخل الجنّة .

ومرادنا من السّعادة والشّقاوة معنى الحسنات والسّيئات يتبدل أحدهما بالأخرى كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « السَّعِيْدُ قَدْ يَشْقَى ، وَالشَّقِيُّ قَدْ [٣٧/ب] يَسْعَدُ »(٢) . فإذا غلبت الحسنات/ يكون سعيداً ، وإذا غلبت السّيئات يكون شقيّاً ،

---

(١) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ عبد القادر الجيلاني : من سعد سعادة الأزل طوبى له لم يكن مخذولاً بعد ذلك قطّ ، ومن شقي شقاوة الأزل فويل له ، لم يكن مقبولاً بعد ذلك قطّ .

(٢) انظر تخريج الحديث الّذي يليه . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، ج١١/٤٨٨ : في الحديث أنّ الأعمال حسنها وسيّئها أمارات وليست بموجبات ، وأنّ مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء وجرى به القدر في =

فمن تاب وآمن وعمل صالحاً يبدّل الله شقاوته إلى السّعادة وأمّا القدر في {الأزل} من السّعادة والشّقاوة لكلّ واحد جامع ، قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « السَّعِيْدُ سَعِيْدٌ في بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالشَّقِيُّ شَقِيٌّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ[1] »[2] . فليس لأحد أن يبحث فيه ؛ لأنّه من سرّ القدر ، ولا يجوز أن يحتج أحد بسر القدر .

قال صاحب تفسير البخاريّ : إنّ كثير من الأسرار يُعلم ولا يُتكلم به كسرّ القدر ، فإنّ إبليس أحال أمره إلى سرّ القدر فلُعن بذلك ، وإنّ آدم عليه السّلام أضاف عصيانه إلى نفسه فأفلح ورُحِم . وفي الرّوايات ناجى بعض العارفين : إلهي أنت قدّرت ، وأنت/ أردت ، وأنت خلقت المعصية في نفسي ، فهتف به هاتف : [٣٨/أ] يا عبدي هذا [من] شرط التّوحيد ، فما شرط العبوديّة ؟ فعاد فقال : أنا أخطأت ، وأنا أذنبت ، وأنا ظلمت نفسي ، فعاد الهاتف فقال : أنا غفرت ، وأنا عفوت ، وأنا رحمت .

= الابتداء (قاله الخطابي) وفيه القَسم على الخبر الصدق تأكيداً في نفس السامع ، وفيه إشارة إلى علم المَبدأ والمَعاد ، وما يتعلّق ببدن الإنسان في الشقاء والسعادة ، وفيه عدّة أحكام تتعلّق بالأصول والفروع والحكمة وغير ذلك . وفيه أنّ السعيد قد يشقى ، وأنّ الشقي قد يسعد لكن بالنسبة إلى الأعمال الظاهرة . وأمّا ما في علم الله تعالى فلا يتغيّر . وفيه أنّ الاعتبار بالخاتمة .

(١) ورد في هامش (ظ) : علامة الشقاوة أربعة : نسيان الذنوب الماضية ، وهي عند الله محفوظة ، وذكر الحسنات الماضية وهو لا يدري أقُبِلَت عند الله أم رُدَّت ، والنظر إلى من هو فوقه في الدنيا والنظر إلى من هو دونه في الدين .

(٢) أخرج مسلم في « صحيحه » ، كتاب القدر ، باب : كيفية الخلق الآدمي ، ٢٦٤٥ ، عن عامر بن واثلة رحمه الله أنّه سمع من عبد الله بن مسعود [رضي الله عنه] يقول : الشقي من شقي في بطن أمّه ، والسعيد من وُعِظَ بغيره ، فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له (حذيفة بن أسيد الغفاريّ) فحدّثه بذلك من قول ابن مسعود ، فقال له : وكيف يشقى الرجل بغير عمل ؟ فقال له الرجل : أتعجب من ذلك ؟ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصوَّرها ، وخلق سمعها ، وبصرَها ، وجلدها ، ولحمها ، وعظامها ، ثمّ قال : يا ربّ أذكر أم أُنثى ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثمّ يقول : ياربِّ أجله ؟ فيقول ربُّك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثمّ يقول : ياربِّ رزقه ؟ فيقضي ربُّك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثمّ يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أُمر ولا ينقص » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج١٠/١١٥ــ١١٦ .

وقد أوّلو أنّ المراد من الأمّ في {الحديث} مجمع العناصر الّذي تتولّد منه قوى البشريّة ، فالتّراب والماء مظهر السّعادة ؛ لأنّهما محييا ومنبتا العلم والإيمان والتّواضع في القلب . وأمّا النّار والرّيح فالعكس ؛ لأنّهما محرقان ومميتان . فسبحان من جمع بين هذه الأضّداد في جسم واحد كما يجمع بين الماء والنّار ، وبين النّور والظّلمة في السّحاب كما [٣٨/ب] قال الله تعالى/ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴾ [سورة الرّعد ١٣/١٢] .

سئل يحيى بن معاذ [الرّازيّ] : بمَ عرف الله تعالى ؟ فقال : يجمع بين الأضداد .

ولذلك كان الإنسان نسخة أمّ الكتاب ، ومرآة الحقّ جلالاً وجمالاً ، ومجموعة الكون ، ويسمّى كوناً جامعاً وعالَماً كبرى ؛ لأنّ الله خلقه بيديه ــ أي : بصفات القهر واللّطف ــ لأنّه [لابد] للمرآة من الجهتين ــ يعني : {الكثافة} واللّطافة ــ فيكون مظهر الاسم الجامع بخلاف سائر الأشياء ، فإنّها خلقت بيد واحدة ــ أي : بصفة واحدة ــ .

أمّا صفة اللّطف فقط كالملائكة ، هم مظهر اسم السّبوح والقدّوس فقط (١) .

[٣٩/أ] وأمّا صفة القهر كإبليس/ {وذرّيته} وهو مظهر اسم الجبّار ، ولذلك تجبّروا وتكبّروا عن السّجدة لآدم عليه [الصّلاة] والسّلام .

فلما كان الإنسان جامعاً للخواصّ بجميع الكائنات علواً وسفلاً لم يخلُ الأنبياء والأولياء من الزّلة ، فإنّ الأنبياء {معصومون} من الكبائر بعد النّبوّة والرّسالة دون الصّغائر ، والأولياء ليسوا معصومين ، وقد قيل : الأولياء محفوظون بعد كمال الولاية

(١) قال الخطابي في « شأن الدعاء » ، ٤٠ ــ ١٥٤ : السبّوح : المنزّه عن كلّ عيب . والقُدُوس : الطاهر من العيوب . المنزّه عن الأنداد والأولاد . وأخرج مسلم في « صحيحه » ، كتاب الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود ، ٤٨٧ ، عن عائشة رضي الله عنها ، أنّ رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : « سبّوح قُدّوس ، ربّ الملائكة والروح » . قال الخطابي : الروح فيه قولان : أحدهما : أنّه جبريل ــ عليه السلام ــ خصّ بالذكر تفضيلاً له على سائر الملائكة . والثاني : أنّ الروح خلق من الملائكة يُشَبَّهون في الصور بالإنس وليسوا بإنسٍ . والله أعلم .

[من الكبائر] .

قال الشّقيق البَلْخيّ رحمة الله عليه[1] : **علامة السّعادة خمسة** : لين القلب ، وكثرة البكاء ، والزّهد في الدّنيا ، وقصر الأمل ، وكثرة الحياء .

وعلامة الشّقاوة/ خمسة : قسوة القلب ، وجمود العين ، والرّغبة في الدّنيا ، وطول [٣٩/ب] الأمل ، وقلّة الحياء .

وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « **عَلامَةُ السَّعِيدِ أَرْبَعَةٌ** : إِذَا اؤتمن عَدَلَ ، وَإِذَا عَاهَدَ وَفَّى ، وإِذَا تَكَلَّمَ صَدَقَ ، وإِذَا خَاصَمَ لَمْ يَشْتُمْ. **وَعَلامَةُ الشَّقِيِّ أَرْبَعَةٌ** : إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا عَاهَدَ أُخْلَفَ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ كَذَبَ ، وَإِذَا خَاصَمَ يَشْتُمُ النَّـاسَ وَلاَ يَعْفُوْ عَنْهُمْ »[2] . كما قال الله تعالى : ﴿ .. فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ.. ﴾ [سورة الشّورى ٤٢/٤٠] .

واعلم أنّ تبدُّل الشّقاوة إلى السّعادة أو عكسه يكون بالتّربيه كما قال [رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلامِ وَلَكِنْ/ أَبوَاهُ[٤٠/أ] يُهَوِدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ »[3]. وهذا الحديث يدلّ على أنّ في كلّ واحد قابليّة السّعادة والشّقاوة ، فلا يجوز أن يقال : هذا الرّجل سعيد محض ، أو شقيّ محض ، بل يجوز أن يقال : سعيد إذا غلبت حسناته على سيئاته ، وكذا عكسه . ومن غَيَّرَ هذه فقد ضلّ ؛ لأنّه اعتقد أنّ {من} النّاس [مَنْ] يدخل الجنّة بلا عمل وتوبة ، أو يدخل

---

(١) قال الزركلي في « الأعلام » ، ج ١٧١/٣ : شقيق بن إبراهيم بن عليّ الأزديّ البلخيّ ، أبو عليّ ، زاهد صوفيّ ، من مشاهير المشايخ في خراسان ، ولعلّه أوّل من تكلّم في علم الأحوال بكور خراسان ، وكان من كبار المجاهدين . قال الذهبيّ في « السير » ، ج ٣١٣/٩ : نَزْرُ الرواية ، قُتل في غزاة كولان [فيما وراء النهر] سنة أربع وتسعين ومئة .

(٢) لم نعثر عليه .

(٣) أخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب الجنائز ، باب : إذا أسلم الصبيّ فمات .. ١٢٩٢ــ١٢٩٣ ، عن أبي هريرة رضي الله عنـه ، قال النبيّ ﷺ : « ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه ، كما تُنْتَجُ البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تُحِسُّونَ فيها من جدعاء » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٢٦٨/١ .

النّـار بلا معصيـة ، فهذا القول خلاف النصـوص لأنّ الله تعـالى وعد الجنّـه لأهل {الصّلاح} والنّار لأهل المعاصي والشّرك والكفر كما قال الله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [سورة فصّلت ٤١/٤٦] وقال الله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ [٤٠/ب] كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا / كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ.. ﴾ [سورة غافر ٤٠/١٧] وقال الله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾[سورة النّجم ٥٣/٣٩ــ ٤٠] وقـال الله تعـالى : ﴿ ..وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ.. ﴾ [سـورة البقرة٢/١١٠] .

* * *

الفصل الثّاني عشر

في بيان الفقراء

[قال بعضهم] : إنّما سمّوا صوفياً لأنّهم كانوا يلبسون الصّوف .

وقال بعضهم : لأنّهم صفّوا قلوبهم عمّا سوى الله {تعالى} . وقال بعضهم : [لأنهم] قائمون يوم القيامة في الصّفّ الأوّل ، وهو عالم القربة ؛ **لأنّ العالم أربعة**[1] : عالم المُلك والملكوت والجبروت واللاّهوت ، وهي عالم الحقيقة .

وكذا العلم أربعة : فعلم الشّريعة ، وعلم الطّريقة ، وعلم المعرفة ، وعلم الحقيقة .

وكذا الأرواح أربعة : روح جسمانيّ/ ، وروح { روانيّ } (سيرانيّ) ، وروح [٤١/أ] سلطانيّ ، وروح قدسيّ .

وكذا التّجلّيات أربعة : تجلّي الآثار ، وتجلّي الأفعال ، وتجلّي الصّفات ، وتجلّي الذّات .

---

(١) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمد أفندي الإسكداريّ : اعلم أنّ العوالم كثيرة ، وأهل الكلّ ومبدأ الجمع غيب الغيوب ، وهو على مراتب : **الأولى** : الغيب المطلق ومحض الذات المتنزّهة عن أن ينالها أيدي الإفهام والإشارات . **والثانية** : غيب الذات الأحديّة ، ويقال لها : اليقين الأوّل . **والثالثة** : أيضاً الذات الواحديّة ، ويقال لها : اليقين الثاني ، وهي تتصف بالأسماء والصفات ، ثمّ عالم الأرواح ، ثمّ عالم الخيال والمثال المعلّق ، وهذا العالم أشبه بالعوالم الإلهيّة لكونه جامع الأضداد ، ثمّ عالم الشهادة وهو هذا العالم المحسوس المشتمل على السموات والأرضين ، والشمس والقمر والنجوم والمعدن والنبات والحيوان والإنسان ، ثمّ عالم الإنسان وهو إن كان صغيراً في الصورة إلاّ أنّه أكبر في المعنى ، ولذلك كان مستحقاً للخلافة الكبرى ومحلاً للأمانة العظمى كما قال الله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾ [سورة الأحزاب ٧٢/٣٣] . وفي الكلمات القدسيّة : « ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن » التقيّ ، الورع ، النقيّ ، فهو مرآة الذات ومشكاة أنوار الأسماء والصفات .

وكذا العقل أربعة : عقل المعاشيّ ، وعقل المعاديّ ، وعقل الزّمانيّ ، وعقل الكلّ .

والنّاس مقيّدون {لما} في مقابلة العلم الأربعة المذكورة ـــ يعني : العلوم الأربعة والأرواح والتّجلّيات والعقول ـــ[1] .

فبعض النّاس مقيّدون {بالأوَل} [بالعلم] الأوّل ، وبالرّوح الأوّل ، وبالعقل الأوّل في الجنّة الأولى ، وهي جنّة المأوى .

وبعضهم مقيّدون بالثّواني في الجنّة الثّانية وهي جنّة النّعيم .

وبعضهم مقيّدون بالثّوالث في الجنّة الثّالثة/ وهي جنّة الفردوس . وقد غفلوا عن حقيقة {هذا} الأمر . [٤١/ب]

وأهل الحقّ من الفقراء العارفين نفذوا من [هذه الأمور] كلّها إلى القربة ، لم يتقيدوا بشيء [ممّا] سوى الله تعالى [واتّبعوا قول الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ .. ﴾ [سورة الذّاريات ٥١/ ٥٠] كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « وَهُمَا حَرَامَانِ عَلَى أَهْلِ اللهِ »[2] ، وقال الله [تعالى] في الحديث القدسيّ : « مَحَبَّتِي مَحَبَّةُ الفُقَرَاءِ »[3] وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الفَقْرُ فَخْرِي »[4] والمراد

(١) راجع الفصل الثالث من الكتاب .

(٢) تقدّم تخريجه ، ص٨١ .

(٣) لم نجده بهذا اللفظ . ويشهد له ما أخرجه ابن ماجه في « سننه » ، كتاب الزهد ، باب : فضل الفقراء ، ٤١٢١ ، عن عمران بن حصين [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله يحبُّ عبده المؤمن ، الفقير ، المتعفّف ، أبا العيال » . وذكر الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٤/ ١٩٩ ، عن عليّ [رضي الله عنه] ، عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « أحبُّ العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه ، الراضي عن الله تعالى » . وذكر السمرقنديّ في « تنبيه الغافلين » ، ١٨٤ ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « إنَّ أحبَّ الخلق إلى الله الفقراء ، لأنّه كان أحبُّ الخلق إلى الله الأنبياء ، فابتلاهم بالفقر » . وقال أيضاً ، ١٨١ : ينبغي للمسلم أن يحبّ الفقر ويحبّ الفقراء ، وإن كان غنيّاً ، لأنّ في حبّ الفقراء حبّ الرسول ﷺ . وقد أمر الله تعالى رسوله أن يحبّ الفقراء والدنو منهم . وهو قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ [سورة الكهف ١٨/ ٢٨] . يعني : احبس نفسك مع الفقراء الّذين حبسوا أنفسهم للعبادة .

(٤) قطعة من حديث . ذكره السخاويّ في « المقاصد » ، ٧٤٥ ، وتتمته : « وبي افتخر » . وأخرج الديلميّ في =

من الفقر الفناء في الله ، لا يبقى في نفسه لنفسه [شيء] ، ولا يسع في قلبه غيرَ الله وحبّه كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « لاَ يَسَعْنِي أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي وَلَكِنْ يَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ »[1] ــ أي : المؤمن الّذي صفا قلبه من الصّفات /البشريّة ، وخلا من الأغيار فوسع الحقَّ جلّ جلاله في قلبه بالعكس . [٤٢/أ]

قال أبو يزيد البسطاميّ قدّس الله سرّه : لو أنّ العرش وماحواه أُلقي في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحسّ به ، فمن أحبّ هؤلاء المحبّين فهو معهم في الآخرة ، وعلامة حبّهم حبّ صحبتهم ، والاشتياق إلى الله ولقائه كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « أَلاَ طَالَ شَوقُ الأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي ، وَإِنِّي لأَشَدُّ شَوقَاً إِلَيْهِم »[2] .

وأمّا لباسهم فعلى ثلاثة أوجه : صوف الغنم للمبتدىء ، وصوف المعز للمتوسّط ، وصوف المرعز للمنتهي وهو الصّوف المربّع .

قال صاحب تفسير المجمع : يليق بالزّهاد كلّ خشن/ من [الملبس والمطعم [٤٢/ب] والمشرب] ، لأنّهم أهل الابتداء. ويليق بالعرفاء الواصلين كلّ ليّن منها .

فعمل المبتدىء متلوّن [بالحميدة] وبالذّميمة . وعمل المتوسّط متلوّن بألوان الحميدة مثل نور الشّريعة والطّريقة والمعرفة ، فلباسهم متلوّن مثل البياض والزُّرقة والخضرة[3] . وعمل المنتهي خال عن الألوان كلّها مثل نور الشّمس ، فنورها لا يقبل

=« الفردوس » ، ٢٣٩٩ ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : « تحفة المؤمن في الدنيا الفقر » .

(١) ذكره الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٣/١٥ . قال الحافظ العراقيّ في « المغني » ، ج٣/١٥ : لم أر له أصلاً ، ووافقه الزركشيّ في « اللآلئ » ، ١٣٥ . والعجلوني في « الكشف » ، ج٢/٢٥٥ . قال السيوطي في « الدرر » ، ٣٦٢ : أخرج أحمد في « الزهد » ، [١٠٣] : عن وهب بن منبه : « إنّ الله عزَّ وجلَّ فتح السموات لحزقيل حتّى نظر إلى العرش أو كما قال ، فقال حزقيل : سبحانك ما أعظمك يا ربّ . فقال الله : إنّ السموات والأرض لم تطق أن تحملني ، وضقن من أن يسعني ، ووسعني قلب المؤمن الواد ع اللين .

(٢) ذكره الفتنيّ في « تذكرة الموضوعات » ، ١٩٦ .

(٣) ورد في هامش (ظ) :قول بعض المشايخ إنّ جنيداً قُدِّس سرّه قد لبس في بعض الأيام صوفاً أخضر يمنيّاً في غاية البرق ونهاية اللطافة ، فقيل له في ذلك ، فقال : يا عبد الله إنّ العبرة للحرفة لا للخرقة ، كما قال النبيّ ﷺ : « إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » . انظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٦/٥٢٣ .

الألوان ، وكذا لباسهم لا يقبل الألوان مثل السّواد ، وهو علامة الفناء ، وهو نقاب نور معرفتهم كما أنّ اللّيل نقاب نور الشّمس ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ..يُغْشِي ٱلَّيْلَ [٤٣/أ] ٱلنَّهَارَ.. ﴾ [سورة الأعراف ٧/٥٤] وكما قال الله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا/ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [سورة النّبأ ٧٨/١٠] وفيه إشارة لطيفة لمن له لبّ .

وأيضاً يكون أهل القربة في الدّنيا في سجن وغربة وغمّ وغُصّة ومحنة وشدّة وظُلمة كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ »[١] .

فيليق بالظّلمة لباس الظّلمة ، وقد صح في الحديث أنّ النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] لبس الأسود وتعمم بعمامة سوداء[٢] ، وهذا لباس البلاء ولباس المتعزّين [المصابين] بنور القابلية من المشاهدة والمكاشفة والمعاينة ، وبموت الحياة الأبديّة مثل الشّوق والعشق والرّوح القدسيّ ، ومرتبة القربة والوصلة ، وهؤلاء من أعظم المُصيبات [٤٣/ب] ولا بدّ من لباس/ المتعزّين في مدّة عمره ؛ لأنّه {فاتته منفعة} الأخرويّة ، وكانت المرأة الّتي مات زوجها {أمرها} الله تعالى بلباس العزاء أربعة أشهر وعشرة أيام[٣] بفوت المنفعة الدّنيويّة . فمدة عزاء {المنفعة} الأخرويّة غير متناهيه كما قال [رسول الله] صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً النَّبِيُّونَ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلِ »[٤] . وقال رسول

---

(١) قطعة من حديث . أخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الزهد والرقائق ، ٢٩٥٦ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب الزهد ، باب : ما جاء أنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر ، ٢٣٢٤ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً . وتتمته : « ..وجنَّة الكافر » . قال الإمام النوويّ في « شرح صحيح مسلم » ، ج١٨/٩٣ : معناه أنّ كلّ مؤمن مسجون ، ممنوع من الدنيا المحرّمة والمكروهة ، مكلّف بفعل الطاعات الشاقة ، فإذا مات استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعدّ الله تعالى له من النعيم الدائم ، والراحة الخالصة من النقصان . وأمّا الكافر فإنّما له من ذلك ما حصّل في الدنيا مع قلته وتكريره بالمنغصات ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد . والله أعلم .

(٢) أخرج مسلم في « صحيحه » ، كتاب الحجّ ، باب : جواز دخول مكّة بغير إحرام ، ١٣٥٩ ، عن جعفر بن عمرو بن حُريث ، عن أبيه ، أنّ رسول الله خطب الناس وعليه عمامة سوداء .

(٣) إشارة لقوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً.. ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٣٤] .

(٤) أخرجه الترمذيّ بلفظ مقارب تماماً في « الجامع الصحيح » ، كتاب الزهد ، باب : ما جاء في الصبر على البلاء ، ٢٣٩٨ ، عن سعد بن أبي وقّاص [رضي الله عنه] . وأخرجه ابن ماجه في « سننه » ، كتاب الفتن ، =

الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظَيْمٍ »[١] . فهذا كلّه من صفة الفقر والفناء ، وفي الخبر : « الفَقْرُ سَوَادُ الوَجْهِ فَي الدَّارَيْنِ »[٢] معناه [أنّه] لا يقبل الألوان غير نور وجه الله {تعالى} ، والسّواد بمنزلة خال على وجه جميل يزيد به {حُسن} جماله وملاحته ، فإذا نظر أهل القربة إلى جماله/ فبعد ذلك لا يقبل [٤٤/أ] نور أعينهم غير الله تعالى ، ولا ينظرون إلى ماسوى الله [تعالى] بالمحبّة بل يكون محبوبهم ومطلوبهم هو الله {تعالى} في الدّارين ، ولا يقصدون غير الله تعالى ؛ لأنّ الله تعالى خلق الإنسان لمعرفته ووصلته .

فالواجب على الإنسان أن يطلب ما خُلق لأجله[٣] في الدّارين كي لا يضيع عمره بما لا يعنيه ، ولا يندم أبداً بعد الموت لتضييع [عمره] .

* * *

= باب : الصبر على البلاء ، ٤٠٢٣ ، عن سعد بن أبي وقّاص [رضي الله عنه] . بزيادة : « ..يُبتلى العبد على حسب دينه ، فإن كان في دينه صُلباً أشتدّ بلاؤه ، وإن كان في دينه رِقّة ابتلي على حسب دينه ، فَمَا يبرح البلاء بالعبد حتّى يتركه يمشي على الأرض ، وَما عليه من خطيئة » .

(١) قطعة من حديث . ذكره الحوت في « الأحاديث المُشكَلة » ، ٢٧٦ ، ولفظه : « النّاس هلكى إلاّ العالمون ، والعالمون هلكى إلاّ العاملون ، والعاملون هلكى إلاّ المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم » . وأورده السيوطيّ في « النكت » .

وأخرج الخطيب البغداديّ في « اقتضاء العلم العملَ » ، ٢٩ ، عن سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيِّ قال : الدينا جهل وموات إلاّ العلم ، والعلم كلُّه حجّة إلاّ العمل به ، والعمل كلُّه هباء إلاّ الإخلاص ، والإخلاص على خطر عظيم حتّى يختم به .

(٢) ذكره الصغانيّ في « الموضوعات » ، ٨٠ . والعجلوني في « الكشف » ، ج٢/١٣١ . ويشهد له ما أخرجه الديلميّ في « الفردوس » ، ٤٤٢٢ ، عن ابن عبّاس رضي الله عنه : « الفقر فقران : فقر الدنيا ، وفقر الآخرة . فقر الدنيا غنى الآخرة ، وغنى الدنيا فقر الآخرة . ذلك الهلاك ، حبُّ مالها وزينتها ، فذلك فقر الآخرة وعذاب الدنيا » . وورد في هامش (ظ) : قيل للأمراض والأوجاع فوائد أربعة : تطهير عن الذنوب ، وتذّكير بالآخرة ، ومنع عن المعاصي ، وإخلاص في الدعاء .

(٣) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٢٥٣_٢٥٤ : قيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه [الصلاة] والسلام : يا داود إنّي حرّمت على القلوب أن يدخلها حبّي ، وحبُّ غيري فيها . وقيل : قالت رابعة [العدويّة] في مناجاتها : إلهي أتحرق بالنار قلباً يحبّك؟ فهتف بها هاتف : ما كنا نفعل هكذا ، فلا تظنّي بنا ظنّ السوء . وقيل : الحبّ حرفان ، حاء و باء ، فالإشارة فيه أنّ من أحبّ فليخرج عن روحه وبدنه .

الفصل الثّالث عشر

في بيان الطّهارة[1]

فالطّهارة على نوعين : طهارة الظّاهر ، وطهارة الباطن .

فطهارة الظّاهر [تحصل] بماء الشّريعة .

وطهارة الباطن [تحصل] بماء التّوبة والتّلقين والتّصفية وسلوك الطّريق ، فإذا [٤٤/ب]انتقض/ وضوء الشّريعة[2] ــ بخروج النّجس ــ {يجب} تجديد الوضوء كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « مَنْ جَدَّدَ الوُضُوءَ جَدَّدَ اللهُ إِيْمَانَهُ[3] »[4]. فإذا انتقض وضوء الباطن بالأفعال الذّميمة والأخلاق الرّديّة ــ كالكبر والحقد والحسد

(١) الطهارة (لغة) : النظافة ، والتنزّه من الأقذار ، والتطهّر بالماء وغيره . قال ابن قدامة المقدسيّ في « المغني » ، ج١/٦ : الطهارة في الشرع : رفع ما يمنع الصلاة ، من حدث ، أو نجاسة بالماء ، أو رفع حكمه بالتراب . وقال النجفيّ في « جواهر الكلام » ، ج١/٤ : الطهارة (عُرفاً) : اسم للوضوء ، أو الغسل ، أو التيمم على وجهٍ له تأثيرٌ في استباحة الصلاة . قال سعدي أبو جيب في « القاموس » ، ٢٣٣ : الطهارة عند الفقهاء نوعان : طهارة عن حدث ، وطهارة عن نجس .

(٢) نواقض الوضوء : كلّ ما خرج من السبيلين ، والدم ، والقيح ، والصديد إذا خرج من البدن فتجاوز إلى موضع يلحقه حكم التطهير ، والقيء إذا ملأ الفم ، والنوم مضطجعاً أو متّكئاً أو مستنداً إلى شيء لو أُزيل عنه لسقط ، والغلبة على العقل بالإغماء والجنون ، والقهقهة في كلّ صلاة ذات ركوع وسجود .

(٣) ورد في هامش (ظ) : يقال : إنّ المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرض خوفاً منه .

(٤) لم نجده بهذا اللفظ . وأورد الغزاليّ في « الإحياء » ، ج١/١٣٥ : قال [رسول الله] ﷺ : « الوضوء على الوضوء نور على نور » . وأخرج ابن ماجه في « سننه » ، كتاب الطهارة وسننها ، باب : ما جاء في الوضوء مرّة ومرّتين وثلاثاً ، ٤٢٠ ، عن أُبيّ بن كعب [رضي الله عنه] أنّ رسول الله ﷺ دعا بماء فتوضأ مرّة مرّة . فقال : « هذا وظيفة الوضوء » أو قال : « وضوء من لم يتوضّأْهُ ، لم يقبل الله له صلاة » . ثمّ توضأ مرّتين مرّتين ثمّ قال : « هذا وضوء من توضّأه أعطاه الله كِفلين من الأجر » ثمّ توضأ ثلاثاً ثلاثاً . فقال: «هذا وضوئي ووضوء المرسلين من قبلي » . وهذا كلّه حثٌّ على تجديد الوضوء وإسباله . والله أعلم .

والعُجب والغيبة والكذب والخيانة ؛ يعني : مثل خيانة العين واليدين والرجلين والأذنين كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « العَيْنَانِ تَزْنِيَانِ والأُذُنَانِ تزْنِيَانِ »(١) ـــ فتجديده [وضوء الباطن] بإخلاص التّوبة عن هذه المفسدات ، وتجديد الإنابة {بالنّدم} والاستغفار [والاشتغال] بقمعها من الباطن .

وينبغي للعارف أن يحفظ توبته من هذه الآفات/ فتكون صلاته تامّة كما قال الله [٤٥/أ] تعالى : ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [سورة ق ٥٠/٣٢] .

فوضوء الظّاهر وصلاته مؤقتة ، ووضوء الباطن وصلاته مؤبدة في جميع عمره ، في كلّ يوم وليلة متصلة .

* * *

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » ، ج٤١٢/١ بلفظ مقارب تماماً ، عن ابن مسعود رضي الله عنه . وأخرج مسلم في « صحيحه » ، كتاب القدر ، باب : قُدِّر على ابن آدم حظّه من الزنى وغيره ، ٢/٢٦٥٧ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] ، عن النبيّ ﷺ قال : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدرك ذلك لامحالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنّى ، ويصدّق ذلك الفرج ويكذّبه » . قال النوويّ في « شرح صحيح مسلم » ، ج٢٠٦/١٦ : إنّ ابن آدم قُدِّر عليه نصيب من الزنى فمنهم من يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج في الفرج الحرام ، ومنهم من يكون زناه مجازاً بالنظر إلى الحرام ، أمّا الاستماع إلى الزنى وما يتعلّق بتحصيله ، أو بالمس باليد بأن يمس أجنبيةً بيده ، أو يقبّلها ، أو بالمشيّ بالرجل إلى الزنى ، أو النظر أو اللمس ، أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك ، أو بالفكر بالقلب . فكلّ هذه أنواع من الزنى المجازيّ . والفرج يصدق ذلك أو يكذّبه ، وأنّه قد يحقق الزنى بالفرج ، وقد لا يحققه بأن لا يولج الفرج في الفرج ، وإن قارب ذلك . والله أعلم .

الفصل الرّابع عشر

في بيان صلاة(1) الشّريعة والطّريقة

أمّا صلاة الشّريعة : فقد علمت بهذه الآية : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ.. ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٣٨] والمراد منها أركان الجوارح الظّاهرة بحركة الجسمانيّة(2) مثل القيام والقراءة والرّكوع والسّجود والقعود والصّوت والألفاظ ؛ ولذلك جاء الفضل الجمع ــ يعني قال الله تعالى : ﴿ حَٰفِظُواْ.. ﴾ ــ.

وأمّا صلاة الطّريقة : فهي صلاة القلب ، وهي مؤبّدة فقد عُلمت بهذه الآية : ﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [سورة البقرة٢/٢٣٨] والمراد من الصّلاة الوسطى/ صلاة [٤٥/ب]
القلب ؛ لأنّ القلب خُلق في وسط الجسد بين اليمين والشّمال ، وبين العلويّ والسّفليّ ، وبين السّعادة والشّقاوة(3) كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « القَلْبُ بَيْنَ

(١) قال الجرجاني في « التعريفات » ، ١٧٥ــ١٧٦ :الصلاة (لغة) : الدعاء . (شرعاً) : عبارة عن أركان مخصوصة ، وأذكار معلومة ، بشرائط محصورة ، في أوقات مقدّرة .

(٢) ورد في هامش (ظ) : قال بعض الكبار : القيام خاصيّة الإنسانيّة ، والركوع خاصيّة الحيوانيّة ، والسجود خاصيّة النباتيّة ، والقعود خاصيّة الجماديّة . قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : إنّ القيام يشير إلى المصلّي بالتخلّص عن حجب الأوصاف البشريّة ، وأعظمها الكِبْر ، وهو خاصيّة النار . والركوع يشير إليه بالتخلّص عن حجب الصفات الحيوانيّة ، وأعظمها الشهوة ، وهي من خاصيّة الهوى . والسجود يشير بالتخلّص عن حجب الطبيعيّة النباتية ، وأعظمها الحرص على الجذب ، ولذلك يرى النبات بالنشور والنماء ، وهي خاصيّة الماء والتشهّد إليه بالتخلّص عن حجب الطبيعيّة الجماديّة وأعظمها الجمودة ، وهي خاصيّة التراب ، ومن هذه الصفات المذكورة ينشأ بقيّة الصفات البشريّة ، فإذا تخلّص عن هذه الدركات والحجب وترق بهذه المدارج الأربعة إلى جوار ربّ العالمين ، فقد أقام الصلاة مناجياً ربّه كما قال النبيّ ﷺ : « لو علم المصلّي مع من يناجي ما التفت » .

(٣) قال سعدي أبو جيب في « القاموس » ، ٢١٦ : الصلاة الوسطى في قول أكثر العلماء من الصحابة وغيرهم ، وفي مذهب الحنفيّة ، والحنابلة ، والظاهريّة ، والمختار عند الشافعيّة : هي صلاة العصر . وفي قول زيد بن ثابت ، =

أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ »(١) والمراد من الأصبعين صفتيّ القهر واللّطف ، لأنّ الله تعالى منزّه عن الأصابع فبدليل هذه الآية والحديث يُعلم أنّ [الأصل] صلاة القلب ، فإذا غفل عن صلاته فسدت صلاته وصلاة الجوارح كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « لا صَلاَةَ إلاّ بِحُضُورِ القَلْبِ(٢) »(٣) ؛ لأنّ المصلّي يناجي ربّه ، ومحلّ المناجاة القلب ، فإذا غفل القلب بطلت صلاته ونقضت صلاة الجوارح ؛ لأنّ القلب أصل والباقي تابع له كما قال النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « أَلاَ إنّ/ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإذَا فَسَدتْ فَسَدَ[٤٦/أ]

= وعائشة ، وأسامة بن زيد ، وأبي سعيد الخدريّ ، وفي قول المرتضى : هي صلاة الظهر . وفي قول عمر وابن عمر ، وابن عبّاس ، ومعاذ ، وجابر ، وعطاء ، وعكرمة ، ومجاهد ، وعند المالكيّة ، والشافعيّ ، وجمهور من أصحابه : هي صلاة الصبح . وفي قول بعض الصحابة ، وسعيد بن المسيب : هي صلاة المغرب . وفي قول بعض العلماء ، وعند الجعفريّة : هي صلاة العشاء .

(١) ذكره الغزاليّ في « الإحياء » ، ج١/١٠٢ . وأخرج مسلم في « صحيحه » ، كتاب القدر ، باب : تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ، ٢٦٥٤ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص [رضي الله عنهما] يقول : إنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرّفه حيث يشاء » . ثمّ قال رسول الله ﷺ : « اللهمّ مصرّف القلوب ، صرّف قلوبنا على طاعتك » .

(٢) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ في قوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [سورة العنكبوت ٢٩/٤٥] فصلاة البدن تنهى عن المعاصي والسيّئات الشرعيّة ، وصلاة النفس تنهى عن الرذائل والأخلاق الرديّة ، وصلاة القلب تنهى عن الفضول والغفلة ، وصلاة السرّ تنهى عن الالتفات إلى الغير كما قال رسول الله ﷺ : « لو علم المصلّي مع من يناجي ما التفت » . وصلاة الروح تنهى عن الطغيان بطهور القلب بالصفات ، كنهي صلاة القلب عن ظهور النفس بها ، وصلاة الخفي تنهى عن الإثنينيّة وظهور الأنانيّة ، وصلاة الذات تنهى عن ظهور البقيّة بالتلوين . فمن صلّى هذه الصلوات فقد خلص عن جميع الذنوب والخطيئات .

(٣) لم نجده بهذا اللفظ . ويشهد له ما أخرجه ابن حبّان في « صحيحه » ، كتاب الصلاة ، باب : صفة الصلاة ، ١٨٨٩ ، عن عمّار بن ياسر [رضي الله عنه] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الرجل ليصلّي الصلاة ، ولعلّه لا يكون له منها إلاّ عُشرها ، أو تُسعها ، أو ثُمنها ، أو سُبعها ، أو سُدسها » حتّى أتى على العدد . وكان يقول : « إنّما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها » . قال الغزاليّ في « الإحياء » ، ج١/١٦٠ : عن بشر بن الحارث قوله : من لم يخشع فسدت صلاته . وروي عن الحسن أنّه قال : كلّ صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع . قال الغزاليّ : إنّ حضور القلب هو روح الصلاة ، وأنّ أقلّ ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير . فالنقصان منه هلاك ، وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة .

الجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ »[1] .

وصلاة الشّريعة : مؤقتة في كلّ يوم وليلة خمس مرّات ، والسُنَّةُ أن يصلّي هذه الصّلاة في المسجد بالجماعة متوجهاً إلى الكعبة ، وتابعاً بالإمام بلا رياء ولا سمعة[2] .

وأمّا صلاة الطّريقة : **فهي مؤبّدة في عمره** ، ومسجدها القلب ، وجماعتها اجتماع [قوى الباطن] على الاشتغال بأسماء التّوحيد بلسان الباطن ، وإمامها الشّوق في الفؤاد ، وقبلتها الحضرة الأحديّة وجمال الصّمديّة وهي قبلة الحقيقة . والقلب والرّوح مشغول بهذه الصّلاة على الدّوام ، فالقلب لا يموت ولا ينام ، وهو مشغول/ في النّوم [٤٦/ب]
واليقظة بحياة القلب بلا صوت ولا قيام ولا قعود ، فهو مخاطب بقوله تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3] [سورة الفاتحة ١/٥] متابعاً للنّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم .

---

(١) قطعة من حديث . أخرجه البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب الإيمان ، باب : فضل من استبرأ لدينه ، ٥٢ ، عن النعمان بن بشير [رضي الله عنه] يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتّقى المشبّهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات : كراع يرعى حول الحمى ، يوشك أن يواقعه ، ألا وإنّ لكلّ ملك حمى ، ألا إنّ حمى الله في أرضه محارمه ، ألا وإنّ في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كلّه ، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ، ألا وهي القلب » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج١٠/٥٦٧ ، قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، ج١/١٢٩ : عظّم العلماء أمر هذا الحديث فعدّوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام . قال القرطبيّ : لأنّه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره ، وعلى تعلّق جميع الأعمال بالقلب ، فمن هنا يمكن أن تُرَدَّ جميع الأحكام إليه . والله أعلم .

(٢) أخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب الجماعة والإمامة ، باب : فضل صلاة الجماعة ، ٦٢٠ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في الجماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته ، وفي سوقه ، خمسة وعشرين ضعفاً ، وذلك أنّه : إذا توضّأ فأحسن الوضوء ، ثمّ خرج إلى المسجد ، لا يُخْرِجُهُ إلاّ الصلاة ، لم يخط خطوة ، إلاّ رفعت له بها درجة ، وحطّ عنه بها خطيئة ، فإذا صلّى ، لم تزل الملائكة تصلّي عليه ، ما دام في مصلاّه : اللهمّ صَلِّ عليه ، اللهمّ ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة » .

(٣) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٧٢ : ﴿ إياك نعبد.. ﴾ حفظ للشريعة ﴿ ..وإياك نستعين ﴾ إقرار بالحقيقة . والشريعة أمر بالتزام العبوديّة ، والحقيقة مشاهدة الربوبيّة . قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : أي رؤيته إياها بقلبه ، ويعبّر عن ذلك بأنّ الشريعة معرفة السلوك إلى الله تعالى ، والحقيقة دوام النظر إليه ، والطريقة سلوك طريق الشريعة ــ أي : العمل بمقتضاها ــ وبعضهم لم يفرّق بينها وبين الشريعة ، والشريعة ظاهر الحقيقة ، والحقيقة باطن الشريعة ، وهما متلازمان لا يتمّ أحدهما إلاّ بالآخر .

قال في تفسير القاضي[1] : في هذه الآية إشارة إلى حال العارف وانتقاله من حال الغيبة إلى الحضرة ، فاستحقّ بمثل هذا الخطاب كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الأَنْبِيَاءُ وَالأَوْلِيَاءُ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ كَمَا يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ »[2] _ أي : مشغولون بالله {ومناجاته لحياة} قلوبهم _ فإذا اجتمعت صلاة الشّريعة والطّريقة ظاهراً وباطناً فقد تمّت الصّلاة _ يعني : تكون صلاته صلاة تامّة _ وأجرها عظيم/ في القربة بالرّوحانيّة ، والدّرجات بالجسمانيّة ، فيكون هذا الرّجل عابداً في [٤٧/أ] الظّاهر ، وعارفاً في الباطن[3] . وإذا لم تحصل صلاة الطّريقة بحياة القلب فهو ناقص وأجره يكون من الدّرجة لا من القربة .

* * *

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للبيضاوي ، ج٣١/١ .

(٢) تقدّم تخريجه ، ص٨٣ .

(٣) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٢٤٤_٢٤٥ : قال الشبليّ : العارف لا يكون لغيره لاحظاً ، ولا بكلام غيره لافظاً ، ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً . وقال الجنيد : العارف من نطق الحقّ عن سرّه وهو ساكت . وسئل أبو يزيد عن العارف ؟ فقال : لا يرى في نومه غير الله تعالى ، ولا في يقظته غير الله تعالى ، ولا يوافق غير الله تعالى ، ولا يطالع غير الله تعالى .

الفصل الخامس عشر

في بيان الطّهارة المعرفة

{في عالم التجريد}

[الطّهارة المعرفة] على نوعين : طهارة معرفة الصّفات ، وطهارة معرفة الذّات .

فطهارة معرفة الصّفات : لا تحصل إلاّ بالتّلقين ، وتصفية مرآة القلب بالأسماء من النّفوس البشريّة والحيوانيّة ؛ فيصفوا القلب ، ويحصل له النّظر بعين القلب من نور الله ، لينظر بنور الصّفات إلى عكس جمال الله تعالى في مرآة القلب كما قال رسول الله [٤٧/ب] صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ »[١] و« الْمُؤْمِنُ/ مِرْآةُ الْمُؤمِنِ »[٢] {وقيل} : (العالم ينقش والعارف يصقل) .

وإذا تمّت التّصفية بملازمة الأسماء ، حصلت معرفة الصّفات بمشاهدتها في مرآة القلب .

وأمّا طهارة معرفة الذّات في السّرّ : فلا تحصل إلاّ بملازمة أسماء التّوحيد الثّلاثة الأخيرة من الأسماء الاثني عشر في عين السّرّ بنور التّوحيد . فإذا تجلّت أنوار الذّات

---

(١) قطعة من حديث . أخرجه الديلميّ في « الفردوس » ، ٦٥٥٤ ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما . وتتمته : « ..عزّ وجلّ الّذي خُلق منه » . وأخرج الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحُجر ، ٣١٢٧ ، عن أبي سعيد الخدريّ [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله » ثمّ قرأ : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [سورة الحِجر ١٥/٧٥] . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٢/٢٠٥-٢٠٦ . قال المناويّ في « فيض القدير » ، ج١/١٤٣ : أي يبصر بعين قلبه المشرق بنور الله تعالى ، وباستنارة القلب تصحّ الفراسة ، لأنّه يصير بمنزلة المرآة الّتي تظهر فيها المعلومات كما هي .

(٢) تقدّم تخريجه ، ص٦٠ .

ذابت وفنيت بالكلّية ، فهذا مقام الاستهلاك ، وفناء الفناء ، وهذا التّجلّي يمحو جميع الأنوار كما قال الله تعالى : ﴿ .. كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ .. ﴾ [سورة القصص ٨٨/٢٨] فبقي الرّوح القدسيّ بنور القدس ناظراً إليه ، ناظراً به منه معه ، فيدلّه /بلا كيفيّة ولا تشبيه ؛ لأنّ الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشّورى ١١/٤٢] ، فبقي النّور المطلق محضاً ، ولا يمكن الإخبار عما وراء ذلك ؛ لأنّه عالم المحو ، فلا يبقى ثمّة عقل يخبر عنه ولا تحوم ثمّة غير الله تعالى كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لاَ يَسَعُ فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ »[1] . [٤٨/أ]

فهذا عالم التّجريد من غير الله تعالى كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « تَجَرَّدْ تَصِلْ » [2] . والمراد من التّجرد : فناء الكلّ من صفات البشريّة ، فيبقى في عالمه [متّصفاً] بصفة الله تعالى كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « تَخَلَّقُوا بِأَخْلاَقِ اللهِ »[3] يعني اتصفوا/ بصفات الله تعالى . [٤٨/ب]

* * *

---

(١) تقدّم تخريجه ، ص٤٩ .

(٢) لم نعثر عليه .

(٣) تقدّم تخريجه ، ص٧٨ .

الفصل السادس عشر

في بيان زكاة الشّريعة والطّريقة[1]

زكاة الشّريعة : هي أن يعطي من كسب الدّنيا إلى مصارفه مؤقتة معينة في كلّ سنة مرّة من نصاب معيّن[2] .

أمّا زكاة الطّريقة : فهي أن يعطي من كسب الآخرة كلّه في سبيل الله إلى فقراء الدّين والمساكين الأخرويّة .

والزّكاة [زكاة الشّريعة] : سمّيت صدقة في القرآن كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [سورة التّوبة ٩/٦٠] وإنّما سمّيت صدقة لأنّ الصّدقة تصل إلى يد الله قبل أن تصل إلى يد الفقراء ، والمراد منه قبول الله تعالى .

[٤٩/أ] **وزكاة الطّريقة** : فهي مؤبّدة ، وهو أن يعطي ثواب/ كسب الآخرة للعاصين لرضاء الله تعالى ، فيغفر الله {تعالى} لهم مثل ثواب الصّلاة والزّكاة والصّوم والحجّ ، وثواب التّسبيح والتّهليل ، وثواب تلاوة القرآن والسّخاوة وغير ذلك من الحسنات ، فلا يُبقي لنفسه شيئاً من ثواب حسناته ، ويُبقي نفسه مفلساً ، فالله يحب السّخاوة

(١) الزكاة (لغة) : البركة والنماء ، وصفوة الشيء ، والطهارة ، والمدح ، والصلاح . قال التمرتاشي في « تنوير الأبصار » : الزكاة (شرعاً) : تمليك جزء من المال ، عيّنه الشارع ، من مسلم فقير ، غير هاشمي ، ولا مولى لهاشمي ، مع قطع المنفعة عن المملّك من كلّ وجه ، لله تعالى .

(٢) ذكر الهيثميّ في « المجمع » ، ج ٦٥/٣ : عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نقض قوم العهد إلاّ سلط عليهم عدوهم . وما حكموا بغير ما أنزل الله إلاّ فشا فيهم الموت . ولا منعوا الزكاة إلاّ حبس عنهم المطر . ولا طففوا المكيال إلاّ حبس الله عنهم النبات واخذوا بالسنين ـــ أقحطوا وأجدبوا ـــ » . وقال : رواه الطبرانيّ في « الكبير » .

والإفلاس كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « المُفْلِسُ فِي أَمَانِ اللهِ فِي الدَّارَيْنِ »[1]

فالعبد وما في يده كان لمولاه ، فإذا كان يوم القيامة أعطاه الله تعالى بكلّ حسنة عشر أمثالها كما قال الله تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا.. ﴾ [سورة الأنعام ٦/١٦٠] .

وفي معنى الزّكاة أيضاً : تزكية القلب من صفة النّفس كما قال الله تعالى : ﴿ من ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ/ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً.. ﴾ [سورة البقرة [٤٩/ب]
٢/٢٤٥] والمراد من القرض : أن يعطي ما له من الحسنات في سبيل الله تعالى إحساناً إلى خلقه لوجهه [الكريم] ، وشفقته بلا مِنّة كما قال الله تعالى : ﴿ .. لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٦٤] ولا طلب عوض في الدّنيا ؛ وهذا من قسم الإنفاق في سبيل الله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [سورة آل عمران ٣/٩٢] في سبيل الله تعالى .

* * *

(١) لم نعثر عليه .

الفصل السّابع عشر

في بيان الصّوم[1] الشّريعة والطّريقة

صوم الشّريعة : أن يمسك عن المأكولات والمشروبات ، وعن وقاع النّساء في النّهار .

وأمّا صوم الطّريقة : فهو أن يمسك عن جميع أعضائه المحرّمات والمناهي والذّمائم مثل العُجب والكبر/ والبخل وغير ذلك ، ظاهراً وباطناً ، فكلّها يبطل صوم الطّريقة . [٥٠/أ]

فصوم الشّريعة مؤقّتٌ . وصوم الطّريقة مؤبّدٌ في جميع عمره[2] ، فلذلك قال رسـول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلاّ الجُوعُ.. »[3] فلذلك قيل : كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم ــ أي : يمسك

---

(١) الصوم (لغة) : الإمساك عن أي فعل ، أو قول كان . قال الجرجانيّ في « التعريفات » ، ١٧٨ : الصوم (شرعاً) : عبارة عن إمساك مخصوص ، وهو الإمساك عن الأكل ، والشرب ، والجماع ، من الصبح إلى المغرب ، مع النيّة . وقال التمرتاشيّ في « تنوير الأبصار » : إمساك عن المفطرات ، حقيقة أو حكماً في وقت مخصوص ، من شخص مخصوص ، مع النيّة . وقال أطفيش : إمساك المكلّف بالنيّة من الليل عن تناول المطعم ، والمشرب ، وكلّ مايصل الجوف ، والاستقاء ، والاستمناء ، والجماع ، والكبائر من الفجر إلى المغرب ، تقرّباً إلى الله تعالى .

(٢) وقال الأبشيهيّ في « المستطرف » ، ج١/٢٨ :قيل : الصوم عموم ، وخصوص ، وخصوص الخصوص . فصوم العموم : كفّ البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة . وصوم الخصوص : كفّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام . وصوم خصوص الخصوص : صوم القلب عن الهمم الدنيّة وكفّه عن ما سوى الله بالكليّة .

(٣) قطعة من حديث . أخرجه ابن ماجه في « سننه » ، كتاب الصوم ، باب : ما جاء في الغيبة والرفث للصائم ، ١٦٩٠ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وتتمته : « ..وربّ قائم ليس له من قيامه إلاّ السهر » . قال الغزاليّ في « الإحياء » ، ج١/٢٣٥ : هو الّذي يفطر على الحرام . وقيل : هو الّذي يمسك عن الطعام الحلال ، ويفطر على لحوم الناس بالغيبة ، وهو حرام . وقيل : هو الّذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام .

أعضاءه عن الآثام ، وإيذاء النّاس بالجوارح كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « إِنَّ الصَّوْمَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »[1] . وقال [الله تعالى في الحديث القدسيّ] : « يَصِيْرُ لِلْصّائم فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ الإفْطَارِ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ رُؤْيَةِ جَمَالِي »[2] .

قال أهل الشّريعة : المراد من الإفطار الأكل عند غروب الشّمس[3]، ومن الرّؤية رؤية الهلال في ليلة العيد ./وقال أهل الطّريقة : الإفطار عند دخول الجنّة بالأكل ممّا فيها [٥٠/ب] من النّعيم ، وفرحة عند الرّؤية ــ أي : عند لقاء الله يوم القيامة ــ بنظر السّرّ معاينة .

وأمّا صوم الحقيقة : فهو إمساك الفؤاد عن محبّة ما سوى الله {تعالى} ، وإمساك السّرّ عن محبّة مشاهدة غير الله كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « الإنْسَانُ سِرِّي وَأَنَا سِرُّهُ »[4] والسّرّ من نور الله تعالى فلا يميل {إلى} غير الله تعالى ، وليس له سواه محبوب ومرغوب ومطلوب في الدّنيا والآخرة ، فإذا وقعت فيه محبّة غير الله فسد صوم الحقيقة ، فله قضاء صومه ، وهو أن يرجع إلى الله تعالى ولقائه ، وجزاء هذا الصّوم لقاء الله {تعالى} في الآخرة .

* * *

---

(١) قطعة من حديث . أخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الصيام ، باب : فضل الصيام ، ١١٥١/١٦٥ ، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ، وتتمته : « ..إنّ للصائم فرحتين : إذا أفطر فرح ، وإذا لقي الله فرح . والّذي نفس محمّد بيده لَخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » . قال النوويّ في « شرح صحيح مسلم » ، ج٨/٣١ــ٣٢ : قال العلماء : أمّا فرحته عند لقاء ربّه فبما يراه من جزائه وتذكّر نعمة الله تعالى عليه بتوفيقه لذلك . وأمّا عند فطره فسببها تمام عبادته وسلامتها من المفسدات وما يرجوه من ثوابها . والله أعلم .

(٢) انظر تخريج الحديث الذي سبق .

(٣) ورد في هامش (ظ) : روي أنّ امرأة جاءت إلى النبيّ عليه [الصلاة] والسلام فقالت : يا رسول الله إنّي جائعة وصائمة . فقال : « إنّك لست صائمة ولكن جائعة » ، وكانت المرأة تغتاب الناس ، ثمّ جاءت الثانية وقالت كذلك ، فأجابها النبيّ عليه [الصلاة] والسلام مثل الأوّل . فقعدت في بيتها وقالت : ما أوتيت إلاّ من قبل لساني ، فأغلقت بابها ، ولم تذكر الناس إلاّ بخير ، ثمّ جاءت وقالت إنّي جائعة وصائمة ، فقال عليه [الصلاة] والسلام : « صدقت » ، فأمر لها بطعام .

(٤) لم نعثر عليه .

الفصل الثّامن عشر

[٥١/أ] في بيان/ الحجّ[١] [الشّريعة والطّريقة]

الحجّ على نوعين : حجّ الشّريعة ، وحجّ الطّريقة .

فحجّ الشّريعة : بحجّ بيت الله تعالى بشرائطه وأركانه[٢] ، حتّى يحصل ثواب الحجّ ، فإذا {نقص} شيء من شرائطه {نقص} ثواب الحجّ ؛ لأنّ الله تعالى أمرنا بإتمام الحجّ بقوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ .. ﴾ [سورة البقرة ٢/١٩٦] .

فمن شرائطه : الإحرام أوّلاً ، ثمّ دخول مكّة ، ثمّ طواف القدوم ، ثمّ الوقوف

(١) الحجّ (لغة) : القصد إلى الشيء المعظّم . قال الدسوقي في « حاشيته على الشّرح الكبير » ، الحجّ (شرعاً) : وقوف بعرفة ، ليلة عاشر ذي الحجة ، وطواف بالبيت سبعاً ، وسعي بين الصّفا والمروة كذلك ، على وجه مخصوص . وقال الحسين السّياغي في « الروض النضير » ، ج٣/١٢٠ : الحجّ : قصد البيت الحرام للتقرّب إلى الله تعالى ، بأفعال مخصوصه ، في زمان مخصوص ، ومكان مخصوص من حجّ أو عمرة .

(٢) قال الغزاليّ في « الإحياء » ، ج١/٢٤١ : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله عزّ وجلّ قد وعد هذا أن يحجّه كلّ سنة ست مئة ألف ، فإن نقصوا أكملهم الله عزّ وجلّ من الملائكة » . وإنّ الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة ، فكلّ من حجّها يتعلّق بأستارها ، يسعون حولها حتّى تدخل الجنّة فيدخلون معها . ويروى عن عليّ بن الموفق قال : حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه : ياعبد الله ، فقال الأخر : لبيك يا عبد الله . قال : تدري كم حجّ بيت ربّنا عزّ وجلّ هذه السنة . قال : لا أدري . قال : حجّ بيت ربّنا ست مئة ألف ، أفتدري كم قُبِلَ منهم؟ قال : لا ، قال : ستة أنفس ، قال : ثمّ ارتفعا في الهواء فغابا عنّي فانتبهت فزعاً واغتممت غمّاً شديداً ، وأهمّني أمري فقلت : إذا قبل حجّ ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق ، وفي قلة من قُبِلَ منهم ، فحملني النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما ، فنادى أحدهما صاحبه . وأعاد الكلام السابق بعينه ، ثمّ قال : أتدري ماذا حكم ربّنا عزّ وجلّ في هذه الليلة ؟ قال : لا ، قال : فإنّه وهب لكلّ واحد من الستة مئة ألف . قال : فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف .

بعرفة ، ثمّ الوقوف بمزدلفة ، ثمّ ذبح الأضحية في {منىً} ، ثمّ دخول الحرم ، ثمّ طواف الكعبة سبعة أشواط ، ثمّ شرب ماء زمزم ، ثمّ يصلّي ركعتي الطّواف في مقام إبراهيم [عليه الصّلاة والسّلام] ، ثمّ يحلّل ما حرّم الله تعالى عليه من الصّيد ونحوه . فجزاء هذا الحجّ العتق من الجحيم ، والأمن من القهر كما قال الله تعالى/ : ﴿ ..وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا.. ﴾ [سورة آل عمران ٣/٩٧] ثمّ طواف الصّدور[1] ، ثمّ الرّجوع إلى وطنه[2] . [٥١/ب]

وأمّا حجّ الطّريقة : فزاده وراحلته أوّلاً الميل إلى صاحب التّلقين وأخذه منه ، ثمّ ملازمة الذّكر باللّسان ، وملاحظة معناه حتّى تحصل حياة القلب له ، ثمّ يشتغل بذكر الباطن حتّى يصفّيه بملازمة أسماء الصّفات ، فتظهر كعبة السّرّ بأنوار الصّفات كما أمر الله تعالى إبراهيم وإسماعيل [عليهما الصّلاة والسّلام] بتطهير الكعبة أوّلاً كما قال الله تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ.. ﴾ [سورة البقرة ٢/١٢٥] الآية .

فكعبة الظّاهر : تطهيرها لأجل الطّائفين من المخلوقات . وكعبة الباطن : تطهيرها [٥٢/أ] لنظر الخالق ممّا أخذ زهدة التّطهير ممّا/ سواه ، ثمّ أحرم بنور الرّوح القدسيّ ، ثمّ دخل كعبة القلب ، ثمّ طواف القدوم بملازمة الاسم الثّاني ، ثمّ ذهب إلى عرفات القلب ؛ وهي موضع المناجاة ، فوقف [فيها] بملازمة الاسم الثّالث والرّابع ، ثمّ ذهب إلى مزدلفة الفؤاد ، وجمع بين الاسم الخامس والسّادس ، ثمّ ذهب إلى {منى} السّرّ ؛ وهي ما بين الحرمين ، فوقف بينهما ، ثمّ ذبح النّفس المطمئنة بملازمة الاسم السّابع ؛ لأنّه اسم الفناء ، ورافع حجاب الكفر كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الكُفْرُ

(١) الرجوع إلى الأمكنة . والمقصود هنا طواف الوداع .

(٢) ذكر الزبيديّ في « إتحاف السادة المتّقين » ، ج٤/٢٧١ : قال رسول الله ﷺ : « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفّرها إلاّ الوقوف بعرفة » . وأخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب أبواب الإحصاء وجزاء الصّيد ، ١٧٢٣ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حجّ هذا البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمّه » .

وَالإيمَانُ مَقَامَانِ مِنْ وَرَاءِ العَرْشِ ، وَهُمَا حِجَابَانِ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الحَقِّ أَحَدُهُمَا أَسْوَدُ
[٥٢/ب]والثَّانِي أَبْيَضُ »[1] ثمّ حلق رأس / الرّوح من الصّفات البشريّة بملازمة الاسم الثّامن ، ثمّ دخل حرم السّرّ بملازمة الاسم التّاسع ، ثمّ وصل رؤية العاكفين ، فيعتكف في بساط القربة والأنس بملازمة الاسم العاشر ، ثمّ رأى جمال الصّمديّة بلا كيف ولا تشبيه ، ثمّ طاف سبعة أشواط بملازمة الاسم الحادي عشر ، ومعه ستة أسماء من الفروعات ، ثمّ يشرب من يد القدرة كما قال الله تعالى : ﴿ وَسَقَنٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [سورة الإنسان ٧٦/٢١] بقدح الاسم الثّاني عشر ، ويرفع برفع الوجه الباقي المقدّس فينظر بنوره إليه ، وهذا معنى قوله تعالى [في الحديث القدسيّ] : « مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ.. » ــ يعني : لقاء الله تعالى ــ « .. وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ.. » ــ يعني : كلام الله تعالى
[٥٣/أ] بلا/واسطة الحروف والصّوت ــ « ..وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.. » ــ يعني : ذوق الرّؤية والخطاب ــ ثم حلّل ما حرّم الله ، بتبديل السّيّئات إلى الحسنات ، بتكرار أسماء التّوحيد كما قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [سورة الفرقان ٢٥/٧٠] ثمّ العتق من التّصرفات النّفسانيّة، ثمّ الأمن من الخوف والحزن كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] [سورة يونس ١٠/٦٢] ــ[رزقنا الله وإياكم]ــ بفضله وكرمه، ثمّ طاف الصّدور بتكرار الأسماء كلّها ، ثمّ الرّجوع إلى وطنه الأصليّ في عالم القدسيّ في أحسن التّقويم بملازمة الاسم الثّاني عشر ، وهو متعلّق بعالم اليقين ، وهذه التّأويلات في
[٥٣/ب]دائرة اللّسان والعقل/ . وأمّا {ما} وراء ذلك فلا يمكن الإخبار عنه ، {لأنّه} لا تدركه الأفهام والأذهان ، ولا تسع الخواطر في ذلك كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « إِنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَكْنُونِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ العُلَمَاءُ بِاللهِ فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ

(١) لم نعثر عليه .

(٢) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٢٠٢ : قال أبو عثمان المغربي : الوليّ قد يكون مشهوراً ، ولكن لايكون مفتوناً . وقال سهل بن عبد الله : الوليّ الّذي توالت أفعاله على الموافقة . قيل : علامة الوليّ ثلاثة : شغله بالله تعالى ،وفراره إلى الله تعالى ، وهمّه إلى الله تعالى .

يُنْكِرْهُ إلاَّ أَهْلُ الغِرَّة »[1] فالعارف يقول مادونه ، والعالم بالله يقول ما فوقه ، فإنّ علم العارف سرّ الله تعالى ، لا يعلمه غير الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٥] ـ أي : الأنبياء والأولياء ـ كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة طه ٢٠/٧ـ٨] .

* * *

(١) تقدّم تخريجه ، ص٧٢ .

الفصل التّاسع عشر

في بيان الوجد والصّفاء

[٥٤/أ] قال الله تعالى :﴿ .. تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الزّمر ٢٣/٣٩] وقال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الزّمر ٢٢/٣٩] وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الحَقِّ تُوازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْن »[١] وقال {عليّ كرّم الله وجهه} : (من لا وجد له لا دين له) .

قال الجنيد البغداديّ[٢] : الوجد في مصادفة الباطن من الله واردٌ يورث سروراً وحزناً[٣] .

فالوجد على نوعين : وجد الجسمانيّة النّفسانيّة ، ووجد الرّوحانيّة الرّحمانيّة .

---

(١) قال العجلوني في « الكشف » ، ج٣٩٧/١ : كذا اشتهر ، ولينظر حاله .

(٢) قال الزركلي في « الأعلام » ، ج ١٤١/٢ : الجنيد بن محمّد البغداديّ ، أبو القاسم ، صوفيّ ، من العلماء بالدين ، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهاوند . وهو أوّل من تكلّم في علم التوحيد ببغداد . قال الشعرانيّ في « الطبقات » ، ج ٨٤/١ : كان يفتي الناس على مذهب أبي ثور . مات ـــ رحمه الله تعالى ـــ سنة سبع وتسعين ومئتين .

(٣) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٥٨ : سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول : التواجد استيعاب العبد ، والوجد يوجب استغراق العبد ، والوجود يوجب استهلاك العبد ، فهو كمن شهد البحر ، ثمّ ركب البحر ، ثمّ غرق في البحر ، وترتيب هذا الأمر قصود ، ثمّ ورود ، ثمّ شهود ، ثمّ وجود ، ثمّ خمود بمقدار الوجود يحصل الخمود ، وصاحب الوجود له صحو ومحو ، فحال صحوه بقاؤه بالحقّ ، وحال محوه فناؤه بالحقّ . وهاتان الحالتان أبداً متعاقبتان عليه ، فإذا غلب عليه الصحو بالحقّ فبه يصول وبه يقول .

فالوجد النّفسانيّة : أن يتواجده بقوّة الجسم بغير قوّة الجذّبة الغالبة الرّوحانيّة مثل الرّياء والسّمعة والشّهرة ، وهذا القسم كلّه/ باطل لأنّ اختياره غير مغلوب ومسلوب ، [٥٤/ب] ولا يجوز الموافقة بمثل هذا الوجد .

وأمّا وجد الرّوحانيّة : بقوّة الجذّبة بمثل قراءة القرآن[1] بصوت حسن ، أو شعر موزون ، أو ذكر مؤثر ، فلا يبقى للجسم قوّة واختيار ، وهذا الوجد روحانيّ ورحمانيّ فيستحب موافقته ، وإليه إشارة في قوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ.. ﴾ [سورة الزمر ٣٩/١٧ــ١٨] وكذا صوت العشّاق والطّيور وألحان الأغاني ، فكلّ ذلك قوّة للرّوح لا مدخل للنّفس والشّيطان في مثل هذا الوجد ، لأنّ الشّيطان يتصرّف {في} الظّلمانيّة النّفسانيّة ولا يتصرّف في النّورانيّة الرّوحانيّة ، /لأنّه يذوب فيها كما يذوب الملح في الماء ، وكذا في الحديث لأنّه قال قراءة [٥٥/أ] الآيات وأشعار الحكمة والمحبّة والعشق والأصوات الحزينة قوّة نورانيّ للرّوح . فالواجب أن يصل النّور إلى النّور ، وهو الرّوح كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [سورة النّور ٢٤/٢٦] .

أمّا إذا كان الوجد شيطانيّاً ونفسانيّاً فلا يكون فيه نور ، بل يكون ظلمانيّاً وكفراً ، والظّلمة تصل إلى الظّلمانيّ وهي النّفس {فيغري بجلسته} كما قال الله تعالى : ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ .. ﴾ [سورة النّور ٢٤/٢٦] وليس للرّوح فيها قوّة .

فحركات الوجد نوعان : اختياريّة {واضطراريّة} .

[فالأولى الحركات] **الاختياريّة** : كحركة الإنسان الصّحيح ليس في جسده ألم ولا مرض ولا سقم ، فهذه الحركات غير مشروعة/ كما مرّ . [٥٥/ب]

---

(١) قال الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٣/٢٩٧ : قال الجنيد : دخلت عل سريّ السقطيّ فرأيت بين يديه رجلاً قد غشي عليه فقال لي : هذا قد سمع آية من القرآن فغشي عليه ، فقلت : اقرؤوا عليه تلك الآية بعينها ،فقرئت ، فأفاق ، فقال من أين قلت هذا ؟ فقلت : رأيت يعقوب عليه [الصلاة] والسلام كان عماه من أجل مخلوق ، فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماه من أجل الحقّ ما أبصر بمخلوق . فاستحسن ذلك .

والثّانية الحركات {**الاضطراريّة :**} وهي الّتي تحصل بسبب آخر مثل قوّة الرّوح ، فلا تقدر النّفس على منعه ؛ لأنّ هذه الحركات غالبة على حركة الجسمانيّة مثل حركة الحمّى ، فإذا غلبت الحمّى عجزت النّفس عن تحمّلها ، فلا اختيار لها حينئذ .

فالوجد إذا غلبت عليه الحركات الرّوحانيّة يكون حقيقيّاً ورحمانيّاً .

والوجد والسّماع آلة محركة كما في قلوب العشّاق والعارفين(١) .

والوجد طعام المحبّين ، ومقويّ الطّالبين .

{وقيل} : (إنّ السّماع لقوم فرض ولقوم سنّة ولقوم بدعة) الفرض للخواصّ ، والسّنّة للمحبّين ، والبدعة للغافلين،[1]/ولذلك كانت الطّيور تقف على رأس داود [٥٦/أ]
عليه [الصّلاة] والسّلام لاستماع صوته .

وحركة الوجد على عشرة أوجه : بعضها جليّ يظهر أثرها في الحركات . وبعضها خفيّ ، يظهر أثرها في الجسد كميل القلب إلى ذكر الله تعالى ، وقراءة القرآن بالصّوت الحسن(٢) ، ومنها بالبكاء والتألّم ، والخوف والحزن ، والتأسّف والحيرة عند ذكر الله تعالى ، والتّجرّد والنّصرة ، والتّغيّر في الباطن والظّاهر ، ومنها الطّلب والشّوق ، والحرارة .

---

(١) قال القيشريّ في « الرسالة » ، ٢٦٣ : قيل إنّ داود عليه [الصلاة] والسلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور ، وكان يُحمَل من مجلسه أربع مئة جنازة ممّن قد مات ممّن سمع قراءته .

[1] ورد في (ظ) زيادة عن باقي النسخ وهي : (... وقال عليه السلام : « من لم يتحرك عند السماع فليس منّي » ، حتّى قيل : من لم يتحركه السماع والربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج ليس له علاج ، فهو ناقص عن الجمال والطيور ، بل سائر البهائم . فإنّ جميعها يتأثر بالنغمات الموزونة) . وقد قال مصحح النسخة المطبوعة في هذا الخبر : لا يصحّ نسبته إلى المؤلّف فضلاً عن النبيّ ﷺ .

(٢) أخرج التبريزيّ في « مشكاة المصابيح » ، كتاب فضائل القرآن ، باب : آداب التلاوة ودروس القرآن ، ٢٢٠٨ ، عن البراء بن عازب [رضي الله عنه] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حسّنوا القرآن بأصواتكم ، فإنّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً » . رواه الدارميّ . **قلنا** : وهو عند الدراميّ في « سننه » ، باب التغني بالقرآن ، ج٢/٤٧٤ . وأخرج الهيثميّ في « كشف الأستار » ، كتاب التفسير ، باب : حلية القرآن ، ٢٣٣٠ ، عن أنس [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « لكلّ شيء حلية ،وحلية القرآن الصوت الحسن » .

[٥٦/ب]

الفصل/ العشرون

في بيان الخلوة والعزلة

[فالخلوة والعزلة] على وجهين : ظاهر ، وباطن .

فالخلوة الظّاهرة : عزل نفسه ، وحبس بدنه عن النّاس لئلاّ يؤذي النّاس بأخلاقه الذّميمة وبترك النّفس مألوفاتها ، {وحبس} حواسها الظّاهرة لفتح الخواصّ الباطنة ، بنيّة الإخلاص والموت بالإرادة ودخول القبر ، ويكون نيّته في ذلك رضاء الله تعالى ، ودفع شرّ نفسه عن المسلمين كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »[١] وكفّ لسانه عما لا يعنيه كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « سَلاَمَةُ الإنْسَانِ مِنْ قِبَلِ اللِّسَانِ »[٢] وكفّ عينيه عن الخيانة والنّظر إلى الحرام وكذا كفّ أذنيه/ ويديه ورجليه كما قال رسول الله صلّى الله [٥٧/أ] عليه [وآله] وسلّم : « العَيْنَانِ تَزْنِيَانِ.. »[٣] الحديث[٤] ، ويحصل من كلّ زنى من

(١) قطعة من حديث . أخرجه البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب الإيمان ، باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ١٠ ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وتتمته : « . . والمهاجر من هجر مانهى الله عنه » . وانظر جامع الأصول : لا بن الأثير ، ج١/٢٤٠_٢٤١ .

(٢) لم نجده بهذا اللفظ . وأخرج ا بن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » ، ١١ ، عن أنس [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « من سرّه أن يَسْلَمَ ، فَلْيلْزَمْ الصمت » . وذكره الهيثميّ في « المجمع » ، ج١٠/٢٩٧_٢٩٨ ، وعزاه إلى أبي يعلى في « مسنده » ، والطبراني في « الأوسط » . وأخرج أيضاً عن ا بن عمر [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « من كف لسانه ستر الله _ عزّ وجلّ _ عورته ، ومن ملك [غضبه] . وقاه الله _ عزّ وجلّ _ عذابه ، ومن اعتذر إلى الله _ عزّ وجلّ _ [قبل] عذره » .

(٣) تقدّم تخريجه ، ص١٠٣ .

(٤) ورد في هامش (ظ) : اعلم أنّ مخالفة النفس والتجرد من حظوظها رأس العبادة ، لأنّها أعظم حجاباً بين العبد =

هذه الأعضاء {شخص} قبيح في صورة {خبيثة} يقوم معه يوم القيامة ، ويشهد عليه عند الله {تعالى} ، ويأخذ صاحبه فيعذّبه في النّار ، فإذا تاب منه وحبس نفسه ــ كما قال الله تعالى : ﴿ ..وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾(١) [سورة النّازعات ٧٩/٤٠ــ٤١] ــ تبدّل صورته {الخبيثة} إلى صورة أمرد مليح ، ويأخذ صاحبه {إلى} الجنّة ، وينجو من شرّه ، فكأن الخلوة حصّنته من المعاصي ، فيبقى عمله صالحاً ، ويكون محسناً كما قال الله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[سورة التّوبة ٩/١٢٠] وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ/مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٥٧/ب]
[سورة الأعراف ٧/٥٦] وقال الله تعالى : ﴿ .. فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا.. ﴾ [سورة الكهف ١٨/١١٠] .

وأمّا الخلوة الباطنة : أن لا يُدْخِل في قلبه من التفكّرات النّفسانيّة والشّيطانيّة مثل محبّة المأكولات والمشروبات ، ومثل محبّة الأهل والعيال ، ومثل محبّة الحيوانات والرّياء والسّمعة والشّهرة كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الشّهْرَةُ آفَةٌ وَكُلٌّ يَتَمَنَّاهَا ، وَالخُمُولُ رَاحَةٌ وَكُلٌّ يَتَوَقَّاهَا »(٢) ولا يُدْخِل في قلبه باختياره مثل الكبر والعُجب والبخل وغير ذلك من الذّمائم ، فإذا دخل في قلب الخلوتي من هذه الذّمائم فسدت خلوته وقلبه ، وفسد ما في قلبه/ من الأعمال الصّالحة والإحسان ، فبقي [٥٨/أ]

= والربّ ، ومن طلعت طوارق نفسه غربت شوارق أنسه ، ومن رضي عن نفسه أهلكها ، وكيف يصحّ للعاقل الرضى عن نفسه .

(١) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ١٢٢ : أوحى الله تعالى إلى داود عليه [الصلاة] والسلام : ياداود ، حذّر وأنذر أصحابك أكل الشهوات ، فإنّ القلوب المعلّقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عنّي .

(٢) ليس بمرفوع وإنّما هو عن بعض السلف . قال القاري في « الأسرار المرفوعة » ، ١٨٨ : هو من كلام بعض المشايخ . قال العجلوني في « الكشف » ، ج١/٤٦٠ : قال ا بن الفرس : وقد رأيت بعض التعاليق زيادة : « الشهرة نقمة ، وكلّ يتوخّاها » . قال السخاويّ في « المقاصد » ، ٤٥٨ : إنّ إخفاء العمل ، وعدم الشهرة والإشارة إلى الرجل بالأصابع خير من ضده ، وأسلم في الدنيا والدين . والقليل من المال ، الّذي لايشغل عن الآخرة خير من الكثير الذي يلهي عنها . وكذا لما قال عمر بن سعد بن أبي وقّاص : أَنَزَلْتَ في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون في المُلك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال : اسكت . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الله يحبُّ العبد التقيّ الغنيّ الخفيّ » .

القلب بلا منفعة كما قال الله تعالى : ﴿ ..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [سورة يونس ١٠ /٨١] فكلّ من كان فيه من هذه المفسدات فهو من المفسدين ، وإن كان في الظّاهر صورة الصّالحين كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الغَضَبُ يُفسِدُ الإيمَانَ كَمَا يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ »(١) وكذلك قال النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ »(٢) وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الْغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا »(٣) وقال رسول الله [صلّى الله عليه

(١) ذكره الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٣/١٦٥ . قال الحافظ العراقي في « المغني » ، ج٣/١٦٥ : أخرجه الطبرانيّ في « الكبير » . والبيهقي في « الشعب » من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف . وعن ذي القرنين أنّه لقي مَلكاً من الملائكة فقال : علمني علماً ازداد به إيماناً ويقيناً قال : لا تغضب ، فإنّ الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب . فردّ الغضب بالكظم ، وسكنه بالتؤدة ، وإيّاك والعجلة ، فإنّك إذا عجلت أخطأت حظّك . وكن سهلاً ليّناً للقريب والبعيد ، ولا تكن جبّاراً عنيداً .

(٢) أخرجه أبو داود في « سننه » ، كتاب الأدب ، باب : في الحسد ، ٤٩٠٣ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرجه ابن ماجه في « سننه » ، كتاب الزهد ، باب : الحسد ، ٤٢١٠ ، عن أنس رضي الله عنه وزاد عليه : « ..والصدقة تُطفيء الخطيئة كما يُطفيء الماء النار ، والصلاة نور المؤمن ، والصيام جُنَّةٌ من النار » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٣/٦٢٥ . قال المناوي في « فيض القدير » ، ج٣/٤١٤ : قال الغزاليّ : الحسد هو المفسد للطاعات ، الباعث على الخطيئات ، وهو الداء العضال الّذي ابتلي به كثير من العلماء فضلاً عن العامّة حتّى أهلكهم وأوردهم النار ، حسبك أنّ الله [تعالى] أمر بالاستعاذة من شرّ الحاسد فقال : ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾ [سورة الفلق١١٣/٥] كما أمر بالاستعاذة من شرّ الشيطان . فانظر كم له من شرٍّ وفتنة حتّى أنزله منزلة الشيطان والساحر . وينشأ عن الحسد إفساد الطاعات ، وفعل المعاصي والشرور ، والتعب والهمّ بلا فائدة ، وعمى القلب حتّى لا يكاد يفهم حكماً من أحكام الله ، والحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد نفس دائم وعقل هاشم وغم لازم . والله أعلم .

(٣) قطعة من حديث . قال الهيثميّ في « المجمع » ، ج٨/٩١ : عن جابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، قالا : قال رسول الله ﷺ : « الغيبة أشدّ من الزنا » ، قيل: وكيف؟ قال : « الرجل يزني ثمّ يتوب فيتوب الله عليه ، وإنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه » . أخرجه الطبرانيّ في « الأوسط » . وأخرجه الديلميّ في « الفردوس » ، ٤٣٢٠ . قال الغزاليّ في « الإحياء » ، ج٣/١٤٣ : اعلم أنّ حدّ الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء ذكرته بنقصٍ في بدنه ، أو في نسبه ، أو في خُلقه ، أو في فعله ، أو في قوله ، أو في دينه ، أو في دنياه ، حتّى في ثوبه وداره ودابته . قال الزبيديّ في « إتحاف السادة المتّقين » ، ج٧/٥٣٣ : حكي أنّ رجلاً اغتاب ابن الجلاء فأرسل يستحله فأبى . وقال : ليس في صحيفتي حسنة أحسن منها ، فكيف أمحوها؟! .

وآله وسلّم] : « الفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا »[1] وقال [رسول الله] صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « البَخِيْلُ لاَ يَدْخُلِ الجَنَّةَ وَلَو كَان عَابِدَاً وَزَاهِدَاً »[2] وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « الرِّيَاءُ شِرْكٌ خَفِيٌّ »[3] وتركه كفر[4] وقال رسول الله [٥٨/ب]/صلّى الله عليه[وآله] وسلّم : « النَّمَّامُ لا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ »[5] وغير ذلك من الأحاديث في الأخلاق الذّميمة ، فهذا محلّ الاحتياط .

والمقصود أوّلاً من التّصوّفات : تصفية القلب لها ، وقلع هوى النّفس من أصلها بالخلوة والرّياضة والصّمت وملازمة الذّكر بالإرادة والمحبّة والإخلاص والتّوبة والاعتقاد الصّحيح السُّنّي تَبَعاً على آثار السّلف الصّلحاء من الصّحابة والتّابعين من المشايخ

(١) أخرجه السيوطيّ في « جامعه » ، وقال : رواه الرافعي عن أنس رضي الله عنه . قال المناوي في « فيض القدير » ، ج٤/٤٦١ : قال ابن القيم : الفتنة نوعان : فتنة الشبهات وهي العظمى ، وفتنة الشهوات . وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بإحداهما .

(٢) قال القاري في « الأسرار المرفوعة » ، ١١٧ : لا أصل له بهذا اللفظ . لكن له شاهد يقويه ، أخرجه الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب البر والصلة ، باب : ما جاء في السخاء ، ١٩٦١ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ قال : « السخيّ قريب من الله ، قريب من الجنّة ، قريب من الناس ، بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنّة ، بعيد من الناس ، قريب من النار . ولجاهل سخيّ أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من عابد بخيل » . وأخرج أيضاً برقم ١٩٦٣ ، عن أبي بكر الصديق [رضي الله عنه] ، عن النبيّ ﷺ قال : « لا يدخل الجنّة خِبٌّ (الرجل الخداع) ، ولا منّان ولا بخيل » .

(٣) لم نجده بهذا اللفظ ، وأخرج الهيثميّ في « كشف الأستار » ، ج٤/٢١٧ ، عن يعلى بن شداد عن أبيه ، قال : كنا نعدّ الشرك الأصغر على عهد رسول الله ﷺ الرياء . وأخرج ابن ماجه في « سننه » ، كتاب الزهد ، باب : الرياء والسمعة ، ٤٢٠٤ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجّال . فقال : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجّال؟ » . قال :قلنا : بلى . فقال : « الشرك الخفيّ ، أن يقوم الرجل يصلّي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل » .

(٤) يعني : كفارة . قال القشيريّ في « الرسالة » ، ١٦٣ : قال أبو سعيد الخرّاز : رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين . وقال : سمعت الفُضيل يقول : ترك العمل من أجل الناس رياء . والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما . .

(٥) أخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الإيمان ، باب : بيان غلظ تحريم النميمة ، ١٠٥ ، عن حذيفة [رضي الله عنه] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنّة نمّام » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج ٨/٤٥٠ ــ ٤٥١ .

والعلماء العاملين ، فإذا جلس المؤمن الموحّد في الخلوة بالتّوبة والتّلقين {مع} هذه الشّرائط المذكورة خلّص الله عمله ، ونوّر الله قلبه ، وليّن جلده ، وطهّر لسانه ، وجمع حواسّه من الظّاهر والباطن ، ورفع عمله إلى حضرته ، وسمع دعاءه[1]/ كما يقول : سمع [٥٩/أ] الله لمن حمده[2] أي : قَبِلَ الله دعوته وثناءه وتضرّعه ، وأنال عوضه إلى عبده من القربة والدّرجة كما قال الله تعالى :﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر ١٠/٣٥] .

والمراد من الكَلِمِ الطّيب : أن يحفظ لسانه من اللّغويات[3] بعد كونه آلة لذكر الله تعالى وتوحيده كما قال الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون ١/٢٣ـ٣] فيرفع الله العلم والعمل والعامل إلى قربته ورحمته ودرجاته بالمغفرة والرّضوان .

وإذا [حصلت] للخلوتي {هذه المقامات} كان قلبه كالبحر لا يتغيّر بإيذاء النّاس كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : كن بحراً/ لا يتغيّر فتموت [٥٩/ب] {البريات} النّفسانيّة فيه كما غرق فرعون وآله في البحر ، ولم يفسد البحر ، ثمّ تكون

---

(١) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٨٦ : جاء رجل إلى زيارة أبي بكر الورّاق ، فلما أراد أن يرجع قال له : أوصني . فقال : وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلّة ، وشرهما في الكثرة والاختلاط . وقال : سمعت الشبليّ يقول : الإفلاس الإفلاس ياناس . فقيل له يا أبا بكر : ما علامة الإفلاس؟ قال : من علامة الإفلاس الاستئناس بالناس .

(٢) أخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب صفة الصلاة ، باب : فضل اللهمّ ربّنا ولك الحمد ، ٧٦٣ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهمّ ربّنا لك الحمد ، فإنّه من وافق قوله قول الملائكة ، غفر له ما تقدّم من ذنبه » .

(٣) أخرج الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب الزهد ، باب : ما جاء في حفظ اللسان ، ٢٤٠٦ ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : ما النجاة؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » . قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٩٧ـ٩٨ : الصمت سلامة ، وهو الأصل ، وعليه ندامة إذا ورد عنه الزجر ، فالواجب أن يعتبر فيه الشرع والأمر والنهي ، والسكوت في وقته صفة الرجل كما أنّ النطق في موضعه من أشرف الخصال . وقيل : إنّ أبا حمزة البغداديّ كان حسن الكلام ، فهتف به هاتف : تكلّمت فأحسنت ، بقي أن تسكت فتحسن . فما تكلّم بعد ذلك حتّى مات .

سفينة الشّريعة سليمة جارية عليه ، ويكون الرّوح القدسيّ غوّاصاً إلى قعره ، فيصل إلى درّ الحقيقة [ويخرج من لؤلؤ المعرفة ومرجان اللّطائف المكنونة كما قال الله تعالى] : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [سورة الرّحمن ٥٥/٢٢] لأنّ هذا البحر حصل لمن جمع بحر الظّاهر والباطن ، فلا {يمكث} بعده الفساد في القلب ، وتكون توبته ناصحاً له ، وعمله نافعاً ، ولا يميل إلى المناهي قصداً ، ويكون السّهو والنّسيان معفوّاً عنه بالاستغفار والنّدم إن شاء الله تعالى .

* * *

الفصل الحادي والعشرون

في بيان أوراد الخلوة

ينبغي {للخلوتي أن يفيء} بالصّوم إن استطاع ، ويصلّي الصّلوات/ الخمس [٦٠/أ] بالجماعة في المسجد بأوقاتها مع سننها وشرائطها وأركانها ، لا على التّعطيل[١] . ويصلّي اثنتي عشرة ركعة بعد نصف اللّيل وثلثه بنيّة التّهجّد[٢] كما قال الله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[سورة الإسراء ١٧/٧٩] وكما قال الله تعالى : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [سورة السّجدة ٣٢/١٦] .

ويصلّي ركعتين بنيّة الإشراق بعد طلوع الشّمس ، وركعتين بعدها بنيّة الاستعاذة بالمعوّذتين ، وركعتين بعدها بنيّة الاستخارة ، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة وآية الكرسيّ مرّة وسورة الإخلاص سبعاً ، وست ركع بعدها بنيّة الضّحى ، وركعتين بعدها بنيّة كفارة البول يقرأ في كلّ ركعة :﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[سورة الكوثر ١٠٨/١] سبع مرّات بعد الفاتحة . فإذا صلّى ذلك/ كفّر ذنوب البول ونجا من عذاب [٦٠/ب] القبر كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « اسْتَنْزِهُوا مِنَ البَوْلِ فَإِنَّ عَامَّةَ

(١) أخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب الجماعة والإمامة ، باب : فضل صلاة الجماعة ، ٦٢٠ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في الجماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته ، وفي سوقه ، خمسة وعشرين ضعفاً ، وذلك أنّه : إذا توضّأ فأحسن الوضوء ، ثمّ خرج إلى المسجد ، لا يُخْرِجُهُ إلاّ الصلاة ، لم يخط خطوة ، إلاّ رفعت له بها درجة ، وحطّ عنه بها خطيئة ، فإذا صلّى ، لم تزل الملائكة تصلّي عليه ، ما دام في مصلاّه : اللهمّ صلّ عليه ، اللهمّ ارحمه ، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة » .

(٢) ورد في هامش (ظ) : قال عليه [الصلاة] والسلام : « ليلة أُسري بي إلى السماء أوصاني ربّي بخمس خصال : لا تعلّق قلبك في الدنيا فإنّي لم أخلقها لك ، واجعل محبّتك معي فإنّ مصيرك إليّ ، وداوم على التهجُّد فإنّ النصرة مع قيام الليل ، واجتهد في طلب الجنّة ، وَكُنْ آيساً من الخلق فإنّه ليس في أيديهم شيء » .

عَذَابِ القَبْرِ مِنْـهُ »[1] ويصـلّي أربع ركعات بنيّة التّسبيح ، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وسورة معها ، ويقول بعد القراءة في القيام : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر خمس عشرة مرّة ، ثمّ يكبّر {ويركع} ويقول في ركوعه : سبحان الله عشر مرّات . {ثمّ يكبّر ويرفع رأسه ، ثمّ يقول عشر مرّات} ويسجد ، ثمّ في السّجدة الأولى أيضاً عشر مرّات ، ثمّ يرفع رأسه ويقول عشر مرّات بين السّجدتين أيضاً ، ثمّ يقول عشر مرّات في السّجدة الثّانية ، ثمّ يقول أيضاً عشر مرّات بعد السّجدتين ، وكذا يفعل في الرّكعة الثّانية والثّالثة/ والرّابعة . ويصلّي هذه الصّلاة في كلّ يوم وليلة [٦١/أ] من {استطاع} ، وإلاّ ففي كلّ جمعة مرّة ، وإلاّ ففي كلّ شهر مرّة ، وإلاّ ففي كلّ سنة مرّة ، وإلاّ ففي كلّ عمره مرّة ، وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : لعمه العبّاس رضي الله [تعالى] عنه : من صلّى هذه الصلاة غفر الله ذنوبه كلها ، وإن كانت أكثر من عدد الرّمال وعدد نجوم السّماء وعدد الأشياء كلّها[2] .

وينبغي للطّالب أن يقرأ الدّعاء السّيفيّ[3] في كلّ يوم مرّة أو مرّتين ، ويقرأ من

---

(١) أخرجه الدارقطنيّ في « سننه » ، ج ١٢٨/١ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] . وأخرجه الحاكم في « المستدرك » ، ج ١٨٣/١ ــ ١٨٤ ، وقال : هذا حديث صحيح ، ووافقه الذهبيّ .

(٢) أخرج أبوداود في « سننه » ، كتاب الصلاة ، باب : صلاة التسابيح ، ١٢٩٧ ، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال : إنّ النبيّ ﷺ قال : للعبّاس بن عبد المطلب : « يا عبّاس ، يا عمّاه ، ألا أُعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أُجيزُك ، ألا أفعل بك؟ عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أوّله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سرّه وعلانيته؟ » . وذكر تتمة الحديث . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٢٥٢/٦ــ٢٥٣ .

(٣) **الدعاء السيفيّ** : اللهمّ أنت الله الملك الحقّ المبين ، القديم المتعزّز بالعظمة والكبرياء ، المنفرد بالبقاء ، الحيّ القيّوم ، القادر المقتدر ، الجبّار القهّار الّذي لا إله إلاّ أنت ، أنت ربّي وأنا عبدُك ، عملت سوءً وظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي كلّها ، فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت يا غفور يا شكور ، يا حليم يا كريم ، يا صبور يا رحيم . اللهمّ إنّي أحمدك ــ وأنت المحمود وأنت للحمد أهلٌ ــ وأشكرك ــ وأنت المشكور وأنت للشكر أهلٌ ــ على ما خصّصتني به من مواهب الرغائب ، وأوصلت إليّ من فضائل الصنائع ، وأوليتني من إحسانك ، وبوّأتني من مَظنّة الصدق عندك ، وأنلتني من مِنَنِك الواصلة إليّ ، وأحسنت به إليّ كلّ وقت من دفع البليّة عنّي ، والتوفيق لي ، والإجابة لدعائي حين أُناديك داعياً ، وأُناجيك راغباً . لم أعدم عونك وبرّك وخيرك وعزّك وإحسانك =

القرآن في كلّ يوم مقدار مئتي آية ، ثمّ يذكر الله كثيراً إمّا جهراً {إن كان من أهل الجهر} أو خفية إن كان من أهل الخفية ، ومقام الخفية يكون بعد حياة القلب ونطقها [٦١/ب] /بلسان السرّ كما قال الله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾[سورة البقرة ٢/١٩٨]

= طرفة عين منذ أنزلتني دار الاختيار والفكر والاعتبار لتنظر ما أُقدّم لدار الخلود والقرار ، والمقامة مع الأخيار ، فأنا عبدك فاجعلني يا ربّ عتيقك من النار . إلهي لا أذكر منك إلاّ الجميل ، ولم أر منك إلاّ التفضيل ، خيرك لي شاملٌ ، وصنعك لي كاملٌ ، ولطفك لي كافلٌ ، وبرّك لي غامرٌ ، وفضلك عليّ دائمٌ متواترٌ ، ونعمك عندي متّصلةٌ لم تخفر لي جواري ، وأمّنت خوفي ، وصدّقت رجائي ، وحقّقت آمالي ، وصاحبتني في أسفاري ، وأكرمتني في أحضاري ، وعافيت أمراضي ، وشفيت أوصابي ، وأحسنت منقلبي ومثواي ، ولم تُشمِت بي أعدائي وحُسّادي ، ورميت من رماني بسوء ، وكفيتني شرّ من عاداني ، فأنا أسألك يا الله الآن أن تدفع عنّي كيد الحاسدين ، وظلم الظالمين ، وشرّ المعاندين . إلهي لم تُعن في قدرتك ، ولم تشارك في أُلوهيتك ، ولم تُعلَم لك ماهيّةٌ ، ولا خرقت الأوهام حجب الغيوب إليك فأُعتقد منك محدوداً في مجد عظمتك لايبلغك بُعْدُ الهمم ، ولا ينالك غوص الفِطَن ، ولا ينتهي إليك بصر ناظر في مجد جبروتك ، ارتفعت عن صفات المخلوقين صفات قدرتك ، وعلا عن ذكر الذاكرين كبرياء عظمتك ، فلاينقص ما أردت أن يزداد ، ولا يزداد ما أردت أن ينقص ، لا أحدٌ شهدك حين فطرت الخلق ، ولا ندّ ولا ضدّ حضرك حين برأت النفوس ، كلّت الألسن عن تفسير صفتك ، وانحسرت العقول عن كُنه معرفتك ، وكيف يوصف كُنه صفتك ياربّ وأنت الله الملك الجبّار القدّوس الأزليّ الّذي لم يزل ولا يزال أزليّا باقياً أبديّاً سرمديّاً دائماً في الغيوب ، وحدك لا شريك لك ليس فيها أحد غيرك ولم يكن إلهٌ سواك ، حارت في بحار بهاء ملكوتك عميقات مذاهب التفكّر ، وتواضعت الملوك لهيبتك ، وعنت الوجوه بذلّة الاستكانة لعزّتك ، وانقاد كلّ شيء لعظمتك ، واستسلم كلّ شيء لقدرتك ، وخضعت لك الرقاب ، وكَلَّ دون ذلك تعبير اللغات ، وضلّ هنالك التدبير في تصاريف الصفات ، فمن تفكّر في إنشائك البديع وثنائك الرفيع وتعمّق في ذلك رجع طرفه إليه خاسئاً حسيراً ، وعقله بهوتاً ، وتفكّره متحيّراً أسيراً . اللهمّ لك الحمد حمداً كثيراً دائماً متوالياً متواتراً متضاعفاً مُتسعاً مُتسقاً ، يدوم ويتضاعف ولا يبيد ، غير مفقود في الملكوت ، ولا مطموس في المعالم ، ولا منتقص في العرفان ، فلك الحمد على مكارمك الّتي لا تحصى ، ونعمك الّتي لا تستقصى في الليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر ، وفي البرّ والبحار ، والغدوّ والآصال ، والعشيّ والإبكار ، والظهيرة والأسحار ، وفي كلّ جزء من أجزاء الليل والنهار . اللهمّ لك الحمد ، بتوفيقك قد أحضرتني النجاة ، وجعلتني منك في ولاية العصمة ، فلم أبرح في سُبُوغ نعمائك وتتابع آلائك محروساً بك في الردّ والامتناع ، ومحفوظاً بك في المنعة والدفاع . اللهمّ إنّي أحمدك إذا لم تكلّفني فوق طاقتي ، ولم ترض منّي استطاعتي ، وأقلّ من وسعي ومقدرتي ، فإنّك أنت الله الملك الحقّ الّذي لا إله إلاّ أنت لم تغب ولا تغيب عنك غائبة ، ولن تخفى عليك خافية ، ولن تضلّ عنك في ظلم الخفيّات ضالّةٌ ، إنّما أمرك إذا أردت شيئاً أن تقول له كن فيكون . اللهمّ لك الحمد حمداً كثيراً دائماً مثلما حمدت به نفسك ، وأضعاف ما حمدك به الحامدون ، وسبّحك به المسبّحون ، ومجّدك به الممجّدون ، وكبّرك به المكبّرون ، وهلّلك به المهلّلون ، وقدّسك به المقدّسون ، ووحّدك به الموحّدون ، وعظّمك به المعظّمون ، واستغفرك به المستغفرون ، حتّى يكون لك منّي وحدي في كلّ طرفة عين وأقلّ من ذلك مثل حمد جميع الحامدين ، وتوحيد أصناف الموحّدين والمخلصين ، =

{ثمّ في كلّ يوم اســم والربّ يعرف أهله} ثمّ يقرأ : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص ١١٢/١] في كلّ يوم مئة مرّة ، ويصلّي على النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] أيضاً في كلّ يوم {مئة مرّة} ، ويقول : استغفر الله وأتوب إليه أيضاً في كلّ

= وتقديس أجناس العارفين ، وثناء جميع المهلّلين ، والمصلّين والمسبّحين ، ومثل ما أنت به عالمٌ ، وأنت محمودٌ ، ومحبوبٌ ومحجوبٌ عن جميع خلقك كلّهم . إلهي أسألك بمسائلك ، وأرغب إليك بك في بركات ما أنطقتني به من حمدك ، ووفّقتني له من شكرك ، وتمجيدي لك ، فما أيسر ما كلّفني به من حقّك ، وأعظم ما وعدتني به من نعمائك ، ومزيد الخير على شكرك ابتدأتني بالنعم فضلاً وطولاً ، وأمرتني بالشكر حقّاً وعدلاً ، ووعدتني أضعافاً ومزيداً ، وأعطيتني من رزقك واسعاً كثيراً اختياراً ورضىً ، وسألتني عنه شكراً يسيراً . ولك الحمد اللهمّ إذ نجيّتني وعافيتني برحمتك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، ولم تسلمني لسوء قضائك وبلائك ، وجعلت ملبسي العافية ، وأوليتني البسط والرخاء ، وشرعت لي أيسر القصد ، وضاعفت لي أشرف الفضل مع ما عبدتني به من محجّة الشريعة وبشّرتني به من الدرجة العالية الرفيعة ، واصطفيتني بأعظم النبيين دعوةً ، وأفضلهم شفاعةً ، وأرفعهم درجةً ، وأقربهم منزلةً ، وأوضحهم حجّةً ، سيّدنا محمّد ﷺ . اللهمّ صلّ عليه وعلى آله ، واغفر لي ولأهلي ولإخواني كلّهم ما لا يسعه إلاّ مغفرتك ، وبلغني الكرامة من عندك ، وأوزعني شكر ما أنعمت به عليّ ، فإنّك أنت الله الّذي لا إله إلاّ أنت الواحد الأحد ، الرفيع البديع المُبدىء المُعيد ، السميع العليم ، ليس لأمرك مدفعٌ ، ولا عن قضائك ممتنعٌ ، وأشهد أنك ربّي وربّ كلّ شيء ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، العليّ الكبير المتعالي ، فلك الحمد على ما لا أستطيع إحصاءه ، ولا تعديده من عوائد فضلك ، وعوارف رزقك ، وألوان ما أوليتني به من إرفادك وكرمك ، فإنّك أنت الله الّذي لا إله إلاّ أنت ، الفاشي في الخلق حمدك ، الباسط بالجود يدك ، لا تضادّ في حكمك ، ولا تنازع في أمرك وسلطانك ومُلكك ، ولا تشارك في ربوبيّتك ، ولا يملكون منك إلاّ ما تريد . اللهمّ أنت المنعم المتفضل ، القادر المقتدر ، القاهر المقدّس بالمجد ، في نور القدس تردّيت بالمجد والبهاء ، وتعظّمت بالعزّة والعلاء ، وتأزّرت بالعظمة والكبرياء ، وتغشّيت بالنور والضياء ، وتجلّلت بالمهابة والبهاء ، لك المنّ القديم ، والسلطان الشامخ ، والمُلك الباذخ ، والجود الواسع ، والقدرة الكاملة ، والحكمة البالغة ، والعزّة الشاملة ، فلك الحمد على ما جعلتني من أُمّة محمّد ﷺ ، وخلقتني سميعاً بصيراً ، صحيحاً سويّاً ، سالماً معافىً ، لم تشغلني بنقصان في بدني عن طاعتك ، ولا بآفة في جوارحي ، ولا عاهة في نفسي ولا في عقلي ، ولم تمنعني كرامتك إيّاي ، وحسن صنيعك عندي ، وفضل منائحك لديّ ، ونعمائك عليّ ، وأنت الّذي أوسعت عليّ في الدنيا رزقاً ، وفضّلتني على كثير من أهلها تفضيلاً ، فجعلت لي سمعاً يسمع آياتك ، وعقلاً يفهم إيمانك ، وبصراً يرى قدرتك ، وفؤاداً يعرف عظمتك ، وقلباً يعتقد توحيدك ، فأنا لفضلك عليّ شاهدٌ ، حامدٌ شاكرٌ ، وأشهد أنّك حيٌّ قبل كلّ حيٍّ ، وحيٌّ بعد كلّ حيٍّ ، وحيٌّ بعد كلّ ميت ، وحيٌّ لم ترث الحياة من حيٍّ ، ولم تقطع خيرك عنّي في كلّ وقت ، ولم تقطع رجائي ، ولم تنزل بي عقوبات النقم ، ولم تغيّر عليّ وثائق النعم ، ولم تمنع عنّي دقائق العصم ، فلو لم أذكر من إحسانك وإنعامك عليّ إلاّ عفوك عنّي ، والتوفيق لي ، والاستجابة لدعائي حين رفعت صوتي بدعائك وتحميدك وتوحيدك وتمجيدك وتهليلك وتكبيرك وتعظيمك ، وإلاّ في تقديرك خلقي حين صوّرتني =

يوم ، وإن استطاع زاد ما شاء من النّوافل والتّلاوة ، ولا يضيع أجره عند الله كما قال الله تعالى : ﴿ ..إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١) [سورة التّوبة ٩/١٢٠] .

* * *

= فأحسنت صورتي ، وإلاّ في قسمة الأرزاق حين قدرتها لي ، لكان في ذلك ما يشغل فكري عن جهدي ، فكيف إذا فكّرت في النعم العظام الّتي أتقلّب فيها ولا أبلغ شكر شيء منها ، فلك الحمد عدد ما حفظه علمك ، وجرى به قلمك ، ونفذ به حُكمك في خلقك ، وعدد ما وسعته رحمتك من جميع خلقك ، وعدد ما أحاطت به قدرتك ، وأضعاف ما تستوجبه من جميع خلقك . اللهمّ إنّي مُقِرٌّ بنعمتك عليّ فتمّم إحسانك إليّ فيما بقي من عمري ، أعظم وأتمّ وأكمل وأحسن ممّا أحسنت إليّ فيما ومضى منه برحمتك يا أرحم الراحمين . اللهمّ إنّي أسألك وأتوسّل إليك بتوحيدك وتمجيدك وتحميدك وتهليلك وتكبيرك وتسبيحك وتعظيمك وتقديسك ونورك ورأفتك ورحمتك وعلمك وحكمك وعلوّك ووقارك وفضلك وجلالك وكمالك وكبريائك وسلطانك وقدرتك وتدبيرك وإحسانك وامتنانك وجمالك وبهائك وبرهانك وغفرانك ونبيّك ووليّك وعترته الطاهرين أن تصلّي على سيدنا محمّد وعلى سائر إخوانه الأنبياء والمرسلين ، وأن لاتحرمني رِفدك وفضلك وفوائد كرامتك ، فإنّك لايعتريك لكثرة ما قد نشرت من العطايا عوائق البخل ، ولا ينقص جودك التقصير في شكر نعمتك ، ولا تنفد خزائنك ومواهبك المتّسعة ، ولا يؤثر في جودك العظيم مِنَحُك الفائقة الجليلة الجميلة الأصلية ، ولا تخاف ضيم إملاقٍ فنُكدي ، ولا يلحقك خوف عدم فينقص من جودك فيض فضلك ، إنّك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير . اللهمّ أنت أمرتنا بدعائك ، ووعدتنا بإجابتك ، وقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا ، ياذا الجلال والإكرام ، إنّك لا تخلف الميعاد وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله ربّ العالمين . [جامع الثناء على الله : للنبهاني ، ٢٧٨ – ٢٨٨] .

(١) ورد في هامش (ظ) : قال الشيخ محمود أفندي الإسكداريّ : إنّ الذكر على مراتب ، فالذكر في مقام النفس في اللسان والمجاهدة ، والتفكّر في النعم . وفي مقام القلب بالحضور والمراقبة ، والتفكّر في الملوك ، ومطالعة صفات الجمال والجلال . وفي مقام السرّ بالمناجاة والمكالمة . وفي مقام الروح بالمشاهدة . وفي مقام الخفيّ بالمناعات في المعاشقة ، والتحير في الأنوار . وفي مقام الذات بالفناء والاستغراق والانغماس . فالنفس تضطرب صفاتها فيتلّون القلب ، ويغيّر بسببها ، فإذا ذكر الله استقرت النفس وخلصت عن الوسواس ، واطمأن القلب كما قال الله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [سورة الرعد ١٣/٢٨] (جامع الفضائل وقامع الرذائل) .

الفصل الثّاني والعشرون
في بيان الوقعات في المنام والسِّنة

فالوقعات [معبرة] في النّوم والسِّنة كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة الفتح ٤٨/٢٧] وكما قال النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم/ : [٦٢/أ] « لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إلاّ الْمُبَشِّـرَاتِ ... »(١) يراها المؤمنون أو ترى لهم كما قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [سورة يونس ١٠/٦٤] والمراد منه الرّؤيا الصّالحة في قول البعض(٢) كما قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِت وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ »(٣) وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: « مَنْ رَآنِي في الْمَنَامِ فَقَدْ رَآني في الْيَقَظَةِ لأَنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَمَثَّلُ

(١) قطعة من حديث . أخرجه البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب التعبير ، باب : المبشرات ، ٦٥٨٩ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] ، وتتمته : قالوا : وما المبشرات؟ قال :« الرؤيا الصالحة » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٢/٥٢٦ .

(٢) هو من قول النبيّ ﷺ في الحديث الّذي أخرجه مالك في « الموطّأ » ، كتاب الرؤيا ، باب : ما جاء في الرؤيا ، ٢/٩٥٨ ، عن عروة بن الزبير بن العوّام رضي الله عنه ، في قوله [تعالى] : ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا.. ﴾ [سورة يونس ١٠/٦٤] ، قال : « هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو تُرى له » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٢/٥٢٦ .

(٣) أخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الرؤيا ، ٢٢٦٣ ، عن ابن مُسْهِر . وفي رواية ثانية عنده ، برقم ٢٢٦٥ ، عن ابن عمر رضي الله عنهما : « الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوّة » . قال الإمام النوويّ في « شرح صحيح مسلم » ، ج١٥/٢١ : قال الخطابي : هذا الحديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها . وإنّما كانت جزءاً من أجزاء النبوّة في حقّ الأنبياء دون غيرهم ، وكان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة . قال بعض العلماء : معنى الحديث أنّ الرؤيا تأتي على موافقة النبوّة ، لأنّها جزء باقٍ من النبوّة . والله أعلم .

بِي وَبِمَنْ تَبِعَنِي »[1] ــ أي : تابعني بنور عمل الشّريعة والطّريقة والمعرفة ، وبنور الحقيقة والبصيرة . كما قال الله تعالى : ﴿ ..أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي .. ﴾ [سورة يوسف ١٠٨/٦٢] .

فلا يتمثّل الشّيطان بهذه الأنوار اللّطيفة كلّها .

قال صاحب/ المظهر : هذا ليس للاختصاص بالنّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] ، بل لا يتمثّل بكلّ ما هو مظهر الرّحمة واللّطف والهداية كجميع الأنبياء [عليهم الصّلاة والسّلام] والأولياء والكعبة والشّمس والقمر والسّحاب الأبيض والمصحف وأمثال ذلك لأنّ الشّيطان مظهر القهر ، فلا يظهر إلاّ في صورة {الاسم المضلّ} فمن كان مظهر للاسم الهادي كيف يظهر بصورته ، فالضّد لايظهر بصورة الضّد لما بينهما من التّنافر والبعد ، وليميّز الحقّ والباطل كما قال الله تعالى : ﴿ .. كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ .. ﴾ [سورة الرّعد ١٧/١٣] . [٦٢/ب]

وأمّا تمثّله يكون في صورة الرّبوبيّة ، ودعوى الرّبوبيّة يجيء [منه] لأنّ صفة الله جلال وجمال ، والشّيطان يتمثّل بصفة الجلال لأنّه مظهر القهر/ {فظهور تمثّل} ربوبيّته ، ودعواه من اسم المضلّ فقط كما مرّ ، ولا يظهر في صورة اسم الجامع لما فيه من معنى الهداية ، وفيه كلام كثير يطول شرحه وقوله {تعالى} :﴿ ..عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي.. ﴾ [سورة يوسف ١٠٨/١٢] إشارة إلى الوارث الكامل المرشد ــ أي : الإرشاد بعدي لمن له بصيرة باطنة مثل بصيرتي من وجه ــ والمراد منه الولاية الكاملة [٦٣/أ]

(١) أخرج البخاريّ في « صحيحه » ، كتاب التعبير ، باب : من رأى النبيّ ﷺ في المنام ، ٦٥٩٢ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت النبيّ ﷺ يقول : « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثّل الشيطان بي » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج٢/٥٢٨ . قال الإمام النوويّ في « شرح صحيح مسلم » ، ج١٥/٢٦ :فيه أقوال : الأوّل : أنْ يراد به أهل عصره ، ومعناه : من رآه في النوم ولم يكن هاجر يوفقه الله للهجرة ورؤيته ﷺ في اليقظة عياناً . والثاني : أنّه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة لأنّه يراه في الآخرة جميع أمّته من رآه في الدنيا ومن لم يره . والثالث : أنّه يراه في الآخرة رؤية خاصة في القرب منه وحصول شفاعته ونحو ذلك . والله أعلم .

كما أشار إليه بقوله : ﴿ ..وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [سورة الكهف١٨/١٧] .

ثمّ اعلم أنّ الرّؤيا على نوعين : آفاقي ، وأنفسي . وكلّ واحد منهما على نوعين .

فالأنفسي : إمّا من الأخلاق الحميدة أو الذّميمة . فالحميدة مثل رؤية الجنان ونعيمها ، ومثل الحور والقصور والغلمان والصّحراء النّورانيّ الأبيض ، ومثل/ الشّمس [٦٣/ ب] والقمر والنّجوم وما أشبه ذلك متعلّق بالقلب .

وأمّا ما يتعلّق بالنّفس المطمئنة مثل مأكول اللّحم من الحيوانات والطّيور ؛ لأنّ معيشة المطمئنة في الجنّة تكون بهذه الأنواع كشويّ الغنم والطّيور . وأمّا البقر فهو آت من الجنّة لآدم عليه [الصّلاة] والسّلام لأجل زراعته في الدّنيا . والإبل أيضاً منها لأجل سفر كعبة الظّاهر والباطن .

والخيل {آت أيضاً منها} آلة الجهاد الأصغر والأكبر. فكلّ ذلك للآخرة ، وفي الحديث : « أَنَّ الغَنَمَ خُلِقَ مِنْ عَسَلِ الجَنَّةِ ، والبَقَرَ مِنْ زَعْفَرَانِها ، والإبِلَ مِنْ نُورِهَا ، وَالخَيْلَ مِنْ رِيْحِهَا »(١). وأمّا البغل فهو من أدنى صفة المطمئنة من رآه في المنام فتعبيره/ أن [٦٤/أ] يكون الرّائي كسلاً في العبادة ، وثقلاً في القيام والقعود ، ولايكون لكسبه نتيجة في الحقيقة إلاّ التّوبة : ﴿ .. وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ .. ﴾ [سورة الكهف ١٨/٨٨] . والحمير من حجارتها لأجل مصلحة آدم عليه [الصّلاة] والسّلام وذرّيته لكسب الآخرة في الدّنيا .

وأمّا ما يتعلّق منها بالرّوح فكالشّابّ الأمرد ، تتجلّى عليه الأنوار الإلهية ؛ لأنّ أهل الجنّة كلّهم على هذه الصّورة كما قال رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ.. »(٢) الحديث . وكما قال رسول الله صلّى الله عليه

(١) لم نعثر عليه .

(٢) قطعة من حديث . أخرجه الترمذيّ في « الجامع الصحيح » ، كتاب صفة الجنّة ، باب : ما جاء في صفة ثياب أهل الجنّة ، ٢٥٣٩ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وتتمته : « ..لا يفنى شبابهم ، ولا تَبْلى ثيابهم » . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج١٠/٥٢٨ .

[وآله] وسلّم : « رَأَيْتُ رَبِّي بِصُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدٍ »[1]. قال بعضهم : المراد من هذه الصّورة تجلّي/ الحقّ بصفة الرّبوبيّة على مرآة الرّوح ، وهو الّذي يسمّونه طفل المعاني ؛ [٦٤/ب] لأنّه مربّ الجسد ، ووسيلة بينه وبين الرّبّ . وقال أمير المؤمنين عليّ [بن أبي طالب] كرّم الله وجهه : (لولا المربي لما عرفت ربّي) ، وهذا المربي مربي الباطن ، وهو إنّما يحصل بسبب تربية مربٍّ ظاهريّ بالتّلقين ، فالأنبياء والأولياء مربو القوالب ومربو القلوب ما يحصل من تربيتهم من لقاء الرّوح الآخر كما مرّ ، كما قال الله تعالى : ﴿ .. يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ .. ﴾ [سورة غافر ١٥/٤٠] . وطلب المرشد لأجل هذا الرّوح الّذي يحيي به القلب ويعرف به ربّه فافهم .

قال الإمام الغزاليّ رحمة الله عليه : يجوز/ أن يُرى الرّبُّ في المنام[2] على صورة [٦٥/أ] جميلة أخرويّة على هذا التّأويل المذكور . قال : لأنّ مثل المرئّي مثال ما يخلقه الله تعالى على قدر استعداد الرّائي ومناسبته ، وليس الحقيقة الذّاتيّة ؛ لأنّ الله تعالى منزّه عن الصّورة ، أو يُرى بذاته في الدّنيا كرؤية النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وعلى هذا القياس يجوز أن يُرى في صورة مختلفة على قدر مناسبة {استعداد} الرّائي ، ولا يرى الحقيقة المحمّديّة إلاّ الوارث الكامل في عمله وعلمه وحاله وبصيرته ، ظاهراً وباطناً ، لا في حاله. وكذا في شرح المسلم : يجوز رؤية الله تعالى في الصّورة البشريّة النّورانيّة على التّاويل/ المذكور . والقياس على تجلّي كلّ صفة على هذا النّهج كما تجلّى لموسى عليه [٦٥/ب] [الصّلاة] والسّلام في صورة النّار من شجر العنّاب كما قال الله تعالى: ﴿ ..لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ .. ﴾ [سورة طه ١٠/٢٠] ومن صفة الكلام كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ.. ﴾ [سورة طه ١٧/٢٠]

(١) تقدّم تخريجه ، ص٨٧ .

(٢) قال القشيريّ في « الرسالة » ، ٣٠٧ : روي عن أبي يزيد أنّه قال : رأيت ربّي عزّ وجلّ في المنام ، فقلت : كيف الطريق إليك؟ فقال : اترك نفسك وتعال . وقيل : رأى أحمد بن خضروية ربّه في المنام ، فقال : يا أحمد كلّ الناس يطلبون منّي إلاّ أبا يزيد فإنّه يطلبني . وقال يحيى بن سعيد القطان : رأيت ربّي في المنام ، فقلت : يا ربّ كم أدعوك فلا تستجيب لي : فقال تعالى : يا يحيى ، إنّي أحب أن أسمع صوتك .

وكانت تلك النّار نوراً ، لكن سمّيت ناراً على زعم موسى [عليه الصّلاة والسّلام] وطلبه ، وليس الإنسان أدنى مرتبة من الشّجرة ، فلا عجب أن يتجلّى بصفة من صفات الله تعالى في الحقيقة الإنسانيّة بعد التّصفية من الصّفات الحيوانيّة إلى الإنسانيّة كما تجلّى [على] بعض الأولياء كأبي يزيد البسطاميّ/ حيث قال : (سبحاني ما أعظم شأني)[1] وكالجنيد [البغداديّ] حيث قال : (ليس في جبّتي سوى الله)[2] ونحو ذلك ، وفي ذلك المقام لطائف عجيبة لأهل التّصوّف يطول شرحها . [٦٦/أ]

(١) ـ (٢) قال شيخ الإسلام ابن تيميّة في « مجموع الفتاوى » ، ج ٣٣٧/١٠ : (.. وسبب ذلك أنّه قاس جميع الخلق على ما وجده من نفسه ولهذا يقول بعض هؤلاء إنّه لا يمكن حين تجلى الحقّ سماع كلامه ... وفي هذا الفناء قد يقول : أنا الحقّ أو سبحاني أو ما في الجبّة إلاّ اللّه ، إذا فنى بمشهوده عن شهوده وبموجوده عن وجوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن عرفانه . كما يحكون أنّ رجلاً كان مستغرقاً في محبّة آخر فوقع المحبوب في اليمّ فألقى الآخر نفسه خلفه ، فقال : ما الّذي أوقعك خلفي ؟ فقال : غبت بك عني فظننت أنّك أنّي) . ويقول الدكتور عبد الكريم اليافي مجيباً عن معنى هذه الأقوال : هذه أقوال تنسب إلى بعض الصوفيّة ، إن صحت فهي من قبيل الشطح . وقد فصّل الإمام الغزالي قضية شطح الصوفيّة في كتابه : « إحياء علوم الدين » . ومن تفوّه بها يعدّ في حال السكر لا في حال الصحو . ومع ذلك فثمّة مجال واسع للتأويل ، وبيان المرتكز الّذي يرتكز الصوفيّ المأخوذ بنشوة السكر حين قال ذلك القول . وقد جاء في الحديث القدسيّ الّذي أخرجه البخاري في « صحيحه » ، كتاب الرقاق ، باب : التواضع ، ٦١٣٧ ، عن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ الله قال : من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ ممّا افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الّذي يسمع به ، وبصره الّذي يبصر به ، ويده الّتي يبطش بها ، ورجله الّتي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأُعيذنّه ، وما تردّدت عن شي أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » . ومنه نتبيّن مكانة الإنسان الّذي وصل إلى هذه الدرجة من الولاية ، إذ تتجلّى مشيئة الله في مشيئته ، ويصدر عمله عن إرادته . وإذا كنّا نقدّر المخلوق أيّاً كان نباتاً أو حيواناً أو جماداً بصفته من خلق الله تعالى فكيف لا نقدّر الإنسان خليفة الله تعالى في الأرض الّذي وصل إلى تلك الدرجة العالية من التقى والفناء والاجتهاد في العبادة ، كيف لا نفهم خلافته في الحياة بحيث لا يسعى أيّ سعي إلاّ عن مشيئة الله تعالى ، وإذا وجد الصوفيّ بارقة إلٰهيّة في نفسه العالية فزهي بها وشغف وهام فإنّما هيامه وشغفه وازدهاؤه بالله تعالى . وقديماً قال ابن عربي في كتابه « مواقع النجوم » ، ٧٤ :

قلمي ولوحي في الوجود يمدّه ... قلم الإله ولوحه المحفوظ
ويدي على الله في ملكوته ... ما شئت اجري والرسوم حظوظ

فالإنسان بهذا الاعتبار أداة التغيير في الكون ، ولوح المحو والإثبات ، وكلّ عمل مشكور أو محمود يؤديه يرجع في نهايته إليه سبحانه وتعالى ، فالشكر والحمد وكذلك التسبيح والتنزيه أيّان وقعت هذه الأمور فنهايتها الحقيقيّة إليه =

ثمّ في التّربية لا بدّ من المناسبة ، فالمبتدىء من أوّل أمره لا مناسبة بينه وبين الله وبين نبيّه [صلّى الله عليه وآله وسلّم] فاحتاج لا محالة إلى تربية الوليّ أوّلاً ، لأنّ الوليّ مناسبة بينه وبين المبتدىء من جهة البشريّة كما للنّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] حال حياته فإذا [كان] النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] في الحياة الدّنيا لما احتاج أحد إلى غيره ، فإذا انتقل إلى الآخره انقطع من {صفة} التّعلّق ، ووصل إلى محض التّجرد ، وكذا الأولياء إذا انتقلوا إلى الآخرة لا يصل أحداً منهم الإرشاد [إلى المقصود] فافهم إن كنت من أهل الفهم . وإن لم تكن فاطلب/ الفهم بالرّياضة النّورانيّة الغالبة على [٦٦/ب] النّفسانيّة الظّلمانيّة{ لأنّ الفهم يحصل بالنورانيّة لا بالظّلمانيّة} ولأنّ النّور لا يجيء بموضع إلاّ يكون {مُدْنياً} مشرقاً ، فلم يبق للمبتدىء مناسبة له .

وأمّا الوليّ الّذي يكون في الحياة فله مناسبة ، لأنّ له جهتين التّعلّقيّة الجسمانيّة ، والتّجرديّة الرّوحانيّة ، من جهة الوراثة الكاملة ، فيتوالى إليه مدد الولاية النّبويّة من النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] ويتعرف بها النّاس . فافهم فإنّ وراء ذلك سرّاً عميقاً يدركه أهله . قال الله تعالى : ﴿ ..وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة المنافقون ٨/٦٣] .

وأمّا تربية الأرواح في الباطن ، فروح الجسمانيّ مربى في الجسم أوّلاً ، ثمّ روح الرّوانيّ مربى في القلب ، ثمّ روح السّلطانيّ مربى في الفؤاد ، ثمّ روح القدسيّ مربى في السّرّ /وهو الواسطة بينه وبين الحقّ ، ومترجم من الحقّ إلى الخلق ؛ لأنّه أهل الله ومحرمه . [٦٧/أ]

وأمّا الرّؤيا الّتي هي من الأخلاق الذّميمة من صفة الأمّارة واللّوامة والملهمة فهي

= جلّ وعلا. جاء في مشكاة الأنوار، للغزالي، ٤٠ : (وكلام العشّاق في السكر يطوى ولا يحكى، فلما حفّ عنهم سكرهم وردّوا إلى سلطان العقل الّذي هو ميزان الله تعالى في أرضه عرفوا أنّ ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق في حال العشق :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا　　　نحن روحان حللنا بدنا

ونختم هذه الشرح الموجز بأنّه لا يجوز إعادة هذه الجمل والعبارات ، وإنّما يفيد اطلاعنا في إدراك عظمة الإنسان الكامل الناشئة عن عظمة الخالق جلّ وعلا .

من السّبـاعـات كالنّمر والأسـد والدّب والذّئب والكـلب والخنزير ، ومثـل الأرنب والثّعلب {والفهد} والهرّة والحيّة والعقرب والزّنبور وغير ذلك من المؤذيات ، فهذه من صفة الذّميمة الّتي يجب الاحتراز {عنها ، وإزالتها عن طريق الرّوح} .

وأمّا **النّمر** : فهو من صفة العُجب ، وهو الكبر على الله تعالى .

وأمّا **الأسد** : فهو من صفة الكبر والتّعظيم على الخلق .

وأمّا **الدّب** : فهو من صفة الغضب {والغلبة} على من في تحت يده .

وأمّا **الذّئب** : فهو من صفة أكل الحرام وحبّ الدّنيا والقهر والغضب لأجلها .

وأمّا/ **الخنزير** : [فهو] من صفة الحقد والحسد والحرص على الشّهوات . [٦٧/ب]

وأمّا **الأرنب** : [فهو] من صفة الخيانة والمكر بمعاملات الدّنيا الدّنيّة ، والثّعلب أيضاً ، ولكن في الأرنب الغفلة غالبة .

وأمّا **الفهد** : [فهو] من صفة {العزة} الجاهلية ، وحبّ الرّياسة .

وأمّا **الهرّة** : [فهي] {من صفة} البخل والنّفاق .

وأمّا **الحيّة** : [فهي] من صفة الإيذاء باللّسان كالشتم والغيبة والكذب . ويرى في ذلك السّباع في معاني حقيقية يدركها أهلها بالبصيرة .

وأمّا **العقرب** : [فهو] من صفة الغمز والهمز والنّميمة .

وأمّا **الزّنبور** : [فهو] من صفة إيذاء الخلق باللّسان خفيّاً ، وقد تدلّ الحيّة على [٦٨/أ] العداوة مع النّاس ، فإذا رأى السّالك في نفسه أنّه {يحارب}/ مع المؤذيات ، ولم يتغلّب عليها بعد الرّؤية {فليجتهد} بالعبادة والذّكر حتّى يتغلّب عليها ويقهرها {بقتلها} أو يبدّلها إلى الصّورة البشريّة ، فإنْ قهرها وقتلها بالكلّيّة فهو معنى تكفير السّيئات كما قال الله تعالى في حقّ بعض التّائبين : ﴿ ..كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [سورة محمّد ٤٧/٢] وإن رأى أنّها تبدّلت إلى صورة {الإنسانيّة} ، فهو معنى تبديل السيئات إلى الحسنات كما قال الله تعالى في حقّ التّوابين :﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ.. ﴾ [سورة الفرقان ٢٥/ ٧٠] فقد خلص منها

هذه المرّة ،فينبغي أن لا يأمن منها بعد ذلك ؛ لأنّه إذا وجد النّفس قويّة من خبائث العصيان والنّسيان تقوّت وغلبت على المطمئنة ، ولذلك أمر الله تعالى أن يتجنّب [٦٨/ب / العبد من المناهي في جميع الأوقات ما دام في الدّنيا .

وقد يرى ذات النّفس الأمّارة على صورة الكفّار ، واللّوامة على صورة اليهوديّ ، والملهمة على صورة النّصرانيّ . وكذا في صورة المبتدعة .

* * *

الفصل الثّالث والعشرون

في بيان أهل التّصوّف

وهم اثنا عشر نفراً واحدهم سُنِّيُّون : وهم الّذين أفعالهم وأقوالهم موافقة للشّريعة والطّريقة ، وهم أهل السّنّة والجماعة ، وبعضهم يدخلون الجنّة بغير حساب ، وبعضهم يدخلون الجنّة بعد العذاب ، والبواقي بدعيّون .

[٦٩/أ] فمنهم/ : الحلويّة ، والحاليّة ، والأوليائيّة ، والشّمراخيّة ، والحبيّة ، والحوريّة ، والإباحيّة ، والمتكاسلة ، والحدية والمتجاهلة ، والواقفيّة ، والهاميّة .

فأمّا {مذهب} **الحلويّة** : فإنّهم يقولون : إنّ النّظر إلى الوجة الجميل من النّساء والأمرد حلال ، وفيه صفة الحقّ ، فيرقصون ويدّعون التّقبيل والمعانقة ، وهذا كفر محضٌ .

وأمّا **الحاليّه** : فإنّهم يقولون : الرّقص وضرب اليد حلال ، ويقولون للشّيخ حالة لا يعبر عنها الشّرع ، وهذه بدعة ليست في سنّة رسول الله [صلّى الله عليه وآله وسلّم] .

وأمّا **الأوليائيّة** : فإنّهم يقولون: إذا وصل العبد إلى مرتبة الأولياء سقطت عنه [٦٩/ب] تكاليف الشّرع. ويقولون : الوليّ/ أفضل من النّبيّ ؛ لأنّ علم النّبيّ بواسطة جبرائيل عليه السّلام ، وعلم الوليّ بغير واسطة جبرائيل عليه السّلام ، وهذا التّاويل خطأ ، وهم هلكوا بذلك الاعتقاد ، وهذا كفر .

وأمّا **الشّمراخيّة** : فإنّهم يقولون : الصّحبة قديمة ، وبها يسقط الأمر والنّهيّ ،

ويُحِلَون الدّف والطّنبور وباقي المناهي {شرعاً ، وابنتهم} حلال من جهة النّساء . وهم كفّار ، ودمهم مباح .

وأمّا **الحبيّة** : فإنهم يقولون : إذا وصل العبد إلى درجة المحبّة عند الله تعالى تسقط عنه التّكاليف ، ولا يسترون عورتهم بينهم .

وأمّا **الحوريّة** : فإنّهم/ كالحاليّة ، لكن يدّعون وطيء الحور في حالاتهم ، فإذا [٧٠/أ] {أفاقوا} اغتسلوا فكذبوا فهلكوا به .

وأمّا **الإباحيّة** : فيتركون الأمر بالمعروف ، ويحلّون الحرام ، ويبيحون النّساء .

وأمّا مذهب **المتكاسلة** : فيتركون الكسب {ويسألون} من الأبواب ، ويدّعون ترك الدّنيا ، وهلكوا به .

وأمّا **المتجاهلة** : فيلبسون لباس الفُسّاق على ظهورهم ، ويدّعون في بواطنهم ، وهلكوا به كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ .. ﴾ [سورة هود١١/١١٣] .

وأمّا **الوقفيّة** : فإنّهم يقولون : لا يعرفُ اللهَ غيرُ الله {تعالى} قط ، ويتركون طلب المعرفة ، وهلكوا به .

وأمّا **الهاميّة** : فيتركون العلم ، وينهون عن التّدريس ، وتابعوا الحكماء . ويقولون/ : القرآن حجاب ، والأشعار قرآن الطّريقة ، {ويعتقدون} بذلك القول ، [٧٠/ب] ويتركون القرآن ، ويعلّمون الأشعار أولادهم ، [ويتركون الوِرد] وهلكوا بذلك الاعتقاد ، {وفي نفسهم الباطل يقولون نحن أهل السّنّة والجماعة .

وليسوا منهم ويقول} أهل السّنّة والجماعة : إنّ الصّحابة كانوا أهل الجذبة بقوّة صحبة النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، ثم انتشرت تلك الجواذب بعد عليّ [بن أبي طالب] {رضي الله عنه} إلى مشايخ الطّريقة ، ثمّ تشعّبت إلى سلاسل كثيرة ، حتّى ضعفت وانقطعت عن كثير منهم ، فبقي منهم {الرّسوم} في صورة الشّيوخة بلا معنى ،

ثمّ تشعّب منهم أهل البدعة ، ثمّ انتسب بعضهم إلى قلندر ، وبعضهم إلى حيدر ، [٧١/أ] وبعضهم إلى أدهم ، وغير ذلك ويطول شرحها . ففي هذا الزّمان/ أهل الفقر والإرشاد أقلّ من القليل ، ويُعلم أهل الحقّ بشاهدين : أحدهما ظاهر ، والآخر باطن .

فالظّاهر : الاستحكام على الشّريعة أمراً ونهياً .

والباطن : أن يكون سلوكه على مشاهدة البصيرة ، فيرى من يقتدي به ، وهو النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] ويكون واسطة بين الله وبين روحانيّة النّبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، {وجسمانيته} في محلّه ، فإنّ الشّيطان لا يتمثّل به ، فيكون منه إشارة إليه ، وإلى مريديه السّالكين ، فلا يكون سلوكهم على {العمى} وها هنا دقائق العلامات في التّمييز لا يدركها إلاّ القليل .

* * *

الفصل الرّابع والعشرون

في بيان الخاتمة النزعة

ينبغي أن يكون السّـالك فطناً بصيراً ناظراً إلى خواتيم/ الأمور ، ويتفكّر في [٧١/ب]
إدبارها ، {ولا يغترّ} بظاهر الأحوال ، فقد اتّفق أهل التّصوّف أنّ {السّـالك} إلى الأحوال يغفل عن محوّلها كما قال الله تعالى :﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[سورة الأعراف٧/٩٩] وكذلك قال الله تعالى في الحديث القدسيّ : « يا مُحَمَّدٌ بَشِّرِ المُذْنِبِيْنَ بِأَنِّي غَفورٌ ، وَأَنْذِرِ الصَّادِقِيْنَ بِأَنِّي غَيُورٌ »[1] .

فإنّ كرامات الأولياء وأحوالهم غير مأمونة من المكر والاستدراج ، بخلاف معجزات الأنبياء [عليهم الصّلاة والسّلام] فإنّها مأمونة من ذلك أبداً ، وقيل خوف {سوء} الخاتمة {سبب} النّجاة من سوء الخاتمة غالباً لئلا تخدعه البشريّة ؛ فيقطع سبيله من حيث لا يشعرون .

قالوا : في الصّحة يكون الخوف غالباً ، وفي المرض/ يكون الرّجاء غالباً ، قال [٧٢/أ]
رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : « لَو وُزِنَ خَوْفُ المُؤمنِ وَرَجَاءُهُ لا ستَوَيَا »[2] وأمّا في حالة النّزع فينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه بفضل الله أغلب .

---

(١) لم نعثر عليه .

(٢) أخرجه السيوطيّ في « الدرر » ، ٣٤٩ ، عن عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » ، عن ثابت البناني . وقال : لا أصل له في المرفوع . وأخرجه أحمد في « الزهد » ، ٢٩٣ ، عن مُطَرّف . ومعناه صحيح . قال القشيريّ في « الرسالة » ، ١٠٦ : قال أبو علي الرُّوذَبَارِيُّ : الخوف والرجاء كجناحي الطائر ، إذا استويا استوى الطائر وتمّ طيرانه ، وإذا انتقص واحد منهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهبا جميعاً صار الطائر في حدّ الموت . ويشهد له ما أخرجه البيهقيّ عن مُطَرّف قال : « لو وزن خوف المؤمن ورجاه بميزان ما كان بينهما خيط شعر » . وانظر شرح عين العلم وزين الحلم : ج٢/٢٤٧ـــ٢٧٣ .

قال النّبيّ [صلّى الله عليه وآله وسلّم] : « لا يموتن أحدكم إلّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَنَّ بِاللهِ »[1] ــ يعني : يتفكّر بسُبْقَةِ رحمته على غضبه وبسَعَةِ رحمته واستعانته ، إنّه أرحم الرّاحمين ، فَيَفِرُّ من قهره إلى لطفه ، ويفرُّ منه إليه متذلّلاً متضرعاً {معتّذراً متملّقاً} معترفاً بذنبه في بابه ، فيتوقّع فيض ألطافه ورحمته على ذنبه ، إنّ الله هو البرّ الرّحيم ، والجواد الكريم .

اللّهمّ ياهادي المضلّين ، ويا راحم المذنبين ، علمك كاف عن المقال ، وكرمك كاف عن السؤال ، اللّهمّ صلِّ / على {سيّد} المرسلين ، وآله {وصحبه} أجمعين ، يا ربّ العالمين . [٧٢/ب]

تمّت الرّسالة بتوفيق الله تعالى

* * *

(١) أخرجه مسلم في « صحيحه » ، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : الأمر بحسن الظنّ بالله تعالى عند الموت ، ٢٨٧٧ . وأخرجه أبو داود في « سننه » ، كتاب الجنائز ، باب : ما يستحب من حسن الظنّ بالله عند الموت ، ٣١١٣ . وأخرجه أحمد في « مسنده » ، ج ٢٩٣/٣ . عن جابر بن عبد الله [رضي الله عنه] . وانظر جامع الأصول : لابن الأثير ، ج ٦٩٣/١١ . قال النوويّ في « شرح صحيح مسلم » ، ج ٢٠٩/١٧ : قال العلماء في معناه : هذا تحذير من القنوط ، وحثّ على الرجاء عند الخاتمة .

المصادر والمراجع

ـ أ ـ

ـ إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين ، محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرّزاق الحسيني الزّبيديّ (١١٤٥ ـ ١٢٠٥هـ) ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، لبنان .

ـ الإتحافات السّنيّة في الأحاديث القدسيّة ، محمّد المدني (ت ١٢٠٠هـ) ، صححه وعلّق عليه محمود أمين النّواوي ، بدون تاريخ ، دار الجيل ، لبنان .

ـ الآثار الخطيّة في المكتبة القادريّة (في جامع الشّيخ عبد القادر الكيلانيّ ببغداد) ، عماد عبد السّلام رؤوف ، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ، مطبعة الإرشاد ، العراق .

ـ الأحاديث القدسيّة ، لجنة من العلماء ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، دار النّصر ، سورية .

ـ الأحاديث المشكلة في الرّتبة ، أبي عبد الله محمّد بن درويش الحوت البيروتي (١٢٠٩ ـ ١٢٧٦هـ) ، علّق عليه كمال يوسف الحوت ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ، عالم الكتب ، لبنان .

ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان ، ترتيب الأمير علاء الدّين عليّ بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ) ، قدّم له وضبط نصّه كمال يوسف الحوت ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .

ـ إحياء علوم الدّين ، أبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ) ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، لبنان .

ـ الأدب المفرد ، أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البّخاريّ .

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلّف وتاريخ مولده ووفاته ، اسم المحقّق ، تاريخ طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرّها .

- الإسـرا إلى مقـام الأسـرى ، أو (المعراج) ، تـأليف محيّ الدّين بن عربي (٥٦٠ - ٦٣٨هـ) ، تحقيق وشرح د. سعاد الحكيم ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار دندرة ، لبنان .
- الأسـرار المرفوعـة في الأخبـار الموضـوعة (الموضـوعات الكـبرى) ، نور الدّين ملا عليّ بن سـلطـان بن الهروي المعروف بالقـاري (ت ١٠١٤هـ) ، حقّقـه وعلّق عليـه محمّد الصّبّاغ ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، دار الأمانة ، مؤسسة الرّسالة ، لبنان .
- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، محمّد درويش الحوت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
- إصطـلاحات الصّـوفيّـة ، كمال الدّين عبد الرّزّاق القـاشـاني (ت ٧٣٠هـ) ، تحقيق وتعليق الدّكتور محمّد كمال إبراهيم جعفر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، مصر .
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّسـاء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، خير الدّين الزركلي (١٨٩٢ - ١٩٧٦م) ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، دار العلم للملايين ، لبنان .
- اقتضاء العلم العمل ، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البّغداديّ (٣٩٢ - ٤٦٣هـ) ، حقّقهـا محمّد ناصر الدّين الألباني ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
- إيضـاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون ، إسماعيل باشا بن محمّد أمين بن مير سليم البابانى البّغداديّ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، دار الفكر ، لبنان .

- ب -

- بذل المجهود في حلّ ألفـاظ أبي داود ، خليـل أحمد السّهـارنفوري (ت ١٣٤٦هـ) ، بدون تاريخ ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .

- ت -

- تاريخ بغداد أو (مدينة السّلام) ، أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البّغداديّ (٣٩٢ - ٤٦٣هـ) ، بدون تاريخ ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
- تخريج أحاديث شرح المواقف في علم الكلام ، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٨٤٩ - ٩١١هـ) ، تحقيق الدّكتور يوسف عبد الرّحمن مرعشلي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، دار

المعرفة ، لبنان .
ـ تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيّد المرسلين ، تأليف محمّد البشير ظافر الأزهري ، دراسة وتحقيق فواز أحمد زمرلي ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
ـ تذكرة الموضوعات ، محمّد طاهر بن عليّ الهندي المفتي (ت ٨٩٦هـ) ، بدون تاريخ ، نشر أمين دمج ، لبنان .
ـ التّرغيب والتّرهيب من الحديث الشّريف ، أبي محمّد زكي الدّين عبد العظيم بن عبد القوي المنذريّ (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) ، ضبط أحاديثه وعلّق عليه مصطفى محمّد عمارة ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ، دار إحياء التّراث ، لبنان .
ـ تتمة المختصر في أخبار البشر ، (تاريخ ابن الورديّ) ، زين الدّين عمر بن الورديّ (ت ٧٤٩هـ) ، إشراف وتحقيق أحمد رفعت البدراوي ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م ، دار المعرفة ، لبنان .
ـ التّعريفات ، عليّ بن محمّد بن عليّ الجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ) ، حقّقه وقدّم له إبراهيم الإبياري ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
ـ تفريح الخاطر في مناقب تاج الأولياء وبرهان الأصفياء الشّيخ عبد القادر الكيلانيّ ، ألّفه بالفارسيّة محمّد صادق القادري ، ترجمه عبد القادر بن محيّ الدّين الأربلي ، ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
ـ التّكملة لوفيات النّقلة ، زكيّ الدّين أبو محمّد عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ (٥٨١ ـ ٦٥٦هـ) ، حقّقه وعلّق عليه الدّكتور بشّار عوّاد معروف ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، مؤسسة الرّسالة ، لبنان .
ـ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، نصر بن محمّد بن إبراهيم السّمرقنديّ (ت ٣٧٣هـ) ، كتب هوامشه أحمد سلام ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .
ـ تنزيه الشّريعة المرفوعة عن الأخبار الشّنيعة الموضوعة ، أبي الحسن عليّ بن محمّد بن عراق الكتّاني (٩٠٧ ـ ٩٦٣هـ) ، حقّقه وراجع أصوله وعلّق عليه عبد الوهّاب عبد اللّطيف ـ عبد الله بن محمّد الصّدّيق ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .
ـ تنوير الحوالك شرح على موطّأ مالك ، تأليف جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، المكتبة الثّقافيّة ، لبنان .

- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، محمّد أمين الكردي الإربلي (ت ١٣٣٢هـ) ، خرّج أحاديثه وحذف منه نجم الدّين أمين الكردي ، تحقيق محمّد عليّ إدلبي ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، دار التّراث الإسلامي ، سورية .

- ج -

- جامع الأصول في أحاديث الرّسول ﷺ ، مجد الدّين أبي السّعادات المبارك محمّد بن الأثير الجزري (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) ، تحقيق الشّيخ عبد القادر الأرناؤوط ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطّبري) ، أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه محمود محمّد شاكر ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، دار المعارف ، مصر .

- جامع الثّناء على الله من الأحاديث النّبويّة وكلام أئمة الصّوفيّة ، الشّيخ يوسف بن إسماعيل النّبهاني ، ١٣٢٤هـ - ١٩٠٤م ، المطبعة الأدبيّة ، لبنان .

- الجامع الصّحيح (سنن التّرمذيّ) ، أبي عيسى محمّد بن عيسى بن سَوْرة التّرمذيّ (٢٠٩ - ٢٧٩هـ) ، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر وغيره ، بدون تاريخ ، دار إحياء التّراث العربي ، لبنان .

- الجامع الصّغير من أحاديث البشير النّذير ، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٨٤٩ - ٩١١هـ) ، بدون تاريخ ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .

- جمهرة الأولياء وأعلام أهل التّصوّف ، السّيد محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، مؤسسة الحلبي وشركاه ، مصر .

- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، محمّد حسن النّجفي (١٢٠٢ - ١٢٦٦هـ) ، حققه وعلّق عليه الشّيخ عبّاس القوجاني ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار إحياء التّراث العربي ، لبنان .

- ح -

- حاشية السّندي (مع سنن النّسائيّ) ، أبو الحسن نور الدّين بن عبد الهادي السّندي (ت ١١٣٨هـ) ، ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م ، مكتب المطبوعات الإسلاميّة ، سورية .

- الحاوي للفتاوي (في الفقه وعلوم التّفسير والحديث والأصول والنّحو والإعراب وسائر الفنون) ،

جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٨٤٩ – ٩١١هـ) ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .
– حليـة الأوليـاء وطبقات الأصفياء ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، (ت٤٣٠هـ) ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، لبنان .

– د –

– الدّراية في تخريج أحاديث الهداية ، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢هـ) ، صحّحه وعلّق عليه السّيد عبد الله هاشم اليّماني ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م ، دار المعرفة ، لبنان .
– الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثّامنة ، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥١هـ) ، بدون تاريخ ، دار الجيل ، لبنان .
– الدّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٨٤٩ – ٩١١هـ) ، تحقيق الدّكتور محمّد بن لطفي الصّبّـاغ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، جامعة الملك سعود ، السّعوديّة .

– ر –

– رجال الفكر والدّعوة في الإسلام ، تأليف أبو الحسن عليّ الحسني ، الندوي ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م ، مطبعة جامعة دمشق ، سورية .
– الرّسـالة القشـيريّة في علم التّصوّف مع شرح شيخ الإسـلام زكريا الأنصـاري ، أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشـيريّ (٣٧٦ – ٤٦٥هـ) ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، دار أسـامة ، لبنان .
– روح المعـاني في تفسـير القرآن العظيم والسّبع المثاني ، أبي الفضـل شهاب الدّين السّيد محمود الألوسي البغداديّ (ت ١٢٧٠هـ) ، بدون تاريخ ، دار إحياء التّراث العربي ، لبنان .
– الرّوض النّضـير شرح مجموع الفقه الكبير ، القاضي شرف الدّين الحسـين بن أحمد السّياغيّ (١١٨٠ – ١٢٢١هـ) ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ، مكتبة دار البيان ، سورية .

– ز –

– الزّهد ، أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبـل الشّيباني (١٦٤ – ٢٤١هـ) ، ١٤٠٣هـ –

١٩٨٣م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .
- الزّهد الكبير ، أبي بكر أحمد بن الحسين البّيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه وفهرسه الشّيخ عامر أحمد حيدر ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، دار الجنان ، لبنان .

- س -

- سنن أبي داود ، أبي داود سليمان بن الأشعث السّجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥هـ) ، إعداد وتعليق عزت عبيد الدّعاس - عادل السّيد ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م ، دار الحديث ، سورية .
- سنن ابن ماجه ، أبي عبد الله محمّد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ) ، حقّق نصوصه وعلّق عليه محمّد فؤاد عبد الباقي ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، دار إحياء التّراث العربي ، لبنان .
- سنن الدّارقطني ، تأليف عليّ بن عمر الدّارقطني (٣٠٦ - ٣٨٥هـ) ، عني بتصحيحه السّيد عبد الله هاشم يماني المدني ، بدون تاريخ ، دار المحاسن للطباعة ، مصر .
- سنن الدّارمي ، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرّحمن بن الفضل بن بهرام الدّارمي (١٨١ - ٢٥٥هـ) ، عناية محمّد أحمد دهمان ، بدون تاريخ ، دار إحياء السّنّة النّبويّة ، سورية .
- سنن النّسائي مع شرح السّيوطيّ ، أبي عبد الرّحمن أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر بن سنان بن دينار النّسائي (٢١٥ - ٣٠٣هـ) ، اعتنى به عبد الفتّاح أبو غدة ، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م ، مكتبة المطبوعات الإسلاميّة ، سورية .
- سير أعلام النّبلاء ، شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق عدد من الباحثين بإشراف الشّيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرّسالة ، لبنان .

- ش -

- شأن الدعاء ، أبي سليمان حمد بن محمّد الخطابي (٣١٩ - ٣٨٨هـ) ، تحقيق أحمد يوسف الدّقّاق ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، دار المأمون للتراث ، سورية .
- شذرات الذّهب في أخبار من ذهب ، أبي الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار الفكر ، لبنان .
- شرح عين العلم وزين الحلم ، نور الدّين ملا عليّ بن سلطان بن الهروي المعروف بالقاري (ت ١٠١٤هـ) ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٣م ، إدارة المطبعة المنيريّة ، مصر .
- الشّرح الكبير على المغني ، شمس الدّين أبي الفرج عبد الرّحمن بن أبي عمر بن محمّد بن أحمد بن

قدامة المقدسي (ت ٢٨٢هـ) ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ص -

– صحيح البخاريّ ، أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ (١٩٤ – ٢٥٦هـ) ، ضبطه الدّكتور مصطفى ديب البغا ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، دار العلوم ، سورية .
– صحيح مسلم بشرح النّوويّ ، محيّ الدّين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الخرامي الحواربي الشّافعيّ (٦٣١ – ٦٧٦هـ) ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، المطبعة المصريّة ، مصر .
– الصّمت وآداب اللّسان ، أبي بكر عبد الله بن محمّد بن عبيد بن أبي الدّنيا البغداديّ (٢٠٨ – ٢٨١هـ) ، دراسة وتحقيق نجم عبد الرّحمن خلف ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان .

- ط -

– طبقات الأولياء ، سراج الدّين أبي حفص عمر بن عليّ بن أحمد المصري المعروف بابن الملقن (٧٢٣ – ٨٠٢هـ) ، حقّقه وخرّجه نور الدّين شريبه ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، دار المعرفة ، لبنان .
– طبقات الصّوفيّة ، أبي عبد الرّحمن السّلمي (ت ٤١٢هـ) ، تحقيق نور الدّين شريبه ، ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م ، دار الكتاب النّفيس ، سورية .
– الطّبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) ، أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن عليّ الأنصاري الشّعراني ، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م ، مكتبة مصطفى البّابي الحلبي ، مصر .

- ع -

– العبر في خبر من غبر ، شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ (ت ٧٤٨هـ) ، حقّقه وضبطه محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .
– عوارف المعارف في التّصوّف (مع الإحياء) ، شهاب الدين أبي حفص محمّد بن محمّد بن عبد الله السّهرورديّ (٥٣٩ – ٦٣٢هـ) ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، لبنان .

ـ ف ـ

ـ فتاوى النّوويّ (المنثورات وعيون المسائل المهمات) ، محيّ الدّين أبي زكريا يحيى بن شرف بن محري بن الخرامي الحواربي (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ) ، تحقيق عبد القادر عطا ، بدون تاريخ ، دار الكتب الإسلاميّة ، مصر .

ـ فتح البّاري بشرح صحيح البخاريّ ، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) ، حقّقه ورقّمه محمّد فؤاد عبد الباقي ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، لبنان .

ـ الفتح الكبير في ضم الزّيادة إلى الجامع الصّغير ، تأليف جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) ، ترتيب يوسف النّبهاني ، ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٣م ، دار الكتب ، مصر .

ـ الفردوس بمأثور الخطاب ، أبي شجاع شيرويه بن شهرزاد بن شيرويه الدّيلميّ (٤٤٥ ـ ٥٠٩هـ) ، تحقيق محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .

ـ فضل الله الصّمد في توضيح الأدب المفرد ، فضل الله الجيلانيّ ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م ، المكتبة الإسلاميّة ، سورية .

ـ فهارس تاريخ بغداد ، إعداد محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .

ـ فهارس التّرغيب والتّرهيب في الحديث الشّريف ، إعداد خالد عبد الرّحمن العكّ وغيره ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م ، دار الإيمان ، سورية .

ـ فهارس جامع الأصول في أحاديث الرّسول ﷺ ، صنعة يوسف الزّبيبي ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، دار المأمون للتراث ، سورية .

ـ فهارس حلية الأولياء ، إعداد محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .

ـ فهارس الدّراية في تخريج أحاديث الهداية ، ترتيب رياض عبد الله عبد الهادي ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، دار المعرفة ، لبنان .

ـ فهـارس صحيح البخاريّ ، إعداد الدّكتور مصطفى ديب البغا ، بدون تاريخ ، دار العلوم ، سورية .
ـ فهارس كشف الأستار ، أحمد الكويتي ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، دار عمّار ، الأردن .
ـ فهارس مسند أبي يعلى الموصلي ، القسم الأوّل ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ، دار المأمون للتراث ، سورية .
ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظّاهريّة (التّصوّف) ، وضع محمّد رياض المالح ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ ، مطبوعات مجمع اللّغة العربية ، سورية .
ـ فوات الوفيـات ، والذّيل عليها ، محمّد بن شـاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق الدّكتور إحسان عبّاس ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ، دار صادر ، لبنان .
ـ فيض القـدير شـرح الجامع الصّغـير ، محمّد المدعو بعبد الرّؤوف المنـاوي ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧٢م ، دار المعرفة ، لبنان .

ـ ق ـ

ـ القاموس الفقهيّ (لغة واصطلاحاً) ، سعدي أبو حبيب ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، دار الفكر ، سورية .
ـ القاموس المحيط ، مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي الشّيرازيّ (٧٢٩ ـ ٨١٧هـ) ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ، دار الفكر ، لبنان .
ـ قُرّة عين المسعد بترتيب أطراف الأدب المفرد ، إعداد طيبة بنت يحي اليحيى ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، مكتبة المعلاّ ، الكويت .
ـ قلائد الجواهر في منـاقب عبد القـادر ، محمّد بن يحيى التّاذفيّ الحلبي (٨٩٩ ـ ٩٦٣هـ) ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التّوحيد ، أبي طالب محمّد بن عليّ بن عطيّـة الحارثي المكيّ (ت ٣٨٦هـ) ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر .
ـ القول البديع في الصّلاة على الحبيب الشّفيع ، تأليف شمس الدّين محمّد بن عبد الرّحمن السّخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه بشير محمّد عيون ، بدون تاريخ ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- ك -

- الكامل في التّاريخ ، عزّ الدّين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمّد المعروف بابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) ، بدون تاريخ ، دار صادر ، لبنان .

- كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب السّتّة ، نور الدّين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ (٧٣٥ - ٨٠٧هـ) ، تحقيق حبيب الرّحمن الأعظمي ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، مؤسسة الرّسالة ، لبنان .

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة النّاس ، إسماعيل بن محمّد العجلوني (١٠٧٨ - ١١٦٢هـ) ، تحقيق أحمد القلاش ، بدون تاريخ ، مؤسسة الرّسالة ، لبنان .

- كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله القسطنطينيّ الرّومي المعروف بـ - حاجي خليفة (١٠١٧ - ١٠٦٧هـ) ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، دار الفكر ، لبنان .

- ل -

- اللآلىء المنثورة في الأحاديث المشهورة (التّذكرة في الأحاديث المشتهرة) ، بدر الدّين أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الزّركشي (٧٤٥ - ٧٩٤هـ) ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .

- لسان العرب ، أبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرّم بن منظور (٦٣٠ - ٧١١هـ) ، بدون تاريخ ، دار صادر ، لبنان .

- لسان الميزان ، شهاب الدّين أبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان .

- لقطة العجلان ، بدر الدّين أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الزّركشي (٧٤٥ - ٧٩٤هـ) ، شرح جمال الدّين القاسمي ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م ، مكتب النّشر العربي ، سورية .

- م -

- المجروحين من المحدّثين والضّعفاء والمتروكين ، محمّد بن حبّان بن أحمد أبي حاتم التّميمي البّستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، لبنان .

ـ مجمع الزّوائد ومنبع الفرائد ، نور الدّين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ) ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة ، جمع وترتيب عبد الرّحمن بن محمّد بن قاسم العاصمي النّجديّ الحنبليّ ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م ، مطبعة الرّياض ، السّعوديّة .
ـ مختصر تاريخ مدينة دمشق (لابن عساكر) ، محمّد بن مكرّم المعروف بابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١هـ) ، تحقيق جماعة من الباحثين ، دار الفكر ، سورية .
ـ مختصر طبقات الحنابلة ، محمّد جميل بن عمر البغداديّ المعروف بابن شطي ، دراسة فواز الزّمرلي ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
ـ مراصد الإطّلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، صفيّ الدّين عبد المؤمن بن عبد الحق البغداديّ (ت ٧٣٩) ، تحقيق وتعليق عليّ محمّد البجاوي ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م ، دار المعرفة ، لبنان .
ـ المستدرك على الصّحيحين ، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١ ـ ٤٠٥هـ) ، بدون تاريخ ، مكتب المطبوعات الإسلاميّة ، سورية .
ـ المستدرك على معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م ، مؤسسة الرّسالة ، لبنان .
ـ المستطرف في كلّ فنّ مستظرف ، شهاب الدّين محمّد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي (٧٩٠ ـ ٨٥٠هـ) ، شرحها وحقّقها الدّكتور مفيد محمّد قميحة ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، دار الكتب العلميّة ، لبنان .
ـ مسند أبي يعلى الموصلي ، أحمد بن عليّ بن المثنى التّميميّ (٢١٠ ـ ٣٠٧هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه حسين سليم أسد الدّاراني ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، دار المأمون للتراث ، سورية .
ـ مسند أحمد بن حنبل ، أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشّيباني (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، لبنان .
ـ مسند الشّهاب ، أبي عبد الله محمّد بن سلامه القضاعي (ت ٤٥٤هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السّلفي ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م ، مؤسسة الرّسالة ، لبنان .
ـ مشكاة المصابيح ، محمّد بن عبد الله الخطيب التّبريزيّ (ت ٧٤١هـ) ، تحقيق محمد ناصر الدّين الألباني ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
ـ مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار ، أبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي (٤٥٠ ـ

٥٠٥هـ) ، تحقيق عبد العزيز السّيروان ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م ، دار الإيمان ، سورية .
– معجـم الأدباء ، ياقوت شهاب الدّين بن عبد الله الرّوميّ الحموي (٥٧٤ – ٦٢٦هـ) ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، دار الفكر ، لبنان .
– المعجم الصّوفيّ ، الدّكتورة سعاد الحكيم ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، دار دندرة ، لبنان .
– المعجم الكبير ، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطّبرانيّ (٢٦٠ – ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السّلفي ، بدون تاريخ ، وزارة الأوقاف ، العراق .
– معجم مصطلحات الصّوفيّة ، الدّكتور عبد المنعم الحفني ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، دار المسيرة ، لبنان .
– معجم المؤلفين (تراجم مصنّفي الكتب العربيّة) ، عمر رضا كحالة ، ١٣٧٦هـ – ١٩٧٥م ، مكتبة المثنى ، لبنان .
– معيد النّعم ومبيد النّقم (الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربيّة الإسلاميّة) ، تاج الدّين عبد الوهّاب السّبكي (٧٢٧ – ٧٧١هـ) ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م ، دار الحداثة ، لبنان .
– المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأسفار (مع الإحياء) ، زين الدّين أبي الفضل عبد الرّحيم بن الحسين العراقي (٧٢٥ – ٨٠٦هـ) ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، لبنان .
– المغني ، أبي محمّد عبد الله بن أحمد بن محمّد بن قدامة المقدسي (٥٤١ – ٦٢٠هـ) ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
– المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، محمّد بن عبد الرّحمن السّخاويّ (٨٣١ – ٩٠٢هـ) ، دراسة وتحقيق محمّد عثمان الخشت ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
– من روى عن أبيه عن جده ، أبي العدل قاسم بن قطلوبغا (٨٠٢ – ٨٧٩هـ) ، دراسة وتحقيق الدّكتور باسم فيصل الجوابرة ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م ، مكتبة المعلاّ ، الكويت .
– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، أبي الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد بن الجوزيّ (ت ٥٨٧هـ) ، ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
– منهاج العابدين ، أبي حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥هـ) ، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر .

ـ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، أبي اليمن مجير الدّين عبد الرّحمن بن محمّد العليمي (٨٦٠ ـ ٩٢٨هـ) ، تحقيق محمّد محيّ الدّين عبد الحميد ، راجعه وعلّق عليه عادل نويهض ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ، عالم الكتب ، لبنان .

ـ مواقع النّجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم ، محيّ الدّين محمّد بن عليّ بن العربي الطّائي الحاتمي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) ، صحّحه محمّد بدر الدّين النّعساني ، (١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م) ، مطبعة السّعادة ، مصر .

ـ موسوعة أطراف الحديث النّبويّ الشّريف ، إعداد محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ، عالم التّراث ، لبنان .

ـ موضوعات الصّغانيّ ، أبو الفضائل الحسن بن محمّد بن الحسن القرشي الصّغانيّ (٥٧٧ ـ ٦٥٠هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه نجم عبد الرّحمن خلف ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م ، دار المأمون للتراث ، سورية .

ـ الموطّأ ، مالك بن أنس (٩٥ ـ ١٧٩هـ) ، صحّحه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمّد فؤاد عبد البّاقي ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م ، دار إحياء التّراث العربي ، لبنان .

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرّجال ، أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) ، تحقيق عليّ محمّد البّجاوي ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ، دار إحياء الكتب العربيّة ، مصر .

ـ ن ـ

ـ النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدّين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣ ـ ٨٧٤هـ) ، بدون تاريخ ، وزارة الثّقافة ، مصر .

ـ و ـ

ـ الوابل الصّيّب ورافع الكلم الطّيّب ، تأليف شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن قيّم الجوزيّة (٦٩١ ـ ٧٥١هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه بشير محمّد عيون ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م ، مكتبة دار البيان ، سورية .

ـ الوافي بالوفيات ، صلاح الدّين خليل بن أيبك الصّفدي ، باعتناء عدد من البّاحثين ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م ، دار فرانز شتايز ، ألمانية .

فهرس الكتاب

المحتوى	الصّفحة

هذا الكتاب

أفئدة تلتهب بحبّ الله ، تستغرق في نوره ، تقتبس من رسول الله ﷺ نور المعرفة الّتي أساسها ركنان : أحكام الله وطاعته وفق ما بيّن رسول الله ﷺ في سنته وهذا هو الرّكن الأوّل . أمّا الرّكن الثّاني فهو سرّ الأحكام ومُخّها ، هو روح الإخلاص المنبعث منها ، هو النّور الّذي تُوصِلُ الأحكامُ به إلى جمال الله تعالى ويُعرف به كماله وجلاله وجبروته ، فيُعرف الله حقّ معرفته .

إنها أفئدة الصّوفيين الحقيقيّة الّتي سلكت سبيل الوصول إلى الله تعالى بتقيّدها بأوامره وطاعة رسوله في كلّ ما أمر .

فالتّصوّف ليس خروجاً عن الشّريعة ولا انتهاكاً لمحرماتها ، لكنّه بمثابة الرّوح من الجسد .

وكتابنا هذا رسالة تبيّن للرّاغب طريق الوصول إلى الله تبارك وتعالى . هذا الطّريق الّذي يمرّ بعوالمه الثّلاث : الملكوت والجبروت واللاّهوت . ولكلّ عالَم كسبه وروحه ووجوده ، وعلى قدر أوبة الإنسان وتوبته يرتفع إلى ما يناسب إخلاصه وذكره إلى العالم المناسب ، وتكون قربته من الله تعالى ، وبهذا يتفاضل الأولياء في أسرارهم .

النّاشر

